هدية العدد : براعم الايمان



إسلامية ثقافية شهرية

السنة الخامسة عشرة ○ العدد ١٦٩ ○ محرم ١٣٩٩ هـ ○ ديسمبر ١٩٧٨ م

اقرأ في هذا العدد

صورة الغلاف

مدينة القاهرة ذات الألف مئذنة كما تبدو من ساحة القلعة حيث يرى من يلقي نظره عليها ، أنها تمتاز بمساجدها الضخمة التي تعتبر آية في الروعة والجمال .. تمثل عصور الاسلام المختلفة ولكنها تلتقي جميعها حول إعلان التوحيد ، والدعوة إلى عبادة الله .

اهداءات ٢٠٠٢

د/ محمد عبد الفتاح الغمراوي

الاسكندرية



AL-WAIE AL-ISLAMI

KUWAIT P. O. BOX: 23667

السنة الخامسة عشرة

العدد ١٦٩ ○ محرم ١٣٩٩ هـ ○ ديسمبر ١٩٧٨ م

هـدفهـا

المزيد من الوعي ، وايقاظ الروح ، بعيدا عن الخلافات المذهبية والسياسية

تصدرها

وزارة الأوقاف والشئون الاسلامية بالكويت في غرة كل شهر عربي

عنوان المراسلات

مجلة الوعي الاسلامي

وزارة الأوقاف والشئون الاسلامية
صندوق بريد رقم (٢٣٦٦٧) الكويت
هاتف رقم : ٤٢٨٩٣٤ ـ ٤٤٩٠٥١

● الثمن ●

الكويت	١٠٠ فلس
مصر	١٠٠ مليم
السودان	١٠٠ مليم
السعودية	ريال ونصف
الامارات	درهم ونصف
قطر	ريالان
البحرين	١٤٠ فلسا
اليمن الجنوبي	١٣٠ فلسا
اليمن الشمالي	ريالان
الأردن	١٠٠ فلس
العراق	١٠٠ فلس
سوريا	ليرة ونصف
لبنان	ليرة ونصف
ليبيا	١٣٠ درهما
تونس	١٥٠ مليما
الجزائر	دينار ونصف
المغرب	درهم ونصف

بقية بلدان العالم

ما يعادل ١٠٠ فلس كويتي

BIBLIOTHECA ALEXANDRINA

بسم الله الرحمن الرحيم

على العهد

في مطلع العام الهجري الجديد ، نضع بين يدي القارىء الكريم ، العدد التاسع والستين بعد المائة ، من مجلة (الوعي الاسلامي) في عامها السابع عشر . ونحن على العهد ، نخدم الاسلام عن طريق هذه المجلة الواعية ، ونمد في صوتها الحر ، ليبلغ آفاق الدنيا ، ونتابع المسيرة على طريق الدعوة الى الله ، بعرض مبادىء ديننا الحنيف نستقيها من منبعها الصافي ، خالية من الشوائب ، بعيدة عن الخلافات المذهبية والسياسية .

ولقد رسمت الوزارة للمجلة ، من يومها الأول ، منهاجها الذي تسير عليه ، فهي للعقيدة ، والعلم ، والحياة .

ومن واقع التجربة الحية ، التي عاشتها المجلة ، على امتداد تاريخها في عالم الصحافة المسلمة ، يحس القارىء ، أنها قدمت له زادا كريما ، مختلفا ألوانه ، فيه شفاء للناس من زيغ العقيدة ، واختلال العبادة ، وانحراف السلوك ..

وحين يجول النظر على صفحاتها ، يقع على أنماط عديدة ، من الثقافة والمعرفة ، فهو بين نظرات في آيات القرآن الكريم ، أو مع الهدى المحمدي ، من أحاديث المعصوم صلوات الله وسلامه عليه ، أو مع تأملات في الدين والحياة ، في إطار علم شامل ، يغذي العقيدة ، ويحتضن كل نواحي التطور ، ويفتح صدره لعناصر الكون ، يأخذ منها ويعطيها ، أومع الفتوى الصحيحة ، التي تحل مشاكل الناس ، وتفصل في قضاياهم .

ولا ندعي أننا بلغنا القمة ، أو حققنا الكمال ، فالكمال لله وحده ، ومن هنا فنحن نرحب بكل نقد بناء ، أو توجيه مخلص يهدي إلينا عيوبنا ، فمعرفة الخطأ ، أولى الخطوات على طريق الصواب .

وإننا نوجه عناية خاصة للشباب ، فهم رجال الغد ، وأهل الاسلام ، ورصيد الأمة الغالي ، وعدتها لمستقبلها ، وإننا لنفزع أشد الفزع ، حين نرى موجات الالحاد ، تطغى على قطاعات النشاط في محيط الشباب ، ولا يفتأ الخبثاء من أعداء الاسلام ، يوحون إلى

أبنائنا زخرف القول ، بالحكم على الدين بأنه عقبة في سبيل الحياة ! وأن الانسان المتدين ، رجعي متخلف ، وربما تساهلوا في حكمهم ، فاعتبروا الأديان ميولا فردية ، أو اتجاهات أدبية ، وهم بذلك يعملون جاهدين على عزل الدين عن الحياة .

وهذا ما حدا بنا الى توجيه دعوة للشباب ، نلفت بها نظرهم إلى أننا قد فتحنا لهم في هذه المجلة ، وابتداء من هذا العدد ، صفحة تحت عنوان (مع الشباب) ليسجل فيها الشباب المسلم خواطره وأفكاره ، ونحن معه ، نقوم برحلة في داخل نفسه ، لنرى ما يعتمل فيها ، فان وجدنا خيرا حمدنا الله ، وإن وجدنا غير ذلك ، قدمنا له العلاج من كتاب الله تعالى وسنة رسوله ، حتى ينعم بالحياة الكريمة في ظلال الاسلام .

ورغم أننا نشعر بعبء الرسالة ، وضخامة المسؤولية ، الا أننا نستمد القوة من الله ، على متابعة السير في طريق الدعوة الى الاسلام ، بعزم أكيد .

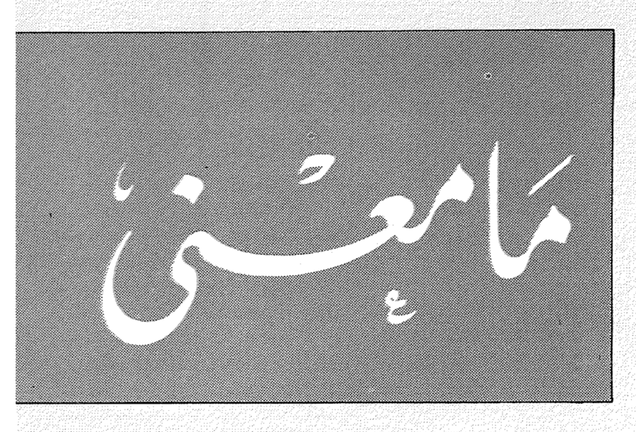
كما أننا نعتز بقرائنا في العالم الاسلامي والعربي ، ونجد في رسائلهم إلينا ، قوة دافعة للسير بالمجلة نحو الغاية المرجوة .

ومن الحوافز التي تذكر فتشكر توجيهات ، السيد « يوسف جاسم الحجي » وزير الأوقاف والشؤون الاسلامية ، الذي تلقى منه المجلة كل عون وتشجيع ، نابعين من غيرته على الاسلام ، وحرصه على ان تأخذ مبادئه مكانها في دنيا الناس ، وبذلك تستقيم الحياة ، ويعتدل ميزانها ، وتعيش الانسانية أزهى عصورها ، حين يفتح الله لها في ظلال الايمان والتقوى ، بركات من السماء والأرض .

(ولو أنهم فعلوا ما يوعظون به لكان خيرا لهم وأشد تثبيتا) .
والله تعالى يقول الحق ، وهو يهدي السبيل .

رئيس التحرير

أحمد البيوني



للدكتور احمد الحوفي

جاءت كلمة التغابن في قول الله عز وجل : (**يوم يجمعكم ليوم الجمع ذلك يوم التغابن**) التغابـن/٩ ، وبهذه الكلمة سميت السورة ، فما معنى يوم التغابن ؟

لابد لمعرفة المعنى من أن أعرض ما قاله بعض المفسرين ، لأنه يمثل رأيهم جميعا ، ثم أعقب على ما قالوه ، ثم ألجأ الى اللغة نفسها عسى أن أهتدي الى رأي جديد .

(١) أقوال المفسرين

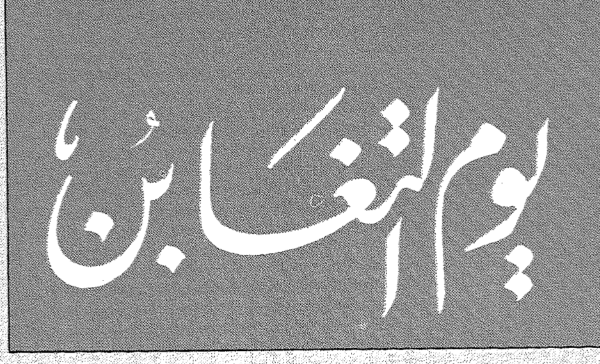
ذكر الطبرى أن اليوم سمى يوم التغابن ، لأن أهل الجنة يغبنون فيه أهل النار ، وعزز رأيه بروايتين عن مجاهد وعن قتادة .

ولكنه لم يوضح سبب هذا الغبن وطريقته .

ولسنا نستطيع أن نتصـور أن الناس يغبن بعضهم بعضا وهم في هول القيامة ورهبة الحساب .

ثم إن غبن أهل الجنة لأصحاب النار لا يسمى تغابنا ، لأنه من طرف واحد ، والتغابن إذا فسرناه بما فسره به الطبرى وهو الظلم لابد أن يكون تفاعلا من طرفين .

وذهب الزمخشرى الى أن التغابن مستعار من تغابن القوم في التجارة ، وهو أن يغبن بعضهم بعضا ، لأن



السعداء نزلوا منازل الأشقياء ، وقال إن في هذا تهكما بالأشقياء ، لأن نزولهم ليس بغبن ، وقد يتغابن الناس في غير ذلك اليوم ، ولكن التغابن في ذلك اليوم هو التغابن في الحقيقة ، لا التغابن في أمور الدنيا وإن جلت وعظمت .

وهذا تقسيم عجيب ، لأنه من غير المعقول ولا المقبول أن يغبن السعداء الأشقياء على وهم لا حقيقة له ، وهو أنهم نزلوا في منازل الأشقياء التى كان الأشقياء يستحقونها لو كانوا سعداء ، وأن الأشقياء نزلوا في منازل السعداء التى كان السعداء يستحقونها لو كانوا أشقياء .

على أن هذا لا يتفق وقوله تعالى في وصف اهل الجنة : **(ونزعنا ما في صدورهم من غل إخوانا على سرر متقابلين)** الحجر/٤٧ ، فكيف يغبن أهل السعادة أهل الشقاوة ؟

ولقد عقب النيسابورى على رأى الزمخشرى بقوله : في تسمية القسم الأخير تغابنا نظر ، الا أن يفرض أن نزول الشقى في ذلك المنزل يزيد عذابه ، وزيادة العذاب سبب تضييق المكان عليه .

ثم قال النيسابورى : ويجوز أن يفسر التغابن بأنه أخذ المظلوم حسنات الظالم ، وحمل الظالم خطايا المظلوم ، وإن صح مجئ التغابن

بمعنى الغبن فذلك اوضح في حق كل مقصر صرف شيئا من استعـداده الفطرى في غير ما أعطى لأجله .

وهذا رأى مردود ، لأن أخذ المظلوم حسنات الظالم ، وتحمـل الظالـم خطايا المظلوم يتنافى والعدل الالهى المطلق الذى نطقت به آيات كثيرة ، مثل قوله سبحانه وتعالى : **(إن الله لا يظلم مثقال ذرة وإن تك حسنة يضاعفها)** النسـاء/٤٠ وقولـه تعالى : **(ونضع الموازين القسـط ليوم القيامة فلا تظلم نفس شيئا)** الأنبياء/٤٧ وقوله تعالى : **(ولا تزر وازرة وزر أخـرى)** الاسراء/١٥ وقوله عز وجل : **(كل نفس بمـا كسبت رهينة)** المدثر/٣٨ .

أما ابن كثير فانه ذكر رواية عن ابن عباس وقتادة ومجاهد أن يوم القيامة سمى يوم التغابن ، لأن أهل الجنة يغبنون أهل النار ، وذكر رواية عن مقاتل بن حبان أنه لا غبن أعظم من أن يدخل هؤلاء الجنة ، ويذهب الآخرون الى النار .

وقد سبق تفنيـد هذا الـرأى ، وإبطال دعوى الغبن ، لأن أهل الجنة استحقوا الجنة بايمانهم وعملهم ، ولأن اهل النـار استحقـوا النـار بكفرهم ، فلا غبن ولا عدوان .

وثمة رأى آخر قاله أبو حاتم احمد ابن حمدان الرازى وهو أن اليوم سمى يوم التغابن ، لأن المغبون هو الذى انكشفت سرائره في ذلك اليوم ، فيظهر ما اكتسب في الدنيا من عبادة غير الله بعد أن قدر أنه اهتدى وأنه ينجو ، فيكون أمره كما قال الله عز وجل : **(وقدمنا إلى ما عملوا من عمل فجعلنـاه هبـاء منثـورا)** الفرقان/٢٣ .

فهذا هو المغبون مثل المغبون في الدنيا الذى يشترى سلعة أو يبيعها فيقدر أنه ربح ، فاذا انكشف امره ظهر أنه خسر ، فيقال له مغبون .

ولكن هذا التعليل غير مقبول ، لأن الذى عبد غير الله تعالى يستحـق العقاب ، فلا يسمى مغبونا ، ولأن التغابن تفاعل ، وشتان ما بين الغبن والتغابن .

وفي العصر الحديث قال عبدالكريم الخطيب في تفسـيره : سمـى يوم القيامة بيوم التغابن لأنه اليوم الذى يرى فيه الناس أنهم غبنوا من جهة أنفسهم ، وأن غبنـا أصابهـم في الدنيا ، فلم يأخذوا حقهم كامـلا فيها ، ولم يستوفوا المطلوب منهـم للحياة الأخرى ، فكل إنسان يبدو له يوم القيامة أنه غبن في حياته الدنيا ، سواء أكان في المحسنـين أم في المسيئين ، اما المحسن فلأنه لم يزدد إحسانا ليزداد ثوابا ، وأما المسئ فلأنه يرى أنه ظلم نفسه ظلما مبينا ، إذ اطلق العنان لشهواته وأهوائه .

والرد على هذا أن اليوم بهذا المعنى يوم حزن وندم وحسرة وتأنيب شديد للنفس ، وليس يوم غبن أو تغابن .

كذلك شرح مجمع اللغة العربية التغابن بأنه تفاعل ، لنزول السعداء فيه منازل الأشقياء ونزول الأشقياء فيه منازل السعداء ، إذ تبدو الأشياء

لهم بخلاف مقاديرهم في الدنيا .
وهذا الرأى لا يختلف ورأى الزمخشرى وابن كثير ، وقد سبق تفنيده .

وأزيد على ما سبق أن اليوم جدير به أن يسمى في هذه الحالة يوم الانصاف أو يوم التبادل وما شاكل هذا ، وليس من الحتم أن يصير سعداء الدنيا الى شقاء في الآخرة ، ولا أن يصير أشقياء الدنيا إلى سعادة وليس من الصواب أن نعلل لتسمية اليوم بتقديرهم وظنهم وهم في الحياة الدنيا .

(٢) رأى جديد

لنرجع الى اللغة عسى أن نهتدى الى المعنى المراد من كلمة تغابن في الآية الكريمة .

جاء في لسان العرب والقاموس المحيط وتاج العروس مادة غبن : غبن الرجل الرجل في البيع يغبنه من باب ضرب أى خدعه وظلمه ، والتغابن أن يغبن القوم بعضهم بعضا .

وغبن الرجل رأيه ، وغبن الرجل في رأيه غبنا مثل فرح يفرح فرحا ، وفهم يفهم فهما ، أى نسيه وأغفله وجهله وضيعه وغلط فيه .

وغبن فلان فلانا يغبنه غبنا من باب ضرب أى مر به وهو ماثل فلم يره ، ولم يفطن له .

وفي هذا مثل ما في سابقه من غفلة ونسيان واشتغال . ولقد أخذ المفسرون معنى التغابن من الغبن بمعنى الظلم ، وعجيب ان ابن منظور ذهب مذهبهم ، ولم يتنبه الى المعنيين الآخرين للغبن .

ثم تكلفوا للغبن تفاعلا بين اثنين كل منهما يغبن الآخر ، أو تفاعلا بين الانسان ونفسه ، فهو في نظرهم مثل التنازع والتشارك والتقاتل والتنادى .

لكننى أرجح ان التغابن :

(١) إما ان يكون تفاعلا بين اثنين ، من الغبن على وزن الضرب ، وقد نصت المعجمات على أن معناه النسيان والاغفال والذهول ، حيث إن الذهول الشديد والاغفال الصارف والاشتغال الطاغى يعم الناس جميعا ، فينحصر كل منهم في نفسه ، ويذهل عن غيره ، وينصرف عن احب احبائه ، فهو اذن ذاهل ومذهول عنه ، ومن هنا يتحقق التفاعل وتبادل الذهول .

وليس من المستطاع ان نتصور ذهولا أشد مما صوره القرآن الكريم في قوله تعالى : **(يأيها الناس اتقوا ربكم إن زلزلة الساعة شئ عظيم . يوم ترونها تذهل كل مرضعة عما ارضعت وتضع كل ذات حمل حملها وترى الناس سكارى وما هم بسكارى ولكن عذاب الله شديد)** الحج / ١و٢

وفي قوله عز وجل : **(يوم يفر المرء من أخيه . وأمه وأبيه . وصاحبته وبنيه.لكل امرئ منهم يومئذ شأن يغنيه)** عبس / ٣٤ ـ ٣٧ .

(٢) وإما ان يكون التغابن من

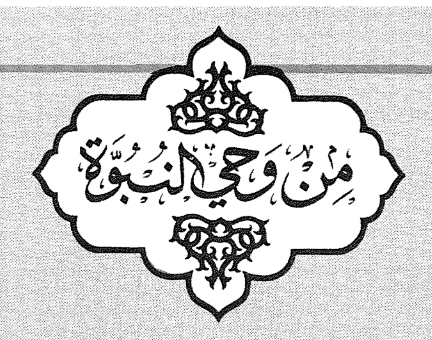
الغبن على وزن ضرب او على وزن سبب بمعنى النسيان والجهل والغفلة والانصراف ، لأن الناس يوم القيامة يصابون بأهوال تفزعهم وتذهلهم وتنسيهم وتشغلهم ، فيصير كل منهم في ذهول شديد ونسيان تام ، ولكن الصيغة جاءت على وزن تفاعل للمبالغة ، لا للدلالة على مشاركة ، ولها نظائر كثيرة في اللغة منها : تبارك الله اى تقدس ، وتعالى الله أى علا ، ونقادم العهد أى قدم ، وتطاول الزمن أي طال ، وتفاقم الأمر أي اشتد ، وتناثر الحب اي انتثر ، وتحامى الرجل كذا أي احتمى منه ، وتصاغرت نفس فلان أي صغرت ، وتضاءل الشئ أي صغر ، وتعاطى الدواء أي شربه ، وتماثل للشفاء أي قاربه ، وتكاثر الناس أي كثروا ، وتوافدوا أي وفدوا .

وليس في صيغة من هذه الصيغ تفاعل او مفاعلة بين اثنين او طرفين .

وسواء ذهبنا الى أن التغابن تفاعل من الغبن بمعنى الذهول ، أو الى أنه مبالغة من الغبن بهذا المعنى ، فان هذا او ذاك اولى بالقبول من القول بأنه بمعنى الظلم والخداع ، وأسلم مما يجره هذا الرأى من تكلف وافتراض ، وأقرب الى المعنى اللغوى لكلمة غبن ، وهو الى هذا كله أشد مناسبة لأهوال يوم القيامة التى وصفها القرآن الكريم .

الوعي الاسلامي :

ما نطقت به الآيات التى استدل بها الكاتب على العدل المطلق الذى يتصف به الله تبارك وتعالى مثل آية : (إن الله لا يظلم مثقال ذرة) وآية : (ونضع الموازين القسط ليوم القيامة فلا تظلم نفس شيئا) وآية : (ولا تزر وازرة وزر اخرى) تدل على أن الله تعالى لا يظلم أحدا بأن يترك حسنات فعلها من غير أن يثيبه عليها ، أو يحمله وزرا لم يقترفه . اما اخذ المظلوم حسنات الظالم وتحمل الظالم خطايا المظلوم ، فهذا لا يتنافى مع العدل الالهى كما ذكر الكاتب ، بل هو عين العدل الالهى وذلك حين يعجز المظلوم عن أخذ حقه من الظالم في الدنيا ، فان الله بعدله يأخذ له حقه يوم القيامة حسنات ، أو يحمل الظالم من خطايا المظلوم حين لا يكون هناك درهم ولا دينار فقد روى مسلم عن أبى هريرة رضى الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : « أتدرون من المفلس من أمتى يوم القيامة ؟ » قالوا : المفلس فينا من لا درهم له ولا متاع : فقال : « إن المفلس من أمتى من يأتى يوم القيامة بصلاة وصيام وزكاة ، ويأتى قد شتم هذا ، وقذف هذا ، وأكل مال هذا ، وسفك دم هذا ، وضرب هذا ، فيعطى هذا من حسناته ، وهذا من حسناته ، فان فنيت حسناته قبل أن يقضى ما عليه ، أخذ من خطاياهم فطرحت عليه ، ثم طرح في النار ».



الهجرة الخالصة

روى الامام البخاري قال : (حدثنا الحميدي ، حدثنا سفيان ، حدثنا الأعمش ، قال : سمعت أبا وائل يقول : عدنا خبابا ، فقال : هاجرنا مع النبي صلى الله عليه وسلم نريد وجه الله ، فوقع أجرنا على الله ، فمنا من مضى لم يأخذ من اجره شيئا ، منهم مصعب ابن عمير ، قتل يوم أحد ، وترك نمرة ، فكنا إذا غطينا بها رأسه بدت رجلاه ، وإذا غطينا رجليه بدا رأسه ، فأمرنا رسول الله صلى الله عليه وسلم أن نغطي رأسه ونجعل على رجليه شيئا من إذخر ، ومنا من أينعت له ثمرته فهو يهدبها .)

لم يشأ القدر أن ندرك عصر النبي صلى الله عليه وسلم ، أو نعيش مع صحابته الكرام أيامهم الحافلة بالخير المضيئة بالمثل العليا .
فقد جاء دورنا في سلسلة الوجود الانساني بعد العصر النبوي بقرون متطاولة ولم يكن امر ذلك في ايدينا !! فكم كنا نود ان يواتينا الحظ فنعيش في الجوار الطيب ، ويضمنا المجلس الخاشع ، وتختلط انفسنا بأريجه العبق !!
كم كنا نود ان نفتح عيوننا حين نفتحها على اكرم ذات سعد بها الوجود فتمتلىء منها العين هيبة وروعة وجلالا !!
وكم كنا نود ان نوجه أسماعنا الى الكلمات القدسية ، فينساب اليها الوحي الأعلى غضا طريا كما انزله الله ، ولكن ... ما كل ما يتمنى المرء يدركه !!
لئن حجبنا عن شهود ذلك بحواسنا واشباحنا ، فلم نحجب عنه بأرواحنا ووجداننا ، فلم يزل الرسول الكريم صلى الله عليه وسلم يعيش في ضمير كل مؤمن ، بما ترك من هدى ، وبما بث من سنة ، وبما ارسل من قول وعمل .
ان العين حين تقع على اثر من آثار هذا الرسول العظيم ، او تظفر بشيء من سنته حديثا او تقريرا او سيرة ، لترى عليه من انوار النبوة ما يضيء جوانب النفس والعقل ، وما يفتح امام البصيرة نافذة تطل منها على أزهى عصور الانسانية ، وأنضر فترات حياتها ... هناك حيث كان يعيش النبي صلوات الله وسلامه عليه مثلا اعلى للفضائل الانسانية ، ونموذجا فريدا للذوق الرفيع ، والجمال الباهر ، كان اذا تكلم كأنما النور يخرج من بين ثناياه ، يقول عنه علي كرم الله وجهه: « من رآه بديهة هابه ، ومن خالطه معرفة أحبه » كان انسانا بكل ما تحمل الكلمة من معان ، رأته امرأة فأخذها الخوف من مهابته فقال لها : « يا مسكينة ... عليك السكينة » ! كان يؤثر القادم عليه بالوسادة التي يجلس عليها ، ويفسح له في المجلس ، وينزل الناس منازلهم ، وصفه ابو سعيد الخدري رضي الله عنه فقال : « كان رسول الله صلى الله عليه وسلم اشد حياء من العذراء في خدرها ، وكان اذا كره شيئا عرفناه في وجهه ، لايجابه أحدا بما يكره ، ولا ينادي اصحابه الا بأحب الاسماء اليهم ، وكان اذا بلغه ما يكره عن احد لم يقل : ما بال فلان ، بل يقول ما بال أقوام » ووصفه ابن ابي هالة فقال : « كان دائم البشر ، سهل الخلق ، لين الجانب ، ليس بفظ ولا غليظ ، ولا صخاب ولا فحاش ولا عياب ، ولا مداح » وكان يمازح اصحابه ويخالطهم ويحادثهم ، ويلاعب صبيانهم ، ويجلسهم في حجره ، ويجيب دعوة الحر والعبد والامة والمسكين ويعود المرضى في اقصى المدينة ومعه ـ صلوات الله وسلامه عليه ـ كان يعيش اصحابه ملائكة من البشر ، يمشون على الارض هونا ، لا باعث لهم الا الخير ، ولا رائد الا التقوى ، ولا شعار الا السلام ، ولا غاية الا الله .
واننا من خلال هذه الاحاديث نستطيع ان نستشف خلال القوم ، وان نرصد اخلاقهم كما ترصد الاجهزة الارضية النجوم في مسالكها .

يقول الصحابي الجليل أبو وائل ، وقد ذهب مع بعض الصحابة لعيادة خباب بن الأرت في مرض نزل به : (عدنا خبابا) وهم حين فعلوا ذلك ، انما قاموا بحق اكيد من حقوق المسلم على اخيه المسلم ، فقد علمهم الرسول صلى الله عليه وسلم ذلك حين قال لهم : « حق المسلم على المسلم ست : اذا لقيته فسلم عليه ، واذا دعاك فأجبه ، وإذا استنصحك فانصح له ، وإذا عطس فحمد الله فشمته ، واذا مرض فعده ، واذا مات فاتبعه » رواه البخاري ومسلم .
وقد كان صلى الله عليه وسلم ، يعود المرضى من اصحابه ومن غير اصحابه ، فقد عاد غلاما كان يخدمه من اهل الكتاب ، وعاد عمه ابا طالب وهو مشرك ، واكد هذا الحق الانساني ، ووعد فاعله الثواب الجزيل في ظلال الجنة ونعيمها ، فقال صلى الله عليه وسلم : « عائد المريض يمشي في مخرفة الجنة حتى يرجع » رواه مسلم . (والمخرفة : سكة بين صفين من النخيل ، جمعها مخارف : يقال : خرجوا الى المخارف اي البساتين) .
ولما استقر المجلس بهؤلاء العواد عند خباب ، شرع يحدثهم عن ذكريات إسلامية مرت به ، ويعرض عليهم صورا من امجاد الاسلام التي نفح بها الحياة ، وامد بها الانسانية لتكون غذاءها النافع ، وشعاعها الهادي ، الذي يضيء لها طريقها الطويل ، فكان فيما قال خباب : هاجرنا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم يعني الى المدينة ، والمراد بالمعية هنا الاشتراك في حكم الهجرة واجرها ، لا في وقتها وزمانها ، وإلا فان خبابا لم يرافق النبي صلى الله عليه وسلم في هجرته ، فلم يكن معه حين هاجر سوى ابي بكر وعامر ابن فهيرة ، وايا ما كان الامر ، فمن هاجر مع الرسول الكريم ، او سبقه ، او لحق به ، فقد كان الباعث لهم جميعا على الهجرة ابتغاء وجه الله ، لم يهاجروا خوفا على انفسهم او فرارا من الاذى الذي لحق بهم بمكة ، فقد خاضوا بعد الهجرة حروبا طاحنة ، وصب عليهم من البلاء ما تنوء به الجبال . ولم يهاجروا لدنيا يصيبونها ، او مغانم يتطلعون اليها ، فقد اخرجوا من ديارهم بغير حق ، وجردوا من اموالهم بغير رحمة وعاشوا في المدينة غرباء ، اما ضيوفا على الانصار ، او نزلاء في صفة المسجد (**تعرفهم بسيماهم لا يسألون الناس إلحافا) . ٢٧٣/ البقرة .**

وما اروع ما يقول خباب : (هاجرنا مع النبي صلى الله عليه وسلم نريد وجه الله) يا لها من غاية تتضاءل دونها كل غاية ، ويعجز عن اللحاق بها كل قصد !! « نريد وجه الله » فهو ـ سبحانه ـ مثلهم الأعلى ، وهدفهم الأسمى ، ومطمح أنظارهم ، ومعقد رجائهم . وبهذا القصد النبيل تتميز هجرة النبي واصحابه ، فلم تكن هجرتهم لغرض او عرض ، فقد علمهم الاسلام ان المؤمن اذا قدم عملا لله ، حرص على ان يكون عمله في الذروة من الاخلاص ، والبعد عن مخالفة الشهوات والرغبات . لقد خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم الهجرة ، وهو يريد وجه الله وحده ، وهاجر حريصا

على ان يبذل من ذات نفسه ، وخالص ماله ابتغاء وجه الله .
فقد روى ان ابا بكر قد جهز عند الهجرة راحلتين ، قدم احداهما لرسول الله صلى الله عليه وسلم وهي افضلهما ، فقال له الرسول الكريم : (اني لا اركب بعيرا ليس لي) فقال ابو بكر : هو لك يا رسول الله . فقال الرسول صلى الله عليه وسلم (بالثمن) فقال أبو بكر : بالثمن يا رسول الله ، عندئذ قبلها رسول الله ثم ركبها ..
وقد سئل بعض اهل العلم ، لم لم يقبلها الرسول الا بالثمن ، وقد انفق عليه ابو بكر من ماله ما هو اكثر من هذا فقبل ، حتى قال الرسول الكريم : (ليس من احد امن على في اهل ومال من ابي بكر) فقال المسئول : انما فعل الرسول ذلك لتكون هجرته الى الله بنفسه وماله ، رغبة في استكمال فضل الهجرة وان تكون الهجرة والجهاد على أتم أحوالهما ، واكمل صورهما ، وعلى شعاع من هذه النية الطيبة والقصد الحسن ، مضت الهجرة الى غايتها ناجحة ظافرة ، فكانت فتحا جديدا في تاريخ الانسانية ، وتحولا خطيرا في مسيرة الجماعة البشرية .
يقول الكاتب الاسلامي الرافعي رحمه الله : (حتى اذا كانت الهجرة من بعد ، فانتقل الرسول الى المدينة ، بدأت الدنيا تتقلقل ، كأنما مر بقدمه على مركزها فحركها ، وكانت خطواته في هجرته تخط في الارض ، ومعانيها تخط في التاريخ ، وكانت المسافة بين مكة والمدينة ، ومعناها بين المشرق والمغرب) .
وما دامت هجرتهم لله ، فقد وقع أجرهم على الله ، اوجب ذلك على نفسه بوعده الصادق تفضلا منه ، لا وجوبا عليه ، فلا يجب عليه ـ سبحانه ـ شيء ...
ثم يمضي خباب في حديثه فيقول : فمنا من مضى لم يأخذ من أجره شيئا ، كناية عن الغنائم التي تناولها من ادرك زمن الفتوح ، والاجر ليس مقصورا على اجر الآخرة ، بل يتناول ايضا ما يناله المرء من متاع الدنيا وحظوظها الطيبة ، وان كان اطلاق الاجر على المال في الدنيا بطريق المجاز بالنسبة لثواب الآخرة ، فمن الصحابة من ظفر بالآجرين ، فضمن باخلاصه مكانته عند الله في الدار الآخرة ، وأينعت له ثمرته في الدنيا ، أي أدركت ونضجت واستحقت القطف فهو يهدبها (يهدبها بفتح اوله وسكون ثانية وكسر المهملة ويجوز ضمها بعدها هاء اي يقطفها ويجنيها) . اي يجمعها ويقطعها بما فتح الله على المجاهدين من أقطار الأرض . فتهاوت تحت ضرباتهم العروش ، وقد خرت تحت اقدامهم التيجان ، ووضعت في ايديهم مفاتيح خزائن الارض ، فانقلبوا بنعمة من الله وفضل عظيم ، وكان ممن مضوا ولم يأخذوا من اجر الدنيا شيئا ، مصعب بن عمير ، وهو ابن هاشم بن عبد مناف بن عبد الدار بن قصى يجتمع مع النبي صلى الله عليه وسلم في قصى ، وكان يكني ابا عبدالله ، من السابقين الى الاسلام والهجرة ، كان في

الذروة من قومه جاها ومالا ، كانت أمه « خناس بنت مالك » مليئة كثيرة المال ، ترعى اولادها احسن رعاية ، وتكسوهم احسن الثياب ، وارقها ، فنشأ مصعب بين شباب مكة ، أجملهم وأعطرهم ، يفيض تيها ودلالا ، كان يحيا حياة ناعمة مترفة ، ولا يرى الا ضاحكا مقبلا على الدنيا يأخذ من متاعها بأوفى نصيب .. ثم تمضي الايام ، ويدخل الفتى على رسول الله صلى الله عليه وسلم في دار الأرقم ، فيسمع كلامه ، ويعرف حقيقة دعوته ، فيدخل الايمان قلبه . ثم يدعو الرسول اصحابه الى الهجرة الى الحبشة فيهاجر اليها مصعب فيمن هاجر ، مفارقا اهله وعشيرته الى الله ورسوله ... حتى اذا كانت بيعة العقبة الاولى التي التقى فيها اثنا عشر رجلا من اهل يثرب ، بالنبي صلى الله عليه وسلم وبايعوه على السمع والطاعة ، انفذ معهم مصعب بن عمير يقرئهم القرآن ويفقههم في دين الله فكان اول مبعوث للنبي صلى الله عليه وسلم ، وأول داعية الى الله ، وقد اسلم على يديه خلق كثير ، فقد كان قوي الحجة ، ذرب اللسان ، جلس مرة في المدينة يدعو الى الاسلام فالتف حوله جمع كبير فبلغ امره سعد بن معاذ واسيد ابن حضير ، وكانا يومئذ سيدي قومهما .

فقال سعد لأسيد : انطلق الى هذا الرجل الذي أتى دارنا ليفتن الناس فازجره حتى ينتهي ، فذهب أسيد يكلم مصعبا .

فقال له مصعب : أو تجلس فتسمع فان رضيت أمرا قبلته وان كرهته تركته ؟ فقام من مجلسه مسلما وعاد الى سعد بوجه غير الذي تركه به ، فغاظ ذلك سعدا فقام هو الى مصعب فكان أمره كأمر صاحبه ، وكان من اثر ذلك ان ذهب سعد الى قومه فقال لهم : يا بني عبد الاشهل كيف تعلمون أمري فيكم ؟ قالوا : سيدنا وأوصلنا وأفضلنا رأيا وإيمانا ونقيبة قال: فان كلام نسائكم ورجالكم على حرام حتى تؤمنوا بالله ورسوله ، فأسلم بنوعبد الاشهل جميعا رجالا ونساء !

واننا لنعجب حين نعلم ان مصعبا هذا الذي نشأ في الترف ، وشب في الدعة والدلال ، صار بعد الهجرة في قلة ، وعاش وهو صاحب الثروة العريضة في شظف من العيش وخشونة من الحياة .

روى الترمذي عن علي كرم الله وجهه قال : بينما نحن في المسجد اذ دخل علينا مصعب بن عمير وما عليه الا بردة مرقوعة بفروة ! فبكى رسول الله صلى الله عليه وسلم لما رآه للذي كان فيه من النعم ، والذي هو فيه اليوم ! وعاش مصعب بن عمير تلك السنين العجاف التي مرت بالمسلمين راضيا بما يلقي في ذات الله ، حتى اشتعلت نار الحرب بين قريش والمسلمين في بدر فكان مصعب من أبطالها المجاهدين .

ولما كانت غزوة أحد ، كان مصعب حامل لواء رسول الله يومئذ ، فثبت به ثبوت الرواسي حتى اقبل عليه عبدالله بن قمئة فضرب يده اليمنى فقطعها

ومصعب يقول : (وما محمد إلا رسول قد خلت من قبله الرسل) آل عمران / ١٤٤ وأخذ اللواء بيده اليسرى وحنا عليه ابن قمئة فقطع يده اليسرى ، فحنا على اللواء وضمه بعضديه على صدره وهو يقول : **(وما محمد إلا رسول قد خلت من قبله الرسل)** ثم حمل عليه بالرمح فأنفذه واندق الرمح ووقع مصعب وسقط اللواء ، ثم وقف الرسول الكريم على الشهداء وهو يقرأ قول الله تعالى : **(من المؤمنين رجال صدقوا ما عاهدوا الله عليه فمنهم من قضى نحبه ومنهم من ينتظر وما بدلوا تبديلا)** الاحزاب/٢٣ . ثم حمل اليه مصعب بن عمير ، فنظر اليه الرسول الكريم وقد تذكر أيامه الماضيات في مكة فقال : (لقد رأيتك بمكة وما بها أحد أرق حلة ، ولا أحسن لمة منك ثم أنت مشعث الرأس في بردة !!! ثم أمر به أن يقبر ــ واللمة بكسر اللام المشددة ، الشعر يلم بالمنكب أي يقرب منه ويتدلى .

ولم يترك مصعب من دنيا الناس إلا نمرة (النمرة ــ بفتح النون وكسر الميم ــ إزار من صوف مخطط أو بردة) ــ كفن بها فكان الصحابة اذا غطوا بها رأسه بدت رجلاه ، واذا غطوا رجليه بدا رأسه ، فأمرهم رسول الله صلى الله عليه وسلم ان يغطوا رأسه وان يجعلوا على رجليه شيئا من انخر (الانخر بكسر الهمزة والخاء ــ نبات طيب الرائحة) وهكذا فارق الدنيا اكبر مجاهد ، واخلص داعية ، واكرم مهاجر .. ثم يكرمه الله فلا ينال من الدنيا حتى الكفن السابغ الذي يلف بدنه ، فيلقي ربه وقد غطى رأسه بنمرة بالية ، ورجليه ببعض حشائش ، وذلك لهوان الدنيا على الله فلو كانت تزن عند الله جناح بعوضة ، ما طواها عن رجاله ، وما سقى الكافر منها جرعة ماء !

ومن أحكام هذا الحديث أن الشهيد الذي قتل بأيدي الكفار وهو يقاتل دفاعا عن الاسلام لا يغسل ــ حتى وان كان جنبا ــ ويكفن في ثيابه الصالحة للكفن ، ولا يصلي عليه ، لأن الصلاة شفاعة والشهداء في غنى عنها لأنهم يشفعون لغيرهم كما أن الشهداء يدفنون في دمائهم فلا يغسل منها شيء ففي الحديث الذي رواه أحمد رضى الله عنه : (لا تغسلوهم ، فان كل جرح او كل دم يفوح مسكا يوم القيامة) .

والكفن لغير المحرم أقله ثوب يستر كل البدن إذ الميت كله عورة ، وان كفن من تركته ولا دين عليه ، استحب في ثلاثة أثواب بيض ، فقد روت عائشة رضي الله عنها أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كفن في ثلاثة اثواب بيض ليس فيها قميص ولا عمامة .

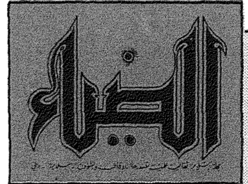
اما المرأة فيستحب ان تكفن في خمسة اثواب . واما المحرم فيكفن في ثياب إحرامه فعن ابن عباس رضي الله عنهما قال : بينما رجل واقف مع رسول الله صلى الله عليه وسلم بعرفة ، إذ وقع عن راحلته فوقصته (أي دقت عنقه فمات سريعا) فقال صلى الله عليه وسلم : (اغسلوه بماء وسدر وكفنوه في ثوبين ولا تحنطوه ولا تخمروا رأسه فانه يبعث يوم القيامة ملبيا) .

هذا وينبغي ان يكون الكفن حسنا دون مغالاة في ثمنه ، وقد ينساق بعض الجهلة وراء التظاهر حتى في مجال الموت ، فيكفنون موتاهم في أفخر الثياب وأغلاها ، يتباهون بعرضها أمام الناس لحظات ، ثم يغيبونها في باطن الأرض ، فتصير نهبا للتراب والصديد .

إن من السفه أن يتكلف المرء في ذلك ما مصيره الفناء والهلاك . يقول النبي صلى الله عليه وسلم فيما رواه أبو داود : : (لا تغالوا في الكفن فانه يسلب سلبا سريعا) .

ورحم الله أبا بكر الصديق رضي الله عنه فقد أوصى عند موته أن يكفن في ثيابه فقال : « اغسلوا ثوبي هذا وزيدوا عليه ثوبين فكفنوني فيها » فقالت له عائشة : إن هذا خلق (غير جديد) فقال : (إن الحي أولى بالجديد من الميت إنما هو للمهلة) بضم الميم وكسرها ـ القيح والصديد الـذي يذوب فيسيـل من الجسد ـ .

اللهم أرنا الحق حقا وأرزقنا إتباعه وأرنا الباطل باطلا وأرزقنا إجتنابه ونسألك حسن الاتباع ونعوذ بك من شر الابتداع .

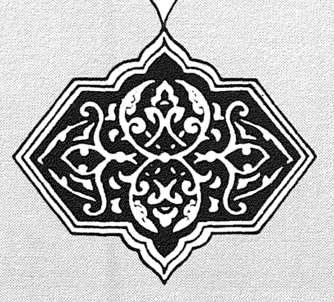


مرحبا بالضياء

تلقينا العدد الأول من مجلة « الضياء » التي تصدرها الأوقاف والشئون الاسلامية « حكومة دبي » في غرة كل شهر عربي . ومع مطلع هلال الشهر الأول للمجلة صافح القراء في أنحاء العالم الاسلامي والعربي العدد الأول وهو باكورة عمل جاد مخلص وأولى ثمرات عزم أكيد لمتابعة السير على طريق الدعوة الى الله بالحكمة والموعظة الحسنة ، والكلمة الهادية التي تعرض وجه الاسلام المشرق في بيان رائع ، وأسلوب يتفهمه ابناء هذا العصر والعدد حافل بالموضوعات القيمة التي فاضت بها أقلام كتاب غيورين على الاسلام ، حريصين على نشر مبادئه في آفاق الدنيا ، لتأخذ في ظلها سيرها الآمن وقرارها المطمئن .

ومجلة « الوعي الاسلامي » اذ ترحب بالزميلة « الضياء » تدعو الله لها وللقائمين عليها بالتوفيق والسداد والى الامام نحو مستقبل مشرق في خدمة الاسلام والمسلمين .

الوجود القائم للأمة الإسلامية



للدكتور محمد البهي

* يسود الوجود القائم للأمة الاسلامية اتجاهان ينتميان الى مصدرين من مصادر التراث البشري في الفكر ، والتوجيه :

أ ـ احد هذين المصدرين وافد من الغرب والشرق الأوروبي . وهو مصدر العلم في عديد من المجالات .. والتطبيق الصناعي له في الأجهزة والآلات ، وفي السلع المصنوعة .. كما هو مصدر القيم المضطربة في سلوك الانسان ، وفي العلاقة في الأسرة والمجتمع .

ب ـ وثاني هذين المصدرين يمثل تراث الأمة الاسلامية في سلوك المسلم في أمته الاسلامية ، وفي علاقة الانسان بالانسان في الأسرة والمجتمع .

* * *

* والشرق الاسلامي أو الوجود القائم للأمة الاسلامية يستقبل في اكبار وتقدير ما يصدره الغرب من علم ومعرفة تجريبية ، وما ينشأ عن تطبيق ذلك من أجهزة وآلات ، وسلع مصنوعة . ليس لأن له حاجة اليها فقط في حياته القائمة ، ولكن لأنه يسعى كذلك مستقبلا لأن يساوق الغرب في علمه التجريبي ، وتطبيقه الصناعي ، كي يزيد في رفع مستوى معيشته ، وكي يتمكن يوما ما من استغلال ثروته الخاصة : ما على سطح الأرض وما في باطنها .

والاكبار في استقبال الشرق الاسلامي لما يصدره الغرب من علم تجريبي ، وأجهزة وآلات : يصور مفترق الطريق بين الكتاب والمفكرين في الشرق الاسلامي :

بعض من هؤلاء الكتاب والمفكرين يرى أن هذا الذي يصدره الغرب من علم وصناعة هو المدخل لحضارة انسانية عربية متكاملة . فكما يستقبل العلم ، وتستقبل الصناعة الغربية هنا في الوجود القائم للأمة الاسلامية في اكبار واعجاب ، وكما لهذا وذاك من النفع ما يعد ضرورة في حياة الانسان ، أي انسان : كذلك يجب أن تطلب الجوانب الأخرى من الحضارة الغربية حتى تمكن الاستفادة من معرفة الغرب وتطبيقه لهذه المعرفة في مجال الصناعة . والحضارة الغربية عدا جانب العلم

والصناعة ، لها جوانب أخرى :
أ ـ لها جانب السياسة ، ونظـام الحكم .
ب ـ وجانب السلـوك الفـردي في الحياة الخاصة والعامة .
جـ ـ وجانـب الأسرة والأحـوال الشخصية .

* ففي جانب السياسة في الحضارة الغربيـة تعلن هذه السياسـة عن « الفصل » بين الدين والدولة . أي تبعد الدين عن سياسـة الدولـة . والواقع هي لا تبعد الدين . ولكن تبعد الكنيسة وحكومتها عن أن تكون هي المحرك لسياسة الدولة . فسياسـة الحضارة الغربية لا تبعد المسيحية كدين عن أن تكون ذات تأثير على توجيه الدولة في سياستها ، والفصل في الواقع في سياستها هو فصل بين سلطتين أو بين حكومتين : حكومة الهية هي حكومة الكنيسة ، وحكومة بشرية وهي حكومة الدولة . ولو أن سياسة الحضارة الغربية كانت تبعد المسيحية في سياسة الدولة لما رخصت للكنيسة بتعليم خاص تشرف عليه ، ولما رخصت بقيام حزب مسيحـي ديمقراطي يمارس سياسة الحكم ، ولما باشرت تحصيل الضرائب التي تفرضهـا الكنيسـة على المواطنـين والتابعين لها .

نعم : في الكتلة الشيوعية تبعد سياسة الحضارة الغربية : الدين .. وحكومة الكنيسة معـا ، وتحـارب وجود أي منهما في موقع من مواقع الدولة .

ونظام الحكم في الحضارة الغربية هو أحد نظامين : النظام الرأسمالي .. والنظام الماركسي اللينيني . فالنظام الرأسمالي يقوم على أساس الحرية الفرديـة في ملكيـة المال وطريـق استثمـاره . والنظـام الماركسي اللينيني يدعو الى حظر الملكية الفردية للمال . واحلال ملكية الدولة محل الأفراد . فالأفراد عمال وأجراء فيما تملكه الدولة . والدولة يمثلها الحزب الشيوعي وحده .

* وجانب الأصل في السلوك الفردي في الحياة الخاصـة والعامـة ، في الحضارة الغربية : يختلف من نظام للحكم فيها الى آخر . نعم يتميز كل منهما باتجاه خاص في النظرة الى ملكية المال . وعلى هذا الأساس يمكن أن يقـال ان الاختـلاف بينهمـا اقتصادي . ولكن هذه النظرة واقعها ذات صلـة وثيقـة بـ « الحريـة الفردية » ومضمونها ، وحدودها .

ففي ظل النظام الرأسمالي يتمتع الفـرد بحريـة شخصيـة واسعـة النطاق . ليست فقط في تملك المال ، ومباشرة استثماره . ولكن أيضا في السلـوك الخـاص ، وفي الحيـاة العامة . فالفرد هو حجر الزاوية . وهو الهدف في هذا النظام . بينما النظـام الماركسي اللينينـي يلغـى استقلال الفرد ووجوده الخـاص ، وينظر اليه على أنه « جزء من كل » . أي أنه يتحرك بحركة « الكل » فقط . و « الكل » اذن هو حجر الزاوية ، وهو الهدف في هذا النظام . وارادة الفرد هي ضمن ارادة الكل . وحرية الفرد في اطار حرية الكل أو ما يسمى

بالمجتمع . وحرية المجتمع يتلقاها من رياسة الحزب الشيوعي .

وتطبيقا لهذا الاختلاف بين النظامين نجده يبرز فقط في اعلان الرأي ، وحق التدين ، واختيار العمل . فنظام الحكم الرأسمالي يتيح الفرص العديدة ، وبمختلف الوسائل ، لاعلان الرأي في سياسة الدولة وصلاحية الحكم أو عدم صلاحيته ، وتأليف الأحزاب السياسية ، وحق الانتماء الى أي دين واقامة دور العبادة ، والجمعيات الدينية ، والنوادي المختلفة ، واختيار أية مهنة . لكن الحزب الشيوعي في نظام الحكم الماركسي اللينيني يمنع الأفراد منعا لا هوادة فيه من ابداء الرأي في سياسة الدولة ، وحق ممارسة الشعائر الخاصة بأية عبادة من العبادات الدينية ، وحق اقامة الأحزاب السياسية والجمعيات الدينية ، وحق اختيار العمل .

وما عدا مجال الرأي وحق الانتماء الى الأديان واختيار العمل فانه لا تبدو مفارقة مميزة بين نوعي السلوك الشخصي في كلا النظامين . ذلك لأنه اذا كان النظام الرأسمالي من قاعدته العريضة في النظرة الى الحرية الفردية : يترك للفرد الحرية الشخصية في علاقة الرجل بالمرأة ، وبسلوك كل منهما في حياته الخاصة ، وبموقف كل منهما مما يستمتع به ، فان قيادة الحزب الشيوعي لحساب الكبت في جانب الرأي ، والتدين ، ونطاق العمل ، ولأسباب أخرى تحمل الانسان على أن يتنازل عن استقلاله وتطلعاته كانسان : تطلق له العنان في علاقة الرجل بالمرأة ، وبالاستمتاع بما يتاح له من امكانيات مادية حسبما يهوى الانسان ويشاء .

فالسلوك الشخصي ـ وبالأخص السلوك الجنسي ـ يدخل دائرة الحرية الشخصية في نطاقها الواسع . وليس هناك في أي مجتمع في النظامين ، كنتيجة للعلاقات الجنسية : طفل شرعي وأخر غير شرعي . فالأطفال سواء في نظر القانون ، والرعاية الاجتماعية قائمة ومباحة لكل طفل . والاجهاض ، رغم معارضة الكنيسة له ، في النظام الرأسمالي ، يكاد يكون اليوم ظاهرة اجتماعية عامة في الحضارة الغربية .

* والفصل بين الزوجين في النظام الماركسي اللينيني إن مال الى اليسر ، فانه في النظام الرأسمالي يتجه الى التشدد . نظرا الى أن الأحوال الشخصية تكاد تكون دائرة مغلقة للكنيسة .فهي مجال التبعية لها وممارسة السلطة الالهية فيها . بينما الزواج الديني أو الزواج الكنسي أمر ممنوع في نظام الدولة الماركسية اللينينية .

* * *

ويقول هذا البعض من الكتاب والمفكرين في المجتمعات الاسلامية الحاضرة ، اذا كان من الضروري أن نستفيد من علم الغرب وتجاربه في الصناعات التطبيقية فمن الضروري

أيضـا أن نقلده :
في السياسة ونظام الحكم .
وفي جانب السلوك الفردي في الحياة الخاصة والعامة .
وفي جانــب الأسرة والأحــوال الشخصية .

وأخذا بهذا التقليد : يجب ـ في نظره ـ أن نأخذ بمبدأ « العلمانية » أو بمبدأ الفصل بين الدين والدولة ، في سياسة الدولة في الوجود القائم للأمة الاسلامية . وبما ان الاسلام ليست له سلطة الهية كسلطــة الكنيســة وحكومتها ، فان تطبيق العلمانية أو مبدأ الفصل بين الدين والدولــة في المجتمعات الاسلامية معناه :ابعـاد الاسلام عن سياسة الدولة . وعندئذ يصير الفصل بين الدين والدولة في هذه المجتمعات أقرب الى الظاهرة الموجودة في المجتمعات الماركسية اللينينية أو المجتمعــات الشيوعيــة . ومجــال الاســلام انن في هذه المجتمعــات الاسلامية يجب أن يكون في المساجد وحدها ، ولكن بحيث لا يتصل بشأن من شؤون الدولة .فهو يجب أن يعيد اهتمامه فقط بالعلاقــة بــين اللــه والانسان المؤمن به .

وتطبيــق العلمانيــة ، أو مبــدأ الفصل بين الدين والدولة على هذا النحــو : قائــم الآن في كثــير من المجتمعــات الاسلاميــة . فأمــر المسلمين في المجتمعات الاسلامية ، فيما يتعلق بممارستهم الايمان بالله يخضع خضوعا كامــلا لسياســة الدولة . والدولة هي التي تشرف على معاهد التعليم الديني . والدولة هي التــي تتــولى ادارة الأوقــاف الاسلامية . والدولة هي التي تتصرف في شأن مشيخة الاسلام أو منصب امام الأئمة . والدولة هي التي ترسم الطريق لجعل الاســلام في خدمــة السياسة . والدولة هي التي توجه الاسلام في وسائل الاعلام . والدولة هي التي تراقب ما يكتــب باســم الاسلام . والقرآن اذا كان كله هو كتاب الله فالدولة قد تبيــح تلاوة بعضه ، وتحرم تلاوة البعض الآخر منه . والأحزاب التي تمثل سياسة الدولة تبعد الاسلام عن أن يمارس أحد باسمه توجيها في سياسة الدولة بينمــا يوجــد فيهــا ما يسمــى « باليسار » . واليسار هو الاتجاه الذي يؤيد « الالحاد العلمي » وينشر الفوضى الخلقية في سلوك الشبان وفي علاقة الرجل بالمرأة .

والاســلام لا يعــرف الحكومــة الالهية لأن عصمة الانسان غير قائمة في نظره . فالانسان اذا تولى الحكم بالقرآن فهو مجتهد في تطبيق مبادئه : يخطئ ويصيب . وعصمة القرآن لا تمتد الى الانسان المؤمن به . وعصمة الرسول عليه السلام كانت فيما يبلغه من الوحــي : **(ومــا ينطــق عن الهوى . ان هو إلا وحي يوحى . علمه شديد القوى)** النجم ٣ ـ ٥ .

أما في نظام الكنيسة فرئيسها له العصمة . منذ أن يصبح رئيسا لها . وما ينطق به يلتزم به المؤمنون بها ، فهو لا يقبل المراجعة . ومن هنا كانت حكومة الكنيسة حكومة الهية . أي معصومة عن الخطأ . ومن يتصور

من الكتاب في المجتمعات الاسلامية : ان الحكم بالاسلام حكم الهى فقد تصور خطأ . اذ هناك فرق واضح بين الحاكم بالقرآن .. والقرآن ذاته . فالحاكم انسان غير معصوم ، والقرآن كتاب الله معصوم . ولا يعرف الاسلام : « حلول الله » في الانسان ، حتى يكون هذا الانسان يوما ما مستحيلا عليه الخطأ ، بحلول الله فيه .

* وفي نظام الحكم تأخذ الآن المجتمعات الاسلامية فعلا في وجودها القائم اما بالنظام الرأسمالي .. أو بالنظام الماركسي الاشتراكي . وهي كلها موزعة على هذين النظامين . وفي تبعيتها لهذين النظامين لا تسد فراغا فيها لا يستطيع ان يشغله الاسلام . وانما تأخذ بأحد هذين النظامين لأنها أكرهت على الأخذ به . ومصدر الاكراه لها هو ضعف صلة الطبقة الحاكمة بالمبادئ الاسلامية من جهة ، وخشيتها من أن ينالها حكم الاسلام بعدم الصلاحية للحكم من جهة أخرى .

فالاسلام له نظرة خاصة الى المال . ليست هي نظرة الرأسمالية .. وليست هي نظرة الاشتراكية الماركسية . فالملكية للمال في الاسلام ملكية خاصة ، ومنفعة المال الخاص فيه منفعة عامة . وتقوم هذه النظرة على مبدأين :

المبدأ الأول : استخلاف الانسان في الحياة الدنيا على المال ، وتفويضه من المالك الحقيقي ، وهو الله ، في جمعه ، وتنميته ، واستثماره ، وانفاقه : (**آمنوا بالله ورسوله وأنفقوا مما جعلكم مستخلفين فيه فالذين آمنوا منكم وأنفقوا لهم أجر كبير**) الحديد / ٧ . وعلى هذا المبدأ تتأصل الملكية الخاصة للمال . أي تكون هي الأصل ، ولا يخرج عن هذا الأصل الا للضرورة . كضرورة الحفاظ على وحدة الأمة ، على نحو ما صنع عمر بن الخطاب رضى الله عنه اذ حبس سواد العراق على خير الأمة كلها ، بدلا من توزيعه على المشتركين في القتال كما هو القاعدة في قسمة الغنائم ، بعد أن رأى أن التوزيع سوف يكون مثار حقد ، ومصدر فرقة بين المسلمين .

والمبدأ الثاني : أن منفعة هذا المال الخاص هي منفعة عامة للمالك ولغيره من أصحاب الحاجة في الأمة . أي لا تستتبع الملكية الخاصة للمال : المنفعة الخاصة به لمالكه : (**والله فضل بعضكم على بعض في الرزق فما الذين فضلوا برادى رزقهم على ما ملكت أيمانهم فهم فيه سواء أفبنعمة الله يجحدون**) النحل / ٧١

فالآية تقرر ثلاث حقائق :

الحقيقة الاولى : أن الناس متفاوتون في الرزق أو في المال . ولهم مستويات مختلفة في ملكية المال : فيهم الثرى .. وفيهم من يملك الكفاية منه .. وفيهم من لا يملك وصاحب حاجة اليه . وهي حقيقة تمثل الواقع ، كما تمثل خصيصة الطبيعة البشرية في التملك .

الحقيقة الثانية : أن الذين يعطون من

منفعة أموالهم لآخرين معهم في المجتمع لا يحق لهم التملك للمال ، وهم الأرقاء ، لا يعطونهم في واقع الأمر من نصيبهم هم في المنفعة الذي لهم في الأموال . وانما يعطونهم من المنفعة بصفة عامة التي هي للأموال .

الحقيقة الثالثة : ان من يملك المال ، ومن لايملك المال : سواء في وجوب المشاركة في منفعة المال الذي هو بيد البعض دون البعض والذي استخلفه الله عليه في انمائه واستثماره وانفاقه . ومن ينكر المساواة في منفعة المال بين صاحبه وصاحب الحاجة اليه ، فهو ينكر نعمة الله عليه . ولذا مانع الزكاة يقاتل حتى يخرجها ... والسفيه تنزع امواله من تحت يده على ان يعطى حصة من منفعتها او يعمل فيها ليرتزق من عمله فيها : **(ولا تؤتوا السفهاء أموالكم التي جعل الله لكم قياما وارزقوهم فيها واكسوهم وقولوا لهم قولا معروفا)** النساء / ٥ فنسبت الاية اموال السفهاء الى المسلمين جميعا لعموم منفعتها ولتبرير انتزاعها من ايدي اصحابها بسبب السفه .

ونظرة الاسلام هذه الى المال لاتجعل لاصحاب الاموال حرية مطلقة في التصرف لا في المال ولا في منفعته بل تصرفهم في المال وفي منفعته مرهون بحدود التفويض الصادر من الله المالك الحقيقي والى المستخلف عليه . وتفويضه في التصرف هو ما جاء في القرآن . وما جاء في القرآن : منه ما هو خاص بانفاق المالك على نفسه وهو حد الاعتدال : **(ولا تجعل يدك مغلولة إلى عنقك ولا تبسطها كل البسط فتقعد ملوما محسورا)** الاسراء / ٢٩ ومنه ما هو خاص باصحاب الحاجة : وهو عدم الارجاء في توصيل حقوقهم في منفعة المال اليهم : **(وآت ذا القربى حقه والمسكين وابن السبيل ولاتبذر تبذيرا)** الاسراء / ٢٦ اي لا تكن سفيها في المال فتنفقه في غير نفع لك او للمسلمين . **(إن المبذرين كانوا إخوان الشياطين وكان الشيطان لربه كفورا . وإما تعرضن عنهم ابتغاء رحمة من ربك ترجوها فقل لهم قولا ميسورا)** الاسراء / ٢٧ و٢٨ .. **(وهو الذي انشأ جنات معروشات وغير معروشات والنخل والزرع مختلفا أكله والزيتون والرمان متشابها وغير متشابه كلوا من ثمره اذا أثمر وآتوا حقه يوم حصاده ولا تسرفوا إنه لا يحب المسرفين)** الانعام / ١٤١ ومنه ما هو خاص بانماء المال فلا تكون وسيلة انمائه غير مشروعة كالتعامل بالربا ولو بادنى درجاته لان الربا وهو يقوم على انتهاز حاجة الغير يؤدي الى اضراره . والاضرار بالمال ضد وظيفته الاجتماعية التي تتمثل في منفعة العامة للمالك ولغير المالك على السواء وحرمة الربا لاتقوم فقط على تفويت المال لوظيفته الاجتماعية بسبب الحرمان من منفعته بل لانه

كذلك يوصل الضرر الى الاخرين .
واذن حدود هذا التصرف المأذون فيه في المال هو :
* الاعتدال في الانفاق الخاص .
* توصيل منفعته لاصحاب الحقوق فيها في غير ارجاء .
* عدم الاسراف او عدم السفه في انفاق جزء منه ولو قليلا والاسراف او السفه في المال هو انفاقه في محرم ولو كان قليلا كانفاقه في مسكر او في منكر كالقمار وفيما هو ضد مصلحة المسلمين كمساعدة اعدائهم او التآمر معهم عليهم ...
* عدم استخدام الربا في انمائه .
ولان الملكية الخاصة هي اذن الاصل الثابت في الاسلام كان التدخل في هذه الملكية بالحجر على بعض المال أو الحجر على منفعة بعضه فضلا عن الحجر عليه كله او الحمل على تركه او ترك بعضه للدولة : امرا لايقره الاسلام : (**قل لا أجد فيما أوحي الى محرما على طاعم يطعمه إلا أن يكون ميتة أو دما مسفوحا أو لحم خنزير فانه رجس أو فسقا أهل لغير الله به فمن اضطر غير باغ ولا عاد فان ربك غفور رحيم**) الانعام / ١٤٥ .

فالقرآن يرد بهذا التبليغ الالهي على ما كان شائعا ومعروفا في سياسة الكهنة . وسياسة الكهنة تمثل ما يسمى بسياسة الحكومة الدينية في الماضي . وكانت هذه الحكومة في العهد الجاهلي او العهد الوثني المادي تتدخل في الملكيات الخاصة . ويحكى القرآن هذا التدخل في عدة صور :

* التدخل باخذ نصيب من المحاصيل الزراعية او من الثروة الحيوانية باسم البر او الخير يعطي للكهان ولكن يحتفظون به لانفسهم لانهم القائمون بالسياسة : (**وجعلوا لله مما ذرأ من الحرث والأنعام نصيبا فقالوا هذا لله بزعمهم وهذا لشركائنا فما كان لشركائهم فلا يصل إلى الله وما كان لله فهو يصل إلى شركائهم ساء ما يحكمون**) الانعام / ١٣٦ .
* منع التصرف في بعض انواع معينة من الثروة الحيوانية ومن المحاصيل الزراعية ، الا باذن من الكهان : (**وقالوا هذه أنعام وحرث حجر لايطعمها إلا من نشاء بزعمهم وأنعام حرمت ظهورها وأنعام لايذكرون اسم الله عليها افتراء عليه سيجزيهم بما كانوا يفترون**) الانعام / ١٣٨ .
* التدخل فيما يباح وما لايباح في الاكل للنساء دون الرجال أو النساء والرجال معا : (**وقالوا ما في بطون هذه الأنعام خالصة لذكورنا ومحرم على أزواجنا وإن يكن ميتة فهم فيه شركاء سيجزيهم وصفهم إنه حكيم عليم**) الانعام / ١٣٩ .
* التدخل فيما يستخدم من الحيوان في فترة معينة في الحمل والركوب وما لا يستخدم مما هو مملوك للناس : (**ما جعل الله من بحيرة ولا سائبة ولا وصيلة ولا حام ولكن الذين كفروا يفترون على الله الكذب وأكثرهم لا يعقلون**) المائدة / ١٠٣ .
فالقران ينقل عن الله هنا : ان ما

يملكه الناس من ثروة ومال ، ممثلا في الزراعة أو الحيـوان ـ والزراعـة والحيوان يمثلان اساس الاقتصاد العام في كل مجتمع ـ لايجوز التدخل فيه بوجه من الوجوه وينبغـي ان لايكون هناك تدخل بالحل والحرمة في صورة ما يأذن به الله .

نعم يتدخل القرآن بالحل والحرمة فيما يمس كرامة الناس او علاقة بعضهم ببعض على نحو ما يقـول القرآن ـ في سورة الانعام ـ تعقيبا على صنيع الكهـان في الحكومـات الالهية السابقة في قول الله تعالى :

(قل تعالوا أتل ما حرم ربكم عليكم ألا تشركوا به شيئا وبالوالديـن إحسانـا ولا تقتلـوا أولادكم من إملاق نحن نرزقـكم وإياهـم ولا تقربوا الفواحش ما ظهر منها وما بطن ولا تقتلوا النفس التي حرم الله إلا بالحق ذلكم وصاكم به لعلكم تعقلـون . ولاتقربـوا مال اليتيم إلا بالتي هي أحسن حتى يبلغ أشده وأوفوا الكيل والميزان بالقسط لا نكلف نفسا الا وسعها وإذا قلتم فاعدلوا ولو كان ذا قربى وبعهد الله أوفوا ذلكم وصاكم به لعلكم تذكرون . وأن هذا صراطي مستقيمـا فاتبعـوه ولا تتبعـوا السبل فتفرق بكم عن سبيله ذلكم وصاكم به لعلكم تتقون) الانعام / ١٥١ ـ ١٥٣ .

* وفي جانب السلوك الفردي في الحياة الخاصة والعامة ينصح بعض هؤلاء الكتـاب والمفكريـن المجتمعـات الاسلامية في وجودها القائم : بان تأخذ ما هو شائع في هذا السلوك لدى الغرب او الشرق الاوروبـي وتغض النظر عما يحكيه الماضي الاسلامي من قيم عليا في الحياة السلوكية ، ورغم ان شعوب العالم الاسلامي تبدأ نهضة جديدة تحتاج فيها الى جدية وقوة في الترابط على اساس من المعاني الانسانية التي يوحي بها الاسلام في العلاقات بين المؤمنين به .

ولكن نصح هؤلاء الكتاب والمفكرين بما ينصحون به هذه المجتمعات قائم على الترابط الوثيـق بـين جوانـب الحضارة الغربية ككل لا يتجزأ .

ولا يتصور هذا البعض من الكتاب والمفكرين انه يمكن تقليد الغربي في علمه وتطبيقه الصناعي ، مع احتفاظ المجتمعـات الاسلاميـة بقيمهـا وعلاقاتها بين الافراد القائمة على هذه القيم بل يرون ذلك معادلة صعبـة لايمكن تحقيقها .

وهم فيما يتصورون يصدرون عن الخلافات الطويلة بين الكنيسـة في اوروبا ورجال العلم والمعرفة منـذ القرون الوسطى فيها . وهي خلافات شحنت بالمهاترات وتبادل الاتهامات وسيطرت عليها الرغبـة في التفـرد بالسلطة من جانب الكنيسة او من جانـب الدولـة في المجتمعـات الاوروبية .

ومن الاسـف قصـور المعرفـة بالاسلام عند هذا البعض من الكتاب والمفكرين في وجودنا القائم يجعلـه يقيس الاسـلام على الكنيسـة وتصرفاتها في الغرب بينما الاسلام لا يدعو الا الى ان يكون هناك جانب

انساني يسود العلاقة بين الافراد ويجعل « الاحسان » في هذه العلاقة هدفا يجب ان يسعى اليه الانسان المسلم كما يسعى الى العدل سواء ، فالاحسان يساوق العدل في الامر به من جانب الله : (**إن الله يامر بالعدل والاحسان**) النحل / ٩٠ .

وليس الاحسان هو بذل العطاء من المال فقط وانما الاحسان يعم :

* الاحسان في القول والحديث : (**وقولوا للناس حسنا**) البقرة / ٨٣ .
* الاحسان في معاملة الوالدين : (**واعبدوا الله ولا تشركوا به شيئا وبالوالدين إحسانا**) النساء / ٣٦
* الاحسان في الفرقة والطلاق : (**الطلاق مرتان فامساك بمعروف أو تسريح باحسان**) البقرة / ٢٢٩ .
* الاحسان في الخصومة : (**ادفع بالتي هي أحسن السيئة**) المؤمنون / ٩٦
* الاحسان في الجدل : (**ولا تجادلوا أهل الكتاب إلا بالتي هي أحسن**) العنكبوت / ٤٦
* الاحسان في الدعوة الى الاسلام : (**وجادلهم بالتي هي أحسن**) النحل / ١٢٥
* الاحسان في دفع المغارم والديون : (**فمن عفى له من أخيه شيء فاتباع بالمعروف وأداء إليه باحسان**) البقرة / ١٧٨ .
* الاحسان في مباشرة مال القاصر والضعيف : (**ولا تقربوا مال اليتيم إلا بالتي هي أحسن حتى يبلغ اشده**) الاسراء / ٣٤ .

فالاحسان هو تعبير عن المستوى الانساني في كل ما يصدره الانسان المحسن في علاقته بغيره ... هو التهذيب .. هو تجنب ما يسيء ولو بالاشارة ولايمكن ان يكون هناك مستوى انساني مع الفوضى والتحلل من الاعتبارات الاخلاقية في المعاملة والعلاقات .

ولا ادري كيف لايمكن الاخذ بعلم الغرب – وليس بفلسفته – وتطبيقه في مجال الصناعة مع ما ينصح به الاسلام من اداء الواجب ، والاحسان في القول ، والعمل ، والمعاملة ؟

ايستقيم ذلك فقط مع شرب الخمر ... ولعب القمار ... وقول الزور .. واستغلال الضعيف .. واللهو بالنساء ... واستباحة الحرمات الشخصية : حرمة المال والعرض والنفس والمسكن ؟

* * * *

* ويأتي الان الجانب الاخير الذي ينصح به بعض الكتاب والمفكرين في هذه المجتمعات الاسلامية القائمة بوجود التقليد فيه لحضارة الغرب مع علمه وصناعته وهو جانب الاسرة او الاحوال الشخصية او جانب الطلاق والزواج وعمل المرأة خارج المنزل .

والغرب ليس له اتجاه واحد في شؤون الاسرة وانما له اتجاهان : اتجاه الكنيسة الكاثوليكية .. واتجاه اخر وهو الاتجاه الجديد او

الاتجاه الحر الذي يرتبط بعمل المرأة في الخارج او الذي يتأثر بالعامل الاقتصادي في الحياة الاوروبية .

فاتجاه الكنيسة الكاثوليكية يبارك « الابدية » في الزواج لانه عقد الهي اي يرفض الطلاق وان كان يأخذ لاسباب تشوب صحة عقد الزواج في القليل من الحالات ، بالغائه او بفسخه . ويتيح الفرصة عند اشتداد الخلاف بين الزوجين لما يسمى بالانفصال « البدني » وهذا الانفصال البدني يمنع من زواج الرجل بامرأة اخرى كما يمنع زواج المرأة المنفصلة من رجل اخر وان كان يبيح معاشرة كل منهما لشخص اجنبي عنهما معاشرة جنسية قد تسفر عن طفل غير شرعي يتبناه المجتمع او الدولة .

والزوجة في العقد الكاثوليكي تلحق بالزوج اي ان كيانها يفقد استقلاله في جوانب عديدة وبالاخص فيما يتعلق بالملكية والتصرفات المالية .

واما الاتجاه الجديد الحر فيسعى لان يتخلص من القضاء في شأن الطلاق . على معنى ان تكون ارادة الزوجين أو رغبتهما في الطلاق ، هي وحدها العامل الحاسم فيه ، كي يساوق الأمر عندئذ تسجيل الزواج الذي يتم بارادة الطرفين . وفعلا يحرز هذا الاتجاه تقدما في بعض دول شمال أوروبا ، كالسويد . إذ اعتبرت الدولة هناك ان الطلاق بارادة الزوجين المشتركة يتم في السجل المدني دون حاجة الى عرض الامر على القضاء وينظر القضاء فقط : الحالات التي يتنازع فيها الزوجان حول الطلاق . فالطلاق في الاتجاه الجديد اذن بيد الزوجين .

وهذا الاتجاه منطلق الان نحو إلغاء الزواج كعقد ملزم للرجل والمرأة في الترابط على نحو معين تضمن الدولة تنفيذه واحلال المعاشرة الجنسية الحرة محل عقد الزواج طالما ان المرأة قد تساوت مع الرجل في الخروج إلى الحياة العامة والعمل فيها ، وطالما أن النفقة امر مشترك والعمل في المنزل امر مشترك كذلك الا اذا عمل اي من الرجل او المرأة في المنزل عندئذ يدفع الطرف الاخر نفقة المعيشة للاثنين رجلا او امرأة على السواء .

وبهذا الانطلاق الجديد للاتجاه الحر في شؤون الاسرة يعفي الرجل وتعفى المرأة نفسها من تدخل الدولة في المعاشرة بينهما . ويبقى للدولة فقط رعاية الاطفال الناشئة عن هذه المعاشرة ولا يعني الدولة في هذه الرعاية ان كان الطفل شرعيا او غير شرعي .

وفي كلا الاتجاهين : تعدد الزوجة لرجل واحد ممنوع . ولكن الزواج « الجماعي » غير ممنوع وتبادل الزوجات غير ممنوع واللواط غير ممنوع والزنا لم يعد سببا للفرقة بين الزوجين كما لم يعد جريمة خلقية على الاطلاق وعلاقة « الصداقة » بين امرأة متزوجة ورجل اجنبي عنها ورجل متزوج وامرأة اجنبية عنه لا تنكرها الحياة الاوروبية العامة وبالاخص في الدول الصناعية بينها .

والمهم ان تكون هناك زوجة واحدة في

عقد زواج لرجل واحد . والتعدد خارج العقد على اي نحو امر غير منكر على الاقل .

ونصيحة بعض الكاتبين والمفكرين في المجتمعات الاسلامية في وجودها القائم هي تقييد الطلاق والغاء الترخيص بتعدد الزوجات .. هي تدخل القضاء في امر الطلاق ، وتدخل التشريع بقصر الزواج في عقد الزوجية على امرأة واحدة .

وفاتت هذه النصيحة : ان الطلاق في الاسلام حل لمشكلة التضرر في المعاشرة الزوجية وهو بيد الرجل والمرأة لها مقابل الطلاق ان تضررت : ان تخلع نفسها والخلع امره معروف وهو في نظر بعض الفقهاء فسخ لعقد الزوجية ، لا يحتاج الى ايقاع الطلاق من الزوج ، بل للقاضي ان يفصل بينهما فصلا غير قابل للرجعة .

.. اي ان الطلاق والخلع كلاهما طريق طبيعي لرفع الضرر في الحياة الزوجية وتقييده او منعه عن غير طريق التهذيب والتربية الاسلامية يخل بهدفه ويصعب امر الزوجية ويشيع اسرارها ويلحق بها اضرارا كثيرة وفاتها ايضا ان تعدد الزوجات رخصة اذن بها الاسلام للضرورة ، اذن بها للحيلولة دون الوقوع في الزنا في صورة ما . وامر الاسرة في الحضارة الغربية لم يمنع تعدد معاشرة الرجل للمرأة معاشرة جنسية في واقع الحياة ، وان منع تعدد الزوجات في الشكل والرسميات . والزنا في هذه الحضارة يكاد يكون وباء عاما كما يكاد تكون النظرة اليه شأنا عاديا .

والان : الم يزل يستوجب الاخذ بالعلم الغربي والصناعة الغربية .. احتضان :

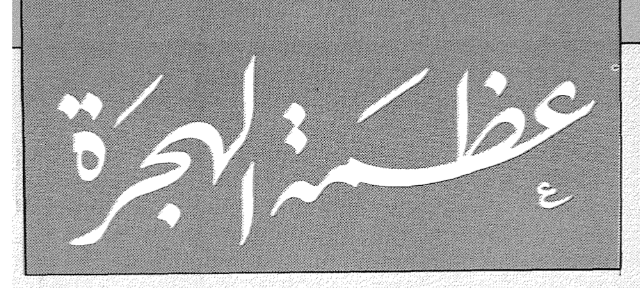
* العلمانية في سياسة الغرب ؟

* واتباع النظام الرأسمالي او الماركسي الاشتراكي في الحكم ؟

* وشرعية الفوضى ، والتحلل ، والاستهتار بالقيم العليا في السلوك الفردي ومباشرة المنكرات من شرب الخمور والقمار وغيرها في الحياة العامة ؟

* ومنع الطلاق وتعدد الزوجات في الاحوال الشخصية واحلال الانفصال البدني محل الطلاق وما يترتب على هذا الانفصال من شيوع الطفل غير الشرعي واحلال الزنا في صوره العديدة محل تعدد الزوجات ؟

ام ان ما يدعو اليه هذا البعض من الكتاب والمفكرين في مجتمعاتنا الاسلامية القائمة من اخذ الوان الحضارة الغربية الاخرى بجانب ما للغرب من علم تجريبي وصناعة تطبيقية : يصور حملة ضد الاسلام مساوقة للحملات الاخرى التي توجه الى الشباب المسلم كي يعف عن الاسلام ويتركه في الماضي البعيد عنه وحده ؟ ام انه يصور جهلا بمبادىء الاسلام وعجزا عن فهم مبادئه وتغطية لهذا الجهل والعجز يطلب الاخذ بالوان الحضارة الغربية طالما للعلم الغربي التجريبي وللصناعة الغربية المتقدمة ضرورة في حياة الناس ، كل الناس على وجه هذه الارض ؟



عظمة الهجرة

للاستاذ احمد عبدالمحسن المنشاوي

في هذا الشهر العظيم المحرم الذي يظل المسلمين بهلاله الكريم ـ يحلو لنا أن نتحدث عن الحدث الكبير ـ الذي غير وجه التاريخ وحول مجراه ، وألبسه حللا من المجد والفخار ، وجعل أسطره مقيمة مقدرة ، بعد ان كانت لا شيء يذكر ، خالية تماما من كل تقييم وتقدير ..

إنه حادث الهجرة الكريمة الذي ما زال يملي على الناس في كل مكان وزمان مفاهيم جديدة ، تكشف امام العقل البشري عن شخصية رسولنا الكريم ، وكيف كان الرسول عليه الصلاة والسلام ـ الانسان والرسول ـ الانسان بما فيه من صفات كاملة فطره الله عليها ، والتي كانت المنبع والمنهل للانسانية الحقة التي أنس لها الوجود ، واطمأنت لها الحياة واستظل في وارف ظلالها الناس جميعا آمنين على اقدس ما يملكون ، واعظم ما يحتفظون وهي إنسانيتهم وبشريتهم ، ، تلك التي ضاعت وضلت الطريق ، حتى في أرقى الأمم حضارة وفي أزهى العصور علما ومعرفة فلم تستطع تلك الحضارات ان تحتفظ لها بأنسانيتها ، وأن تقيم لها بشريتها مثل ما حفظها محمد صلى الله عليه وسلم في كلماته وأحاديثه ، ومثل ما يقيمها الرسول في منهجه وخلقه وشريعته ، والتي حملها إلى الناس من رب العالمين .

إن فلاسفة اليونان وحكماء الاغريق قد اجهدوا انفسهم ليحددوا معنى الانسانية ، ويقيموا معنى البشرية حتى يضعوا في إطار هذا التحديد ، وعلى نمط هذا التقييم قانون الآخلاق ، وضوابط السلوك ، ليكون الانسان مقدسا ، لكنهم غلبوا على امرهم بمادية الحياة وفتنة الملك ـ ففرقوا بين الانسانية واعترفوا في منهجهم الفلسفي والاخلاقي بالطبقية ، والفوارق الاجتماعية والجنسية ، وماكادوا يصلون إلى ما كانوا ينشدونه حتى نكسوا على رءوسهم ...

لكن محمدا صلى الله عليه وسلم اقام صرح الانسانية على خلق وسلوك

ومنهج تطبيقي ، كان الانسان فيه هو خليفة الله في ارض الله ، وكان الانسان فيه هو السيد في هذا الكون ، لا مادية تحكمه ، ولا جاه يستعبده ، ولا بغى ولا ظلم يقهره ويستبد به .

كل هذا واكثر سنتبينه حين نتحدث عن الهجرة بل عن الهجرات التي قام به رسول الله صلى الله عليه وسلم .

معنى كلمة الهجرة وما توحي به

إن للغة العربية دخلا كبيرا في تحديد الاطار المعنوي للكلمة ، وهذا أمر لا بد من ادراكه خصوصا في كلمة الهجرة تلك الكلمة التي هي من جوامع الكلم وإن تجاوزنا في التفسير نستطيع ان نقول : إنها كلمة واحدة تتسع لأكثر من معنى .

فهناك كلمة هجر وكلمة هاجر وكلا الفعلين يجتمعان في مصدر واحد هو كلمة هجرة وتصريف الكلمة الأولى هجر يهجر والمصدر هجرة وأيضا كلمة هاجر يهاجر والمصدر هجرة : ولكن ما يوحي به الفعل الأول غير ما يوحي به الفعل الثاني . فان الفعل الأول هجر معناه يدل على الانتقال الروحي ، كما يدل على الاحتجاب والتجنب للشيء الذي يراد هجره ، مع البقاء في البيئة ـ فهو لا يقتضي في معناه الانتقال الجسمي ولا الانتقال بالحركة ولا الترك للمكان ـ وأما الفعل الثاني هاجر فانه يقتضي معنى واحدا هو الانتقال الجسمي والانتقال بالحركة والبعد عن الوطن والمكان والبيئة ، ولقد اجتمع كل من المعنيين للفعلين في المصدر الذي اتحدت فيه التصريفات الفعلية .

وبهذه المراجعة البسيطة لهذه المفاهيم نرى ان الهجرة ما هي الا ـ قوة وعزم واعداد ـ قوة في شخصية المهاجر ، وعزم على المضي منه في السير على الطريق الذي يدعو اليه وينشده ، واعداد لنصرة دعوته او رأيه أو عقيدته ، ، وعلى ذلك لا يمكن ان يوصف المهاجرون الذين هاجروا مرات في الاسلام قبل الهجرة الى المدينة بالضعف ولا بالهوان ولا بالفراغ امام قوة كانت تخيفهم وترهبهم ، ذلك لأن هذه الصفات لا يمكن ان تكون إلا في المتخاذلين ، وهم ليسوا بمتخاذلين .. لانهم بدلوا دين آبائهم بدين الحق ، وجهروا به في زحمة الطغيان والشرك ، وصولجان الملك وقوة المادة ، ولم يتخاذلوا ولم يستسلموا ، بل كانوا قوة في نظر المشركين تؤرق مضاجعهم وتقلق راحتهم ، وتنغص حياتهم ولقد شهدوا لهم بذلك : ولو كانوا في نظر المشركين غير ذلك ما سهرت عيونهم على مراقبتهم ، وما عقدت نواديهم على محاربتهم ، ولكان الامر عليهم سهلا ميسورا ، خصوصا إذا علمنا ان من بين صفوف المهاجرين من كانوا عبيدا للمشركين ، لا يزالون يملكون رقابهم ولم تتحرر بعد .

وكذلك المهاجر قوة إرادية قد عجز التاريخ عن الترجمة لها ـ وألقى بأقلامه بعد ان تجمدت في ايدي اصحابها .. والدليل على ذلك اننا لو نظرنا إلى الحياة التي انتقلوا إليها

بعد إسلامهم ، والحياة التي كانوا فيها وهم على دين الشرك ، لوجدنا ان الحياة الثانية لهم ــ كانت حياة شظف وحرب وتعذيب وترصد لهم : واي نفس بشرية ترضى بذلك إن لم تكن نفسا قد هاجرت بدافع من قوة ارادية نابعة من نفس راضية ، مؤمنة بأفضلية ما انتقلت اليه ــ وحسبك شاهد انه كان من بين صفوفهم العبيد الذين ذاقوا رغد العيش ، وطيب المقام في كنف اسيادهم ــ قد رضوا بالحياة الثانية واستصغروا كل متاع كانوا فيه بما ادركوه من قوة إرادية ، ، وإرادة قوية في ظل الدين الجديد ، وفي ظل التبعية لمحمد صلى الله عليه وسلم .

الهجرة الاولى والثانية وما حققتهما من نتائج للاسلام

يحدثنا التاريخ الاسلامي ان الرسول الكريم حين بدأ بالدعوة آمن بها نفر قليل من الناس ، وقد خرج هؤلاء النفر من بين صفوف المشركين ليكونوا الصف الاول للدين الجديد ، ولما كانت الدعوة مدركة من المشركين على انها حدث مفاجيء وحدث جديد ــ يذيب ما كان لهم من كبرياء وسلطان انبرى هؤلاء المشركون من اللحظة الأولى لفتنة هذا النفر الذي آمن بالله وبالدعوة واشتد إيذاء المشركين لهم ، واشتد مع الايذاء التنكيل بهم ، حتى استشهد اول شهيد في الاسلام وهو عائلة ياسر تلك العائلة التي ضربت بسهم وافر في الايمان والتضحية والاستشهاد وما كان يملك لهم المسلمون في تلك الآونة ولا رسول الله شيئا إلا تلك الكلمات التي خلدها التاريخ وقالها الرسول لهم وهم يلقون الموت واحدا بعد الاخر : (صبرا آل ياسر فموعدكم الجنة) .

واضطر المسلمون إلى الهجرة ، واذن لهم الرسول الكريم بالهجرة إلى الحبشة ، فهاجر منهم نفر ، وبقى في مكة منهم نفر .

وهنا يجب ان نرجع بأمانة التاريخ والعلم إلى الوقوف لحظة مع هؤلاء المهاجرين ، فلسنا في هذه المحاضرة نريد سرد قصة الهجرة سردا تاريخيا فقط ــ ولكن نريد ان ننفذ بالتعميق إلى شخصية المهاجر ــ وإلى تقييم العمل الذي وكل إليه خصوصا إذا علمنا ان الهجرة قد اتجهت إلى الحبشة ــ وهي ليست دار إسلام ولا دار رحم ، واذا علمنا ان المهاجر سينفذ ألى هذا البلد بعد ان يمر على بلاد اخرى ودول أخرى ، قد تعددت فيها المعتقدات وتعددت فيها اللهجات واللغات ، واكبر من ذلك قد تعددت فيها المناهج الدينية والاخلاقية ــ فأول بلد هي اليمن المسيحية والتي تتبع الفرس في الادارة والتنظيم ، ثم السودان الجنوبي ، ثم الصومال ، وهما على دين الوثنية بل وعلى أديان اخرى لم تتصل بالرسالات السماوية ، ثم إلى الحبشة المسيحية وفيها الامبراطور النجاشي وهو

الوكيل الأول للمسيحيين . كل هذا يحملنا على الوقوف بالدرس قدر ما في طاقتنا العلمية أمام شخصية المهاجر خصوصا إذا علمنا انه ممثل للرسول في هذه الهجرة ـ وأنه صاحب دين يتعارض مع أصحاب هذه البلاد التي يسير عليها .

لقد جرت العادة بأن الأمم ترسل سفراء لها يمثلونها في الدول الاخرى ويكونون حلقة الاتصال والتعارف والترابط بينها وبين تلك الدول ـ وفوق ذلك إن استطاع سفراء ان ينقلوا شيئا من الانظمة السياسية او المذاهب السياسية التي تدين بها اممهم إلى تلك الدول تكون مهمة السفير لدى دولته قد اصبحت ناجحة كل النجاح .

وليس كل انسان يستطيع ان يقوم بهذا التمثيل ، وان يؤدي السفارة حق الاداء ، لذلك تجهد الامم نفسها في انتقاء رجال من بين صفوف رعيتها يكونون اهلا لتحمل هذه المسئولية ، وتكون قد توافرت فيهم صفات اقلها تلك الصفات التي تعارف عليها الناس باسم الصفات الدبلوماسية ـ وهي السياسة وحسن التخاطب والتصرف ـ .

والمهاجرون إلى الحبشة هم في الواقع سفراء للدعوة الاسلامية وممثلون للدين ولشخصية الرسول الكريم ـ إذن فلا بد من ان تتوافر في المهاجرين تلك الصفات التي هي للسفراء ـ والتي ابرزها دبلوماسية الشخصية .. او الشخصية الدبلوماسية .

وقد تكون مهمة السفراء سهلة ميسورة ذلك لانهم لا يمكن لهم ان يدخلوا بلدا الا باذن من حكومتها ، اما المهاجر فهو سفير عليه ان يخلق لنفسه على طريق الهجرة صفة القبول لدى الدولة المهاجر إليها وعليه ان يخلق لنفسه قوة الشخصية وقوة التأثير ليستطيع اجتياز البلاد التي سيمر عليها إذن فليس هو انسان عادي قد تعارف على دين فاعتنقه ، بل هو شخصية دبلوماسية ، وقد امن له الرسول صاحب الرسالة على ان يكون ممثلا له تمثيلا شخصيا وتمثيلا سياسيا ، وإذا كانت الشروط في التمثيل الشخصي للملك او رئيس تقتضي ابراز اهم الصفات التي تحدد الاطار الصادق لهذا الرئيس او ذاك الملك فمن الصعب جدا ان يكون هناك من يمثل اطار الرسول الكريم الا ما اطمأن اليه الرسول في هذا التمثيل وهم المهاجرون .

تقييم العمل المنوط بهم « بالمهاجرين »

قد تكون النظرة البسيطة والضوء البسيط الذي يلقيه الانسان العادي على العمل المنوط به هؤلاء المهاجرون هو مجرد طلبهم لأرض بعيدة يكون بها امان اكثر ، وحسن جوار اكثر ـ ولكن النظرة من العلماء تختلف تماما مع هذه النظرة البسيطة لهذا العمل الجليل ، فالمهاجرون قد التقوا على

الهجرة اولا بأهل اليمن ، وهم متصلون بهم عن طريق الأرحام ، وفي مقدورهم آنذاك استضافتهم وحسن جوارهم ومنعتهم ، لكن ما كانت اليمن محط رحالهم إنما كانت الحبشة .

إذن فطول الطريق الذي كلفوا ان يقطعوه ، وبعد البلد الذي حدد لهم ، يظهر لنا طبيعة العمل الذي نيط بهم (إنه التبشير بالدين الاسلامي) في هذه البلاد التي يمرون عليها ، والتي يستقرون بها ، ولكنه من نوع لم يسبق للانسانية التعرف عليه .

فالمبشرون يزودون بأموال كثيرة وخبرات متعددة من دولهم كالزراعة والصناعة والطب فوق القدرات الدينية التي لهم – حتى يستطيعوا اداء مهمة التبشير . ولم يكن هذا مع المهاجرين ولن يتيسر لهم ذلك – وهم مسئولون امام الله والضمير عن اظهار دينهم لهذه البلاد وهنا تظهر ايضا قوة الدبلوماسية الشخصية للمهاجر وسياسته ، فانها تعلو فوق كل تمثيل سياسي تعارف عليه الناس .

وإذا وضعنا في حسباننا ان القوانين التي تؤمن الطرق لم تكن متوفرة ، ولا العلاقات الدولية قائمة وفوق ذلك فان مصادرة الحريات كان سهلا ميسورا امام النخاسين ، تجار الرقيق واهل الغارة على القوافل منه نتبين كيف استطاع المهاجرون أن ينفذوا إلى الحبشة في مثل هذا الطريق ، وكيف هيأوا الاذهان في الدول التي مروا بها لاستقبال دين جديد ، أو على الاقل لاخبار العالم هذا بظهور بعثة جديدة قد لا يلتفت اليها الكثير من الناس ، إنما على الاقل ستعلق ببعض الأذهان وتكون لها تأثيراتها في المستقبل .

ولقد أتت هذه الهجرات إلى الحبشة بما كان يريده الرسول صلى الله عليه وسلم من ابلاغ الدعوة إلى أقصى الجنوب ، وكان من ثمرة هذه الهجرات ان اسلمت أمة في الجنوب للدين الجديد قبل أن يغزو الاسلام مصر في عهد الخليفة عمر بن الخطاب – وهذه الأمة هي (مروتانيا) التي لا يوجد من بين أبنائها من هو على غير دين الاسلام ، وكذلك خلف الاسلام في الصومال اثاره حيث اعتنق بعض ابناء الصومال الدين الاسلامي على يد المهاجرين الأوائل .

الهجرة سنة الله التي سار على دربها كثير من الأنبياء

والهجرة ليست حدثا جديدا ولا سنة مستحدثة : فنحن لو تصفحنا آيات من القرآن الكريم لوجدنا انها طريق سار على دربه كثير من الانبياء والمرسلين . ولما كانت رسالة محمد صلى الله عليه وسلم تسير على فطرة من الرسل كان لا بد من ان يهاجر الرسول صلى الله عليه وسلم حتى يتوافق مع اخوانه الانبياء والمرسلين . وان الهجرة قد يختلف طابعها من رسالة الى اخرى . ولكن هي في جوهرها هجرة مسنونة وفطرة

من الله تعالى .. ونحن حين ننظر الى آية من سورة الاسراء وهي الآية التي تقول :

(وإن كادوا ليستفزونك من الارض ليخرجوك منها واذن لا يلبثون خلافك الا قليلا . سنة من قد ارسلنا قبلك من رسلنا ولا تجد لسنتنا تحويلا) الاسراء ٧٧,٧٦ نجد من هذه الآية انه لا بد من وقوع الهجرة وهي قدر من الله تعالى ، الغرض منها : تحويل وقع الرسالة وقوتها إلى ميدان ايجابي تؤتى فيه بثمرتها وتمكن رسولها من الابلاغ المنوط ، والمكلف به من الله تعالى . وهؤلاء هم الانبياء والرسل الذين ساروا من قبل رسولنا على طريق الهجرة ، فهذا رسول الله تعالى موسى عليه السلام قد هاجر بقومه من مصر إلى أرض سيناء ، بعد ان تسلط عليهم فرعون وقومه ، وهذا رسول الله عيسى عليه السلام هاجر إلى فلسطين من مصر ومن قبلهم خليل الله تعالى إبراهيم الذي تعددت منه الهجرات . فالهجرة سنة الله تعالى على درب الرسالات .

ولقد اراد اهل مكة بعد الفتح ان يظفروا بها مثل اخوانهم السابقين إلى الاسلام ، لانهم ادركوا عظمة هذا العمل وهذه العبادة : ولكن نظرا لان فاعلية الهجرة بعد الفتح لا اثر لها اغلق الرسول الكريم هذا الباب خصوصا وان مكة اصبحت دار إسلام فقال صلى الله عليه وسلم : « لا هجرة بعد الفتح وإنما جهاد ونية » .

هجرة الرسول الى الطائف وآثارها في الدعوة

يحدثنا التاريخ الاسلامي انه في السنة السادسة او السابعة من الدعوة ، خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم من مكة بأول هجراته وكان مقصده الطائف لعله يجد من يقبل الدعوة من اهلها وينضموا الى صفوف المسلمين ويكثر بهم الاسلام .. ولكن الرسول صلى الله عليه وسلم ما كاد يتمثل بين يدي اهل الطائف حتى ردوه وسلطوا عليه الصبيان والعبيد . ولم يجد من بينهم من يتقبل الدعوة او يقبلها .

وهنا نسأل انفسنا ما الذي جاءت به هذه الهجرة من فائدة للاسلام ؟ وما الذي اظهرته هذه الهجرة من شخصية الرسول كانسان ورسول الله صلى الله عليه وسلم ؟

والجواب عن ذلك : هو ان النظرة البسيطة قد تدرك من هذه وقد لا تدرك ولكن مثل هذا الامر لا يمكن ان يقف عنده النظر العلمي وخصوصا النظر الذي ينفذ إلى عمق الامور ويدرك منها الثمار البعيدة ، والحقائق الثابتة الغير مدركة من كثير من الناس .

وان اهم ما يدركه النظر العلمي من هذه الهجرة هو تهيئة الاذهان لاهل الطائف إلى الدين الجديد والدعوة الجديدة : خصوصا إذا علمنا ان مثل هذا الامر لا يمكن يمر عابرا دون ان يخلف وراءه اثارا قد

تكون بعيدة مهملة في اول امرها ولكنها لا تلبث ان تتأصل فيه ويشغل جانبا من جوانب التفكير فيه : خصوصا إذا علمنا ان اليهود كانوا يتخذون من الطائف مقرا لهم كما كانوا يتخذون من يثرب مقرا لهم ، وعندهم من اخبار الرسول في كتبهم ما يجعلهم يفكرون بعد في هذا الامر . فان كان اهل الطائف العرب لم يأبهوا بهذه الدعوة ، فان اليهود في الطائف قد اهتموا بها ، ولكن لم يحملهم هذا الاهتمام على ان يحيكوا مؤامراتهم حول هذه الرسالة لعلمهم كما هو موجود في كتبهم ان الطائف لم تذكر في توارة موسى ولا انجيل عيسى انها بلد رسالة او بلد هجرة لرسالة .

وعلى ذلك تكون الهجرة الاولى الى الطائف قد شغلت اذهان اليهود وهم يمثلون على اقل ثلث اهل الطائف يومها .

واذا نظرنا من جانب اخر للدعوة وهل تحقق منها شيء في هذه الهجرة ؟ نرى ان الدعوة بهذه الهجرة قد بلغت اقصى الشمال وقد استجاب لها ممثل من هذه القرية ، والقرية هذه هي بلد يونس بن متى الذي شهد له الرسول الكريم بالصلاح ، فان التاريخ يحدثنا انه لما لجأ الرسول الكريم الى البستان ليختفي فيه من عبيد الطائف ومن صبيان القوم التقى بغلام وقدم له الغلام العنب وراقبه فاذا بالرسول يبدأ الاكل بـ بسم الله الرحمن الرحيم ثم يختتم الاكل بالحمد لله رب العالمين . ويسأله الغلام ما سمعت مثل هذا في هذه البلاد فمن هو الرحمن الرحيم ؟ فشرح له الرسول صفة الرحمة وأرشده إلى صاحبها ، فأسلم الغلام وسأله الرسول من أي البلاد أنت ؟ قال : من قرية كذا . فقال الرسول : من قرية الرجل الصالح يونس بن متى . فقال الغلام : أتعرفه . قال : هو أخي .

اما من ناحية اظهار ما للرسول الكريم صلوات الله تعالى عليه من صفات تجلت فيها عظمته الانسانية في خلق محمد صلى الله عليه وسلم .

فاننا ندرك ذلك من هبوط جبريل على الرسول الكريم وهو في البستان ومع جبريل الامين ملك الجبال وقول جبريل له : إن ربك قد سمع مقالة قومك لك وإنه سبحانه وتعالى قد أرسل ملك الجبال فمره فليصنع بقومك ما شئت . فاذا بالرسول الجريح الذي لا زالت دماؤه الشريفة تنساب منه على الأرض من تلك الاصابات والذي أصبح في نظر العقل البشري كأنه مغلوب على امره بصد الناس له في مكة والطائف بقوله : « اللهم اهد قومي فانهم لا يعلمون » وهنا نجد أن الوحي جبريل عليه الصلاة والسلام يعجب من الانسان الرسول الذي فطر على أعلى صفات الانسانية والرسالة ، ويقول له : صدق من سماك الرءوف الرحيم . وكانت آية في خاتمة سورة التوبة تقول : (**لقد جاءكم رسول من انفسكم عزيز عليه ما عنتم حريص عليكم بالمؤمنين رءوف رحيم**) .

١٢٨/التوبة .

لقد اظهرت هذه الهجـرة بعض صفات الرسول الا وهـي الرأفـة والرحمة والحرص على الامة من ان تصاب بمثل ما أصيبت به الأمـم السابقة التي كذبت رسلها .

إن نوحا عليه السلام لما ضاق ذرعا بقومـه ، ورأى وعـد الله له بالنصر ، ووضع الله في يده قوة ــ ألا وهي إجابة دعوته في قومه ــ لم يقل مثل ما قال محمد صلى الله عليـه وسلم ــ حين وضعت القوة السماوية في يده (اللهم اهد قومي فانهم لا يعلمون) . بل قال نوح : **(رب لا تذر على الأرض من الكافرين ديارا . إنك إن تذرهم يضلوا عبادك ولا يلدوا إلا فاجرا كفارا)** . ٢٧,٢٦/ نوح .

إن محمـدا لو لم يكن رسـولا بالوحي لكان بانسانيته رسولا وهاديا وسراجا منيرا .

الهجرة الى المدينة وتكوين الدولة الاسلامية .

وننتقل بعـد ذلك بالحديـث عن الهجرة إلى المدينة : وفي الهجرة إلى المدينة مواقف تحتاج إلى الـدرس والتحليل لنتبين شخصية الرسـول اولا ، ونتبين قيمة الهجرة إلى المدينة في الدعوة وفي بناء الامة .

يحدثنا التاريـخ الاسلامـي ان الرسـول الكريـم منـذ ان صده المشركون ، واخـذوا يترصـدون له ويفتنون اتباعه ، سار عليه الصلاة والسلام إلى اتخاذ طريقة أخرى في الدعوة ــ وهي أنه كان يعرض نفسه على الحجيج في موسم الحج يبلغهم الدعوة ، ويدعوهم إلى الله وحده لا شريك له ، وفي السنة الثانية عشرة والثالثة عشرة جاءت اولى ثمار تلك الخطة بما يستبشر به الرسول الكريم من ان جوانب من الارض تتفتـح ابوابها للدعوة وتتقبلها ، بل وتؤمن بها ، مما جعل الرسول الكريم يسير فيها حسب تخطيط بلغ غاية الحكمة والتحفظ ، ولم يكن تلقائيا ولا هو مرهون بالمصادفة ، ذلك لان من وراء الرسول اعداء قد اشتد الحذر منهم وتضاعفت اهتماماتهـم وسهرهـم ومراقبتهم لمحمد وتحركاته ــ ومـن كان في هذا الموقف لا يمكن ان يصدر عن تلقائية او مصادفة بل لا بد من الحذر والحيطة والتخطيط والاحكام لأمور اهمها تعمية القـوم عن أن يكشفوا لقاءاته ــ وأكبر منه ألا يبعث عند المشركين زيادة الاهتمام : لان زيادة الاهتمام به قد تعوق من سير الدعوة والجهاد فيها .

ويحدثنا التاريخ عن اول لقاء تم فيه إسلام ومبايعة ، وهو ذلك الذي حدث في العام الثاني عشرة للدعوة بين رسول الله صلى الله عليه وسلم ونفر من يثرب في موسم الحج ، فلقد عرض الرسول عليهم الدعوة فأسلموا عن اقتناع منهم وفهم ، وفوق هذا عن إرادة سابقة من الله لهم بالتوفيق والهداية ، وهنا وفي هذا اللقاء لا

يفوتنا ان نتبين في رسولنا مباشرته للتخطيط والحرص وعمق الفهم لواقع الحياة . تراه عليه الصلاة والسلام يضع من التعليمات ما يكفل سلامة هذا النفر من الفتنة والاهانة من قريش ثانيا ، وحتى لا تدرك قريش ان خطة العرض قد جاءت بنتيجة في صلاح الاسلام والدعوة ، فدعا رسول الله صلى الله عليه وسلم هذا النفر إلى كتمان إسلامهم وعدم إظهاره حتى يعودوا الى يثرب وهناك فليظهروه متى شاءوا — ومن ناحية اخرى فلقد وقف الرسول الكريم على احوال يثرب كلها وكان عليه الصلاة والسلام يقوم بتقييم كل ناحية ويضع لها تقديراتها ، ومن هذا أنه عليه الصلاة والسلام قيم الناحية الدينية هناك فوجد أن يثرب تضم بين جوانبها ملك مختلف ، فمن وثنية يدين بها الأوس والخزرج ، الى يهودية يدين بها بنو النضير وبنو قينقاع وغيرهم ، ولم يكن هناك اية حرب قائمة بين الفريقين ، ولا صد من فريق لاخر من ان يباشر عبادته وأن يدعو إلى دينه ، وإلا لو كانت الحال في يثرب مثلما هي في مكة لامرهم الرسول صلى الله عليه وسلم بكتمان الاسلام وألا يخرجوا به من بيوتهم .

وفي السنة الثالثة عشرة من الدعوة وفي موسم الحج خطط الرسول صلى الله عليه وسلم للقاء وفد يثرب وقد يكون التخطيط في نظرنا لا يحتاج إلى مبالغة وإحكام خصوصا . وأننا قد علمنا من التاريخ ان اللقاء الأول فيه إسلام ومبايعة .

ولكن الواقع ان هذا اللقاء احتاج إلى تعميق أكثر في التخطيط والتحفظ والكتمان والسرية ، فما كان احد يعرف به حتى من اتباع الرسول ولا من أقرب التابعين له ، وأخذ الرسول الكريم قبل لقائه بالوفد اليثربي يعمل النظر والبحث فيمن يكون معه من اهل مكة في هذا اللقاء حتى تم له بعد طول الفحص والدرس والتقييم فركن إلى العباس بن عبد المطلب وكان العباس يومها على دين الشرك ، لكنه كان الرجل اللائق بهذا الأمر في نظر الرسول عليه الصلاة والسلام ، ولقد صدق فيه نظر الرسول فكان الأمين حقا على سر هذا اللقاء ، وإذا تركنا هذا إلى اختيار وقت اللقاء ومكانه نجد أن الرسول الكريم صلى الله عليه وسلم قد حدد الوقت بحساب وتقييم ، وهو طرف من الليل لا يقع في حسبان وتقدير المشركين ومكان من البطحاء ايضا لم يقع في حساب وتقدير المشركين . وهنا نجد أن الأمر قد صار لصالح الدعوة وأن اللقاء تم ، وتم فيه كل ما يكون من شروط اخذ فيها الرسول واعطى ، وحتى تكلم العباس بما يوحي للقوم ان الرسول ليس بالهين عند قومه ، ولا هو بالذي لا يجد منعة ومؤازرة من أهله ، مما جعل الرسول في نظر أهل يثرب هو أغلى هدية سارت إليهم ، وأكبر فضل من الله أصابهم .

وإذا نظرنا إلى البيعة الأولى نجد أن عدد المتبايعين مع الرسول كان لا

يزيد عن ثلاثة عشر رجلا وفي الثانية بلغ السبعين ، أي أنه في سنة واحدة كانت النتيجة في صالح الاسلام أكبر من ثلاث سنوات للدعوة في مكة ، مما جعل الرسول يستبشر بالعهد الجديد الذي انتقلت إليه الدعوة الكريمة .

وفي هذه السنة كان الحال عند المشركين على أشده من التفكير في الخلاص من الداعي إلى الاسلام ، خصوصا وأن أقصى ما وصلوا اليه من الفتنة لم يأت بما كانوا يريدون ـ فالمهادنة التي عرضوها على الرسول ـ لم تأت بما كانوا يريدون ـ والمقاطعة لبني هاشم ومعهم محمد والمسلمون ثلاث سنوات لم تأت بما كانوا يريدون ، والصد والتعذيب والترصد للدعوة لم يأت بما كانوا يريدون ، وتألب الناس على رسول الله وعلى أتباعه لم يأت بما كانوا يريدون . اتفق ناديهم المنكر على الخلاص من الرسول وهداهم شيطانهم إلى قتل الرسول بالصورة المعروضة في كتب التاريخ .

ومما استقرأه الرسول الكريم في قريش واهل مكة هذا واطلعه الله تعالى عليه ، كان التخطيط للهجرة والخروج منها وخصوصا وقد عرف المشركون أن الدار الثانية للاسلام قد تهيأت وأصبحت في انتظار انتقال الرسول إليها ، ولو ان خبر هذا الأمر كان بين الشك واليقين من أهل مكة لأنهم لم يطلعوا على هجرة لواحد من اتباع الرسول حتى جاء يوم هجرة عمر بن الخطاب الذي تحدى القوم وهاجر على مرأى ومسمع منهم جميعا .

وفي ليلة المؤامرة والترصد بباب الرسول من القتلة الآثمين وهذه الليلة كانت في حساب المشركين هي اول خطوة في التخطيط للهجرة من محمد ولكنها كانت هي اللمسات الاخيرة عند الرسول لهذه الهجرة ، فالتخطيط تم من حيث اختيار الظرف المناسب والساعة التي يخرج فيها الرسول ، والخلافة قد تم تخطيطها عند الرسول فاختار لها الرسول الكريم عليا والدار الأولى التي هي على طريق الهجرة قد وضع لها التخطيط ، وعمل كل من في هذه الدار قد وضع له خط السير الذي يلتزم به صغيرا كان ام كبيرا والسرية التامة من كل من جندهم الرسول في هذا ـ قد كان على اعلى درجة حتى ولو تعرض الواحد منهم إلى العذاب الشديد او الموت .

أما من جهة الساعة والظرف الذي يخرج فيه الرسول من بيته فهو في الثلث الأول من الليل والساعة الوسطى من هذا الظرف ، حتى يكون النوم قد سرى إلى عيون المتربصين ، ومما يساعد على ذلك تركيز انتباههم على النائم داخل البيت ونحن نعلم انه مما يساعد على جلب النوم تركيز الانتباه وعدم التنقل به . هذا إذا اضيف اليه عمل الله تعالى لحماية رسوله الكريم والعناية به ـ وأما الدار فهي دار الصديق مما اختارها الرسول لأن تكون المحط الأول ،

وهذه ايضا في التخطيط لها شأن كبير ، ذلك لأن خروج الرسول الكريم إلى تلك الدار لو حدث وقد رآه إنسان فلا يظن أن هناك هجرة ، لأنه كثيرا ما كان الرسول الكريم يتردد عليها – وهي دار أول رجل في الاسلام – وأما التخطيط داخل الدار فهناك عمل (لأسماء بنت ابي بكر) وهناك عمل (لمحمد بن أبي بكر) وهناك عمل (لخادم أبي بكر) .

وكل قد التزم بما رسمه له الرسول الكريم – فأسماء التزمت بالتحفظ على أمر الهجرة داخل البيت وتعمية المشركين – وقد قامت به خير قيام حتى ذهبت بهذا اللقب الذي لازمها فخرا وإعجابا (وهو ذات النطاقين – ومحمد بن أبي بكر التزم بايصال الزاد إلى الرسول الكريم وصحبه في الغار ، ورصد تحركات المشركين ونقل كل حركة وخبر اولا بأول إلى الرسول في الغار .

والخادم التزم بتغطية الآثار لسير محمد بن ابي بكر .

وكان من نتيجة هذا التخطيط والاحكام ان كان القوم على رأس الغار بسيوفهم يلتمسون الرسول والرسول وصحبه يرون القوم من داخل الغار ولكن القوم لم يدركوا شيئا يدل على الرسول وصحبه – حتى أن أبا بكر من شدة ما وقف عليه من هذا الأمر ومن إعجابه بما خططه الرسول قال : يا رسول الله لو نظر احدهم تحت قدمه لرآنا فقال له الرسول الكريم : « ما تقول في اثنين الله ثالثهما » ورجع المشركون ولم يدركوا شيئا .

ووصل الرسول وصحبه الى دار الهجرة الى يثرب حيث كان الأوس والخزرج جميعا في استقبالهما وهنا يبدأ البناء والتأليف ووضع قواعد البناء الأصيل للأمة الجديدة ، التي اتسعت قاعدتها بكثرة اتباعها من الأوس والخزرج – ولو أن اليهود قد انحازوا بعيدا في حصونهم ولم يستجيبوا للدعوة .

وننتقل إلى أول عمل وأول قاعدة وضعها الرسول الكريم في بناء الأمة الجديدة ، كانت هذه القاعدة هو أن الرسول الكريم كان يدرك ما للعصبية والمناصرة في ظلال الجاهلية من أثر سيء ، فأذاب ما بين الأوس والخزرج بواسطة ذلك الشعار الذي اطلق عليه فتوحدت به جبهة اليثربيين وضاعت تلك النعرات القديمة وهي (أوسى وخزرجي) وصار الكل تحت هذا الشعار الجديد وهو (أنصاري) .

وبهذا استطاع الرسول الكريم ان يقضي على الماضي البغيض وان يذيب كل الجاهلية في نفوسهم فكان الواحد منهم لا يذكر لنفسه من فخر الا كلمة انصاري ولا يسأل هل هو خزرجي أم اوسي . وكان هذا في نظر اليهود هو اكبر عمل وأكبر حصن ادخل الرسول فيه الاوس والخزرج – فلا تذكر للماضي ولا تذكر للعداوات ولا فاعلية للنعرات و العصبيات القديمة ، حتى انه في يوم قام رجل من اليهود في السوق والانصار مجتمعون وذكر يوم بعاث وهو يوم حرب كان لأحد الفريقين الانتصار على الآخر وركن

الناس إلى شيطانهم واستلوا سيوفهم ، وما كاد الخبر يصل إلى الرسول الكريم حتى حضر إلى السوق على جواد غير مسرج ، وقال : يا أتباع محمد ـ أهذا يكون وأنا بين يديكم ، فبكى كل من الفريقين وألقوا بسيوفهم وفاءوا إلى الصواب ، ورجع اليهودي بالخزي والعار ، ولم يدرك شيئا من الوقيعة .

وهذا العمل الجليل الذي قام به الرسول الكريم في توحيد جبهة الأوسيين وإذابة الفوارق والنعرات القديمة ـ قيم أيضا من الله تعالى ونزل قول الله : يذكر فضله على الناس ، وفضل رسوله صلى الله عليه وسلم ويدعوهم الله سبحانه وتعالى إلى المحافظة على هذا الاتحاد والمناصرة له حيث يقول تعالى : **(واعتصموا بحبل الله جميعا ولا تفرقوا واذكروا نعمة الله عليكم إذ كنتم اعداء فألف بين قلوبكم فأصبحتم بنعمته اخوانا وكنتم على شفا حفرة من النار فانقذكم منها كذلك يبين الله لكم آياته لعلكم تهتدون)** آل عمران/١٠٣ . والمعنى فألف بين قلوبكم بهجرة محمد صلى الله عليه وسلم إليكم وتسميته لكن بالانصار تلك التسمية التي ضاعت في ظلالها الوارفة كل عداوة وبغضاء ـ وحل فيها كل حب وتقدير وألفة واتحاد ـ .

واما القاعدة الثانية التي وضعها الرسول صلى الله عليه وسلم في بناء الامة فهي المؤاخاة بين الأنصار والمهاجرين ، وفي ظلال المؤاخاة ضاعت كل ادراكات ومفارقات بين صاحب البلد وبين المهاجر وفي ظلال المؤاخاة ايضا ضعفت كل دسيسة وفتنة قام بها اليهود للتفرقة بين الصف الواحد .

اما الدعامة الثالثة فهي بناء المسجد ـ واذا كانت الوحدة بين الأوس والخزرج وإذا كانت المؤاخاة بين الانصار والمهاجرين لهما فاعليتهما في توحيد الصف الاسلامي فان المسجد له أكبر الأثر ايضا في بناء الأمة ، ففي المسجد تقام شعائر الدين ، وهو مركز الاشعاع للدعوة ، ومركز تجميع المسلمين وهو عامل هام من بين عوامل اتحاد الصف الاسلامي واظهار قوته وكيانه ، خصوصا ، إذا وضعنا في حسباننا ان الصلوات كانت مقامة في حصون اليهود ـ وإن وضعنا في تقديرنا ان الاذان قد سن بعد بناء المسجد مباشرة . ندرك اهمية بناء المسجد في تلك الآونة ومدى فاعليته في بناء الأمة .

اما الدعامة الرابعة التي جعلت للصف الاسلامي صفة الدولة والاجتماعية حتى باشرت بواسطته تخطيطها السياسي والتعرف على مدى ما يكون من ارتباطات دولية في ذلك ما قام به رسول الله (صلى الله عليه وسلم) من معاهدات في الجبهة الداخلية لتأمين التحرك الاسلامي وانطلاقه الى آفاق بعيدة جاءت ثمرتها التي بهرت العالم كله .

ومن الأمشاج أزواجاً أزواجاً

محمد نبهان سويلم

٤

ذكرنا في ثلاث دراسات علمية سابقة بعض ما يمكن أن تنطوي عليه آية ، أو جزء من آية من عطاء علمي غير محدود ، ولقد رأينا في هذه الدراسات كيف كانت بدايات الخلق أزواجا أزواجا ، أو بتعبير القرآن الكريم : **(ومن كل شيء خلقنا زوجين)** الذاريات/ ٤٩ .. فجاءت الجسيمات أزواجا أزواجا ، والأكوان أزواجا أزواجا ، والخلايا أزواجا أزواجا ، ولازالت الآيات العظيمة التى وردت في هذا الكتاب المجيد تؤيد كل الاكتشافات العلمية الحديثة ، تلك الاكتشافات التى توضح لنا أن الخلق قد قام على فكرة الزوجين .. ما نعلم منه ، وما لا نعلم ، وهو ما أشارت اليه الآية الكريمة : **(سبحان الذى خلق الأزواج كلها مما تنبت الأرض ومن أنفسهم ومما لا يعلمون)** يس/ ٣٦ .

ولقد تساءلنا في آخر مقال لنا على صفحات هذه المجلة الغراء ، تساءلنا وقلنا : اذا كانت الخلايا الجنسية في

النطفة التي هي من (مني يمنى) قد جاءت أزواجا أزواجا ، وأن منهـا إناثا ونكرانا ، اذا كانت هى كذلك حقا ، وكما أيدتها العلوم الحديثة ، وكما أشار اليها القـرآن الكريـم تلميحا منذ حوالي ١٤ قرنا ، فهل هى بدورها ـ أى الخلايا ـ قد حوت في مكوناتها أزواجا من داخل أزواج ؟.. وما هى طبيعة تلك الأزواج ؟

إنها ـ أى الأزواج ـ مما لا يعلم الناس ، لأن مجالها الحقيقى يبرز ويتجلى في معامل العلماء ، ومع أن العلماء قد اكتشفوا هذه الأزواج التى من داخل الأزواج منذ حوالي مائة عام ، أو يزيد ، مع نلك ، فانهم لا يزالون ينهلون من بحورها العميقة ، ورغم نلك لم يحصلوا من أسرارها الا على القليل ويبقى الكثير ... « مما لا يعلمون » .. لكن ، كلمـا بحثنـا وعلمنا وجمعنا ، تجلت لنا قدرة الله العظيمة بغير حدود ، وعندئذ نردد عن علم وخشوع :(**إنا كل شىء خلقناه بقدر**) القمر/٤٩ .

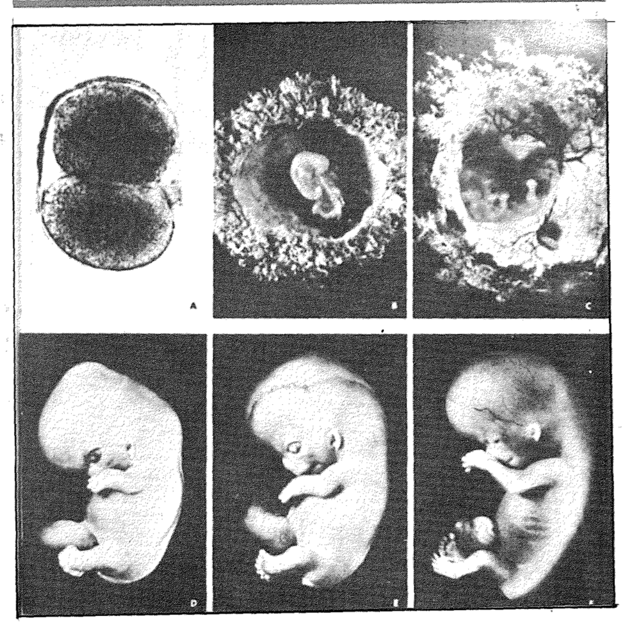
دعنا إذن نعود الى الأزواج على مستوى مكونات الخلايا ، لنعلم منها كيف أوحى الله في كل خلية أمرها ، كما أوحى في كل سماء أمرها .

في سورة الانسان ، تجىء الآية الثانية بقول جميل يحتوى على أصول علمية لا تدرك الا من خلال التعمق في أصول الأشياء .. يقول الله تبارك وتعالى في تلك الآية الكريمة : (**إنا خلقنا الانسان من نطفة أمشاج نبتليه فجعلناه سميعا بصيرا**) الانسان/٢ .

والنطفة هنا هى ماء الرجل أو منيه ، والأمشاج ـ كما جاءت في كتب التفاسير تعنى الأخلاط ، أو ما خلط بين الرجل والمرأة .. يقـال : مشج يمشجه مشجا ، أى خلطـه خلطا .

وهذا صحيح تماما ، لكن الخلط فيه ظاهر وباطن ، ولن يتجلى لنا الباطن الا تحت عدسات المجاهر ، وعندئذ نرى الأمشاج وهـى تمـر بمراحل ، كل مرحلة منها قد قدرت تقديرا ، وكأنما نحن نشهد تمثيلية الحياة في أدق وأروع صورها ، فهى بعد قليل ستعبر عن نفسها ، والتعبير سوف يتجسد في مخلوق قادم ، وهو أعظم حدث يتم في هذا الكوكب ، أو ربما في هذا الركن من الكون العظيم الذي نعيش فيه ، ثم لا نعرف عنه الا نزرا يسيرا ، هذا رغم أن ما جمعناه يبدو أمام عيوننا كبيرا ، وفي عقولنا عظيما !

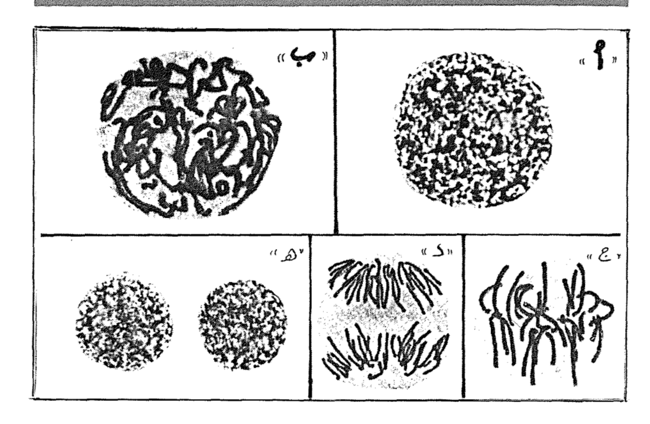
ان خلق الأزواج في النطفة على هيئة حيوانات منوية نكرية وأخرى



« هو الذي خلقكم من تراب ثم من نطفة ثم من علقة ثم يخرجكم طفلا » والصورة تبين مراحل تطور الجنين بداية من الخلية التي تراها وقد اصبحت اثنتين (الى اليسار فوق) .

أنثوية ، وبنسبة متساوية تماما ، ثم التحام أو خلط المكونات الوراثية لحيوان منوى مع المكونات الوراثية لبويضة ليس أمرا عشوائيا ، ولا عملية سهلة كهذا الكلام ، بل إن دراسة هذه الظاهرة المثيرة قد استنفدت من عمر العلماء أعواما تلو أعوام ، ولقد تجلت لهم وحدة الفكرة في المخلوقات جميعا ، بداية من الميكروب حتى النبات والحيوان والانسان ، وفيها تنفصل الأزواج لتكون فرادى ، ثم يحدث الخلط في الأمشاج (وهى هنا الوحدات التي تختلط والتي نعرفها علميا باسم الكروموسومات أو الصبغيات) لتصبح أزواجا أزواجا .

ولكى نوضح ، دعنا نتعرض



شكل (١)

الوحدة في الخلق قائمة بين نبات وحيوان وانسان .. وفي الصور المنشورة هنا تظهر عملية الانقسام او التكاثر في خلية نباتية ، لاحظ ان الامشاج في البداية غير واضحة في النواة (أ) ، ثم انه عند بداية الانقسام تبدأ في الافصاح عن نفسها (ب) ، ثم تتحدد شخصياتها ، ويعطي كل زوج من نفسه زوجا (اي يتضاعف عدد الامشاج (جـ) ، ثم يرحل كل نصف الى قطبي الخلية (د) ، فتأتي كل خلية جديدة بنفس عدد الامشاج التي كانت تحتويها الخلية الام ، وفي النهاية تختفي الامشاج (هـ) في نواتين جديدتين ، وعلى مثل هذا الطريق تسير الخلايا في كل الكائنات ومن كل شيء فيها زوجان !

لجوهر الأزواج في الانسان ، وما يجرى على الانسان ، يجرى على الميكروب والنبات والحيوان ، فالكل من عند الله ، **(ولن تجد لسنة الله تبديلا)** الأحزاب/٦٢ ، بل هى وحدة في الخلق واحدة !

في الانسان ملايين الملايين من الخلايا الجسدية (حوالي ٦٠ مليون مليون خلية) ، ونشأتها جميعا جاءت من خلية وحيدة ملقحة ، هى البويضة في رحم أنثى ، ولقد اختلطت أو تلقحت أو امتزجت بحيوان منوى واحد ، فيصير منها الذكر أو الأنثى ، مصداقا لقوله تعالى : **(وأنه خلق الزوجين الذكر والأنثى . من نطفة إذا تمنى)** النجم/٤٥ ــ ٤٦ ، ولقد ترك لنا القرآن هنا حرية الاختيار ، كل على قدر ما علم ، فان كان القصد من الآية الكريمة هو الزوجين اللذين

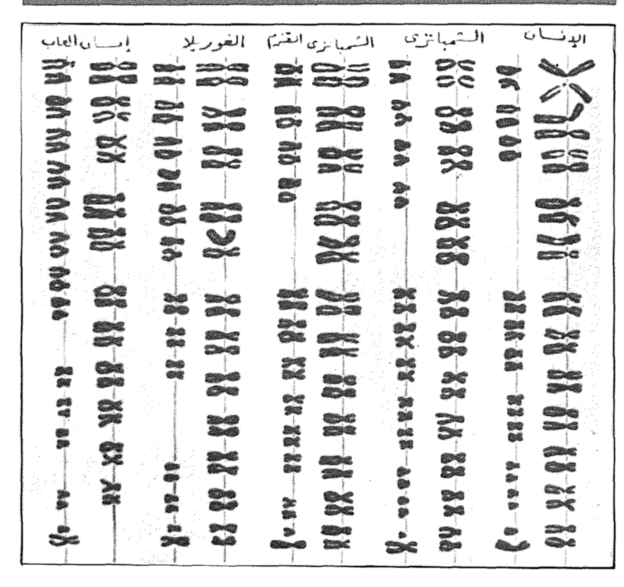
نراهما رؤيــة العــين : أى الــذكر والأنثى ، أو الرجل والمرأة ، فان من رأى ذلك ، ليس بخارج على أحكام القرآن ، وان كان القصد من الآية هو الزوجين الكائنين في النطفة على هيئة حيوان منوى ذكرى ، وآخر أنثوى ، فان له ما أدرك ، لأن الآية مناسبة وصحيحة أيضا في هذا المجال ، وإن نظر نظرة شاملة جامعــة ، وأخــذ المعنيين ، لكان أيضا على صواب ، وهذا عطاء سخى جدا للقرآن ، لأنك تنهل منه على قدر ما تعلــم .. أن ظاهرا فظاهرا ، وان باطنا فباطنا !

اذا عدنا للجسد ، وأخذنا منــه خلية واحدة .. أية خلية تشاء ، من أى عضو أو نسيج تشاء « عدا كرات الدم الحمراء » فانك لا شك واجد لها قيادة أو هيئة حاكمة حكيمة ـ هى النواة ، أو « كتاب » الخلية المكتوب بعناصر هذه الأرض ، والتي عبر عنها القرآن الكريم أوجز تعبير بقولــه : **(والله خلقكم من تراب ثم من نطفة ثم جعلكم أزواجا)** فاطر/١١ .. وقوله : **(هو الذى خلقكم من تراب ثم من نطفة ثم من علقة ثم يخرجكم طفلا)** غافر/٦٧ .

لكن لا الخلية ولا النواة بظاهرة للبصر ، لأنهمــا فيمــا وراء حدود عيوننا ، ولكى نراهما ، فلابــد أن نستعين بعين أخرى تتمثل في « عين » المجهر الذى يكبر الأشيــاء مئــات وآلاف المرات ، وبهذا المجهر نستطيع أن نكتشف أمورا مثيرة وعظيمة ، وكثيرا ما تضن مكونات الخلية على الألباب ، وتغم على الأفهام ، لكن بمزيد من الصبر والبحث والتعمق توصلنا الى أمور ما كانت لتطرأ لنا على بال ، ومع ذلك فقد أشار اليها القرآن الكريم اشارة عابرة يعيها أهل هذا الزمان .. هذه الاشارة تلمح بأن الخلق جاء زوجين زوجين **(ومن كل شئ خلقنا زوجين)** الذاريات/٤٩ ، حتى ولو كان هذا الشئ مكونات في داخل نواة خلية في عالــم النبــات والحيوان والانسان .

هذه المكونات قد أشرنا اليها قبل ذلك على أنها الأمشاج أو الأخلاط أو « الكروموسومات » أو الصبغيــات ، وهذان الاسمان الاخيران جاءا من كون مكونات النواة تصطبغ أكثر من غيرها بالاصباغ ، فتتجلى لنا بعض تفاصيلها الدقيقة .

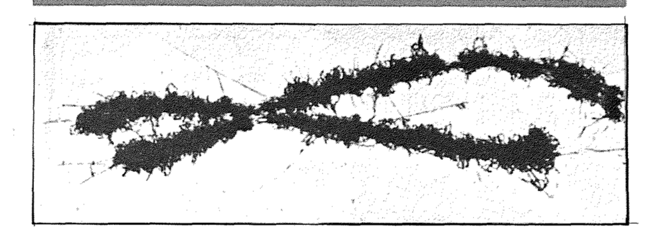
على انك لو اطلعت على الصور المنشورة هنا لوجدت أن الخلية ما بين انقسام ونمو ، أو نشــاط وتوقــف (توقف نسبي) ، انما تمر بأطــوار عدة ، وطبيعى أننا لن نتعرض هنا لتفاصيل الفكرة التى أودعها الله في « مخ » الخلية أو نواتها ، لكن يكفي أن نشير فقط الى أن الأمشاج أو الكروموسومات تنتشر في النواة دون تحديد « لشخصياتها » ، أو كأنما هى تختلط وتمتزج دون أن تنم عن وجــود « أزواج » يمــكن التعــرف عليها ، لكن الأزواج تظهر فقط في حالة توالد الخلية ، وانتاج أجيال أو نسخ منها ، وهو ما نطلق عليه اسم عملية الانقسام والتكاثر (شكل ١) .



شكل (٢)
وحدة الخلق تتجلى في الامشاج او الكروموسومات التي اصبحت القاسم المشترك الاعظم بين جميع الكائنات .. انها هنا ازواج متشابهة ، عدا الزوج الاخير فأحدهما اكبر من صاحبه ، انهما مشيج الانثى ومشيج الذكر (× ، y) .
لاحظ ان للانسان ٢٣ زوجا بما في ذلك زوج الذكورة والانوثة .

فبداية الخلية الملقحة في الانسان توضح لنا فكرة الزوجين التي أشار اليها الله في القرآن ، ففيها أو في أية خلية تنشأ منها ، يوجد اثنان وعشرون زوجا من الكروموسومات أو الأمشاج ، هذا بالاضافة الى زوج آخر له في تحديد جنس المخلوق شأن يذكر .

أى أن ما تحتويه نواة خلية الانسان هو بالضبط ٤٦ كروموسوما أو مشيجا .. ولقد جاءت أزواجا أزواجا .. كل زوجين متشابهان تماما ، أو قل إن احدهما نسخة طبق

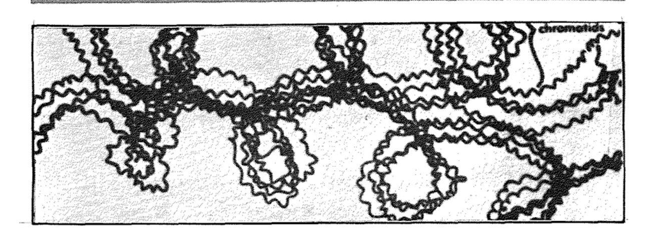


شكل (٣)
امشاج من داخل امشاج ، ولقد جاءت بدورها ازواجا ، لكن الامشاج الاصغر التي في داخل الامشاج الاكبر قد تحولت الى ظاهر ، ولكي نطلع على باطنها ، او على هذه الاشرطة المبعثرة حولها ، فلا بد من تكبير اكبر (الصورة لاحد الامشاج في الانسان) .

الأصل من « أخيه » ، عدا الزوجين اللذين يحددان جنس الانسان ، اذ كان لاختلافهما أن جاء الذكر مختلفا عن الأنثى ، ودعك اذن من المنادين بالمساواة بين هذا وتلك في كل أمر من أمور الحياة ، لأن هذا يخالف شريعة الله ــ يخالفه في أسس الخلق ظاهرا وباطنا ، فالاختلاف حقا بين (ولكن أكثر الناس لا يعلمون)) شــكل ٢) .

لكن اشارة القرآن الكريم:(**ومن كل شيء خلقنا زوجين**) ، لا تقتصر فقط على ان الامشاج قد جاءت زوجين زوجــين ، بل إن كل مشيــج أو كروموسوم من الستــة والاربعــين الموجودة في نواة كل خلية من خلايا الانســـان ، قد جاء بدوره ــ اي الكروموسوم ــ على هيئة زوج مترابط قرب منتصفه ، وكأنما ينطبق عليه ما جاء في جزء من الآية الكريمة:(**وجعل منهـا زوجهـا ليسـكن إليهـا**) الاعراف/ ١٨٩ صحيح أن هذه الآية تقصدنا ، لكن المعنى الكبــير نراه صالحا على ما في داخلنا من ازواج ظلت خافيــة على عيوننـــا كل هذا الزمان ! (شكل ٣) .

والحكمة في خلق الزوجــين على مستوى الأمشاج لا تخفى على لبيب ، ذلك أنها في طور من أطوار انقسام الخلية ، تتقارب الأزواج المتشابهة أو المتناظرة بحيث يحتضن كل زوج « قرينه »، ليأخذ منه ، ويعطي له ، وكأنما صور الأزواج ــ في عالمنا المنظور ــ تتكرر هنا بصورة اكثر اثـــارة على مستــوى الأمشـــاج .. صحيح أن تقابل الذكر والأنثى في حالة الجماع هي عملية أخذ وعطاء ، وفيها تتقابــل الخلايــا الجنسيــة وتختلط ، ويذوب « الزوجان » ــ اي الخلية الذكرية والأنثوية ــ في كيان واحد ، وبحيث تصبــح الخليتـــان



الشرائط كثيرة وطويلة وتدور وتلف ازواجا ازواجا ، لكن باطنها لايبين ، وعليك ان تتأمل في الصورة التالية (شكل٥) لترى ازواجا من داخل ازواج .

الجنسيتان خلية جسدية واحدة ، ومن هذه الخلية تنشأ كل خلايا المخلوق بعد ذلك .

وكذلك نرى تمثيلية الحياة الرائعة تتكرر على مستوى الأمشاج ، اذ يلتحم الزوجان منهما بعد الخلط والاخصاب ، فيبدوان وكأن الكيانين قد أصبحا كيانا واحدا ، او من كل زوجين زوجا واحدا ، فاذا نظرت الى الأمشاج التي تكون خلية الانسان في هذا الطور ، لرأيت ان الستة والأربعين زوجا قد أصبحت ثلاثة وعشرين زوجا ، اذ عندما عرف كل زوج زوجه ، ، وتقابل معه ، وسكن اليه ، والتحم به ، وتبادل معه المعلومات الوراثية ، انفصل عنه ، ليستعد لأمر جليل يتوقف عليه طوفان الحياة في كل المخلوقات (شكل ٤) .

لن نطيل عليك في هذه التفصيلات ، فليس هنا مجالها ، رغم أنها توضح لنا أن الله قدر فخلق فسوى ، وأنه اشار الى ذلك باقتضاب في آيات بينات:(**إنا كل شيء خلقناه بقدر**) القمر/ ٤٩ ، (**وخلق كل شيء فقدره تقديرا**) الفرقان/ ٢ وليس هناك ابداع أو اتقان واقتدار ونظام أروع مما نراه في بدايات خلق الكائنات ، وهو يحضنا على ذلك حضا ، ويشير الى ذلك في آية كريمة : (**قل سيروا في الأرض فانظروا كيف بدأ الخلق**) العنكبوت/ ٢٠ .

على أنه توجد عمليتان هامتان جدا في فصل هذه الأزواج ثم اختلاطها على مستوى الأمشاج ، ولا بد أن تسير كل عملية سيرا منظما ودقيقا غاية الدقة ، لأن الخلل هنا لا يغتفر ، فأي خطأ ، يؤدي إلى مرض ، والمرض لا يمكن اصلاحه ، لأنه نشأ من خطأ الأمشاج ، فيؤدي الى عاهة أو عاهات وراثية يقف العلم أمامها حائرا ، لأننا لا نعلم الا القليل جدا من أسرار هذه الكروموسومات ، اذ أنها تحتوي على طوفان هائل من المعلومات ، ويكفي أن تعلم أن آلاف الصفات الوراثية التي تظهر في الكائنات ، انما هي تعبير لما تحويه



شكل (٤)

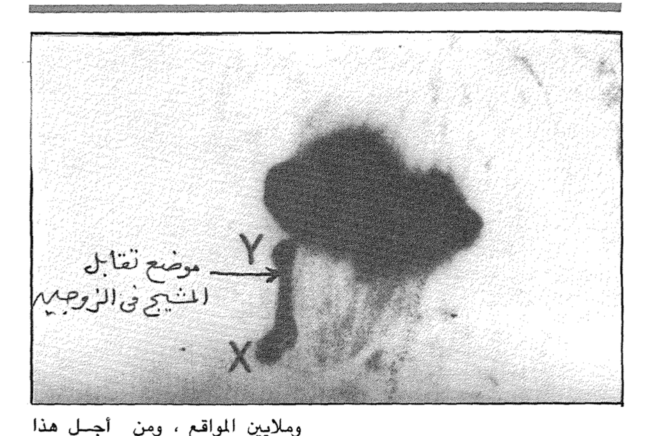
مشيجان او كروموسومان يتقابلان ويحتضن احدهما الاخر من مواقع حددت تحديدا ، وكأنما هذا لباس لذاك ، وهذا يحدث الاخذ والعطاء على مستوى الامشاج .

الأمشاج من مخطوطات ..

ذكرنا أن هناك عمليتين في فصل الأزواج أو جمعها ، فاما العملية الأولى فتبدأ في الغدد الجنسية ، وفيها تتم مسرحية الحياة في فصول أربعة متتالية ، وهذه لن نتعرض لها هنا ، انما يكفي ان نشير فقط الى أن الحيوان المنوي يحمل نصف الأزواج من الأمشـــاج (أي ٢٣ كروموسوما) ، وأن البويضة تحمل أيضا نصف هذه الأزواج ، وعنـد التلقيح يذوب هذان الكيانان ، أو تتحد الخليتان ، لتصبحا خلية واحدة ملقحة ، وفيها تظهـر الأزواج مرة أخرى مكتملة (٢٣ زوجا ، أو ٤٦ كروموسوما ، نصفها من الحيوان المنـوي ، ونصفهـا الآخـــر من البويضة) ، وهنا تكون اشارة البدء لظهور مخلوق جديد قد حلت ، فيأتي – من البداية – حاملا صفات أبيه ، وصفات أمه ، ويخرج الى الحياة خلقا جديدا ، ليس كمثله شبيه (عدا التوائم المتماثلة) .

وأنت اذا تأملت وجوه النـاس وألوانهـم وأصواتهـم وبصماتهـم وطبائعهم ، فانك لن تجد واحدا يشبه الآخر شبها مطلقا ، حتى ولو استمر ورود بلايـين البشر ، لبلايـين السنين .. فكل واحد ملكوت قائـم بذاته حقا .

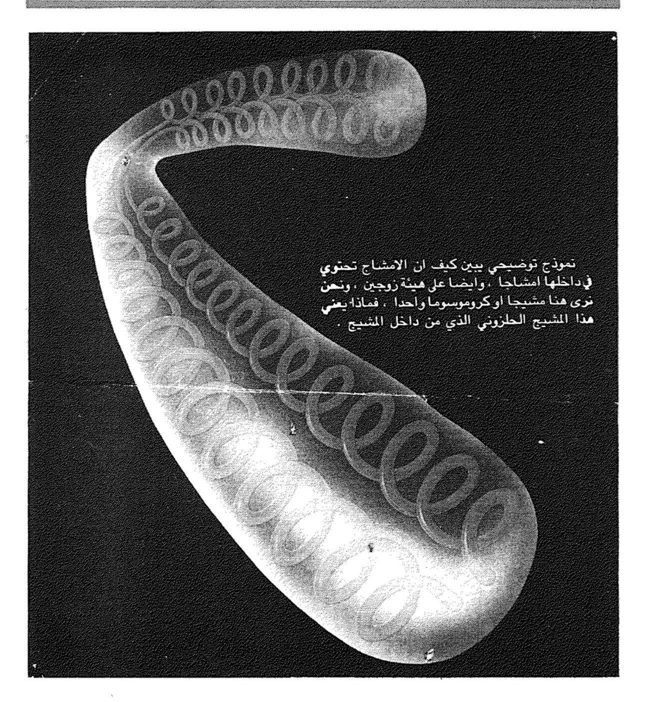
والحكمة في اختلاف الناس تكمن أساسا في اختلاط الزوجين أو الأزواج – ليس ذلك على مستـوى الـذكر والأنثى ، ولا على مستوى الحيوان المنوي والبويضة ، ولكن على مستوى الأزواج من الأمشـاج ، فالخلـط



شكل (٥)
بداية خلية ملقحة لمخلوق ذكر ، لاحظ ان مشيجي الذكورة (y) والانوثة (×) يتقابلان لتبادل المعلومات الوراثية ، الا اننا لانستطيع ان نرى باطن المشيج ولابد من تكبير اعظم . (الصورة لقطاع في خلية تحت الميكروسكوب) .

الحقيقي والأساسي يحدث بينها ، وهي التي أشرنا اليها قبل ذلك ، وقلنا ان كل كروموسوم من خلية الذكر يعرف نظيره من خلية الأنثى ، فيسعى اليه ، وبجواره يسكن (شكل ٥) . ويحدث تبادل آلاف وملايين المعلومات الوراثية في آلاف وملايين المواقع ، ومن أجل هذا تحمل الأجيال القادمة ، صفات الأجيال الراحلة ، ولكن دون أن تتكرر كل الصفات الوراثية بين بلايين البلايين من البشر ولو مرة واحدة .. فكل قد جاء بصفات جديدة ومبتكرة ، واساس كل ذلك ورد في آية مقتضبة **(إنا خلقنا الإنسان من نطفة أمشاج)** .. وفي هذه الأمشاج ـ وما يحدث بينها من اخلاط وتبادل معلومات ـ كتبت مجلدات فوق مجلدات ، لكن لا مجال لها هنا ، بل إن قصدنا فقط أن نبرز روعة خلق الأزواج كلها ـ بداية من أصغر كون الى أكبر كون ، ثم نترك الباقي لفلاسفة المسلمين وعلمائهم ، فربما أفادونا شيئا من علمهم .

والعملية الثانية تبدأ بانقسام الخلية الاولى الملقحة الى اثنتين فأربعة فثمانية ، فستة عشر ،



تموذج توضيحي يبين كيف ان الامشاج تحتوي في داخلها امشاجا ، وايضا على هيئة زوجين ، ونحن نرى هنا مشيجا او كروموسوما واحدا ، فماذا يعني هذا المشيج الحلزوني الذي من داخل المشيج .

فعشرات ، فمئات ، فآلاف ، فملايين وبلايين فوق بلايين ، وفي كل انقسام لا تنتصف الأزواج ، بحيث يذهب كل نصف إلى خلية جديدة ، ولو تكرر ذلك لما قامت للكائنات قائمة ، لأنه بعـد عدة انقسامـات ستختفـي الأمشـاج أو الكروموسومـات ، وتصبح أثرا بعد عين ، ، لكن ذلك لم

يحدث حقا ، ولن نحمل له هما ، لأن الله أوحى في كل خليـة أمرهـا ، وأعطاهـا نظامهـا ، ورسـم لهـا خططها ، فشقت في الحياة طريقها ، واستمرت الأنواع قوية هادرة لمئات الملايين من السنين ، وستبقى كذلك الى أن يرث الله-الأرض ومن عليها .

فالدارسون للخلية ــ أية خلية ــ

يلاحظون أن تكاثر الخلايا الجسدية يتم عن طريق هذه الأزواج من الأمشاج أو الكروموسومات ، اذ يحدث قبيل الانقسام ، ثم هجرة « الأزواج » الى قطبي الخلية استعدادا للانقسام ـ يحدث ان تهب الأزواج من نفسها ازواجا ، وكأنما كل زوج قد ملك الوسيلة لتكون له من ذاته ذرية طبق الأصل من تكوينه ، فترى الثلاثة والعشرين زوجا (اي ٤٦ كروموسوما) ، قد اصبحت بقدرة قادر ستة واربعين زوجا ، وكل زوج منها نسخة متقنة من نظيره أو نفسه (انظر شكل ١) ، وكأنما الآية الكريمة التي تقول (**فاطر السماوات والأرض جعل لكم من انفسكم أزواجا**) الشوري/١١ ـ كأنما هذه الآية التي تخاطبنا ، لها أيضا صلاحيتها على أدق مستويات الخلق الكامن في داخلنا على هيئة أزواج من الأمشاج في كل خلية من خلايانا ، أو خلايا كل المخلوقات ، فقد جعل الله لها من نفسها أزواجا ، ليسير كل شيء بحساب ، ويسري بمقدار .

اذا .. فالذي يحدد صفات المخلوقات من البداية هي هذه الأزواج من الأمشاج أو الكروموسومات ، فنراها في الخلايا الجسدية أزواجا أزواجا ، وفي الخلايا الجنسية فرادي ، وباجتماع الفرادي تصير أزواجا ، ويحكم كل هذا عمليات المناصفة حينا ، والمضاعفة حينا ، آخر ـ كل ذلك يتوقف على كون الخلايا ستأتي أجسادا ، أو نطفا أمشاجا .

وفكرة الخلق في كل الكائنات واحدة ، فالذي يحدد صفات الانسان ـ كما سبق أن ذكرنا ـ هو ٢٣ زوجا من الأمشاج ، والذي يحدد صفات القرد من نوع الريسوس ٢١ زوجا ، والأبقار ٣٠ زوجا ، والفئران ٢١ زوجا ، والزنابق ١٢ زوجا ، ونبابة الفاكهة أربعة أزواج .. الخ .. الخ .. (انظر شكل ٢) .

صحيح أن الكروموسومات في الكائنات قد تختلف طولا وسمكا وعددا وحجما ، أو قد تتساوى عددا ، كما هو الحال مثلا في القرد والفئران (لكل ٢١ زوجا كما ذكرنا) ، الا أن العدد وحده لا يكفي لتحديد النوع ، بل تتحدد الصفات الحقيقية من المعلومات الوراثية الكامنة في أزواج أصغر من هذه الأزواج ، أو بمعنى أبسط تتحدد بأمشاج من داخل أمشاج .

هل يعني هذا وجود بناء داخل بناء ، أو أمشاج أكبر تنطوي أمشاج أصغر ؟

نعم .. فلقد جاءت أيضا أزواجا أزواجا ، لينطبق عليها القول الفصل (ومن كل شيء خلقنا زوجين) .. وللأمشاج الأصغر ، من داخل الأمشاج الأكبر ، دراسة أخرى قادمة ، لنعلم من بديع صنع الله ما لم نكن نعلم ، ومن إعجاز آيات القرآن ما لم نكن ندرك .



نلتقي بالقراء على صفحة « هذا من الحديث النبوي » لنقدم باقة من الاحاديث الصحيحة ، يجد فيها المسلم أكرم زاد من الهدى المحمدي .

عن بريدة ان النجاشى أهدى إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم خفين أسودين ساذجين فلبسهما ثم توضأ ومسح عليهما .

رواه ابو داود واحمد والترمذي

أهدى النجاشي ملك الحبشة إلى الرسول صلى الله عليه وسلم خفين أسودين ليس فيهما لون آخر يغاير السواد أو هما غير منقوشين ، ولا شعر عليهما ، فلبسهما النبي اي على طهارة ثم توضأ ومسح عليهما .

عن عائشة رضى الله عنها قالت : دخل على رسول الله صلى الله عليه وسلم وعندي جاريتان تغنيان بغناء بعاث ، فاضطجع على الفراش ، وحول وجهه ، ودخل أبو بكر رضى الله عنه فانتهرني ، وقال : مزمارة الشيطان عند رسول الله صلى الله عليه وسلم !؟ فأقبل عليه رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال : دعهما فلما غفل غمزتهما فخرجتا ». رواه البخارى

بعاث : بالعين المهملة ـ كغراب ـ موضع بقرب المدينة وقيل : اسم حصن وقعت عنده حرب وقتال مرير بين الأوس والخزرج في الجاهلية ومن هذا نأخذ أن الغناء من الجاريتين كان غناء جادا ، يدعو الى الشجاعة والاقدام وقد اجازه الرسول الكريم اعلانا عن سماحة الاسلام حتى تعلم يهود ان في ديننا فسحة كما جاء في رواية اخرى .



تسر المجلة أن تقدم لقرائها الكرام الأحاديث التي تدور على ألسنة الناس ، وهي من الدخيل على السنة ، لتدحض زيفها ، وتكشف القناع عن سقيمها .
ويسعدنا أن نتلقى استفسارات السادة القراء وتعليقاتهم ليسهموا معنا في هذا المجال . والله من وراء القصد ، وهو الهادي إلى سواء السبيل .

« اذا ذكر ابراهيم الخليل وذكرت انا فصلوا عليه ثم صلوا على واذا ذكرت انا والأنبياء غيره فصلوا على ثم صلوا عليهم »

موضوع :

قال ابن تيمية : هذا لا يعرف في شئ من كتب الحديث .
ومع ان هذا القول لا يقره علماء الحديث ، فهو ايضا لا يلتقى مع شريعتنا ، فان ترتيب الدعاء في الصلاة الابراهيمية يرتب الصلاة مخالفا هذا الحديث ، ولا مجال لتكذيب ذلك أو انكاره بعد ان روته كتب السنة الصحاح وسار عليه المسلمون وايقن بصدقه العلماء .
وايضا الشطر الثاني من الحديث ليس صحيحا لأن النبي صلى الله عليه وسلم مقدم على كل الانبياء دون استثناء .
فعموم رسالته صلى الله عليه وسلم ، ودوام معجزته العظمى وهي القرآن الكريم ، واقرار الأنبياء له بالرسالة يستفاد ذلك من قول الله سبحانه :
(وإذ اخذ الله ميثاق النبيين لما آتيتكم من كتاب وحكمة ثم جاءكم رسول مصدق لما معكم لتؤمنن به ولتنصرنه قال أأقررتم وأخذتم على ذلكم إصرى قالوا أقررنا قال فاشهدوا وأنا معكم من الشاهدين) .
وقول عيسى لقومه الذي حكاه القرآن الكريم : **(وإذ قال عيسى ابن مريم يا بني إسرائيل إني رسول الله إليكم مصدقا لما بين يدي من التوراة ومبشرا برسول يأتي من بعدي اسمه أحمد) .**
فهذه البشارة وغيرها تؤكد ان الرسول صلى الله عليه وسلم افضل الأنبياء على الاطلاق وتنفي صحة هذا القول .



للاستاذ/محمد إبراهيم الصيحى

نشطت الصناعة العربية وازدهرت في الدولة العربية وخاصة في القرن الرابع الهجري الذي اتسم بطابع النهضة الصناعية ، وساعد وجود الثروة المعدنية بأنواعها من جهة واستقرار الأمور في البلاد من جهة أخرى ، على خلق هذه النهضة .

ويمكن أن نقسم الصناعة العربية الى أربعة أقسام هي : الصناعات المعدنية ، وصناعة المنسوجات بأنواعها ، والصناعات الغذائية ، وعدد من الصناعات المختلفة الأخرى .

فأما الصناعات المعدنية ، فقد تعددت

لتعدد الثروة المعدنية في الدولة الاسلامية التي عرف العباسيون - بوجه خاص - كيف يستثمرونها ويصنعون ما يمكن تصنيعه منها ، فكان لصناعة الحلي والجواهر الكريمة شأنها الرفيع بين الصناعات العربية ، إذ كان اللؤلؤ والياقوت والزمرد من الجواهر المفضلة لدى الطبقة الثرية ، وكانت قصور الخلفاء في بغداد والقاهرة وقرطبة تغص بالمصنوعات الدقيقة المرصعة بالحلي والجواهر بمختلف أنواعها وأحجامها .

ويمكن أن نتصور عظمة الصناعات الثمينة الماثلة في بغداد وفي عهد هارون الرشيد ، اذا عرفنا أن الدولة العباسية عاشت في عهده عصرها الذهبي حيث نبغ العباسيون في التوسع في صناعة زخرفة المعادن وتذهيبها وتفضيضها وفي الصياغة والتكفيت ، وكان الخلفاء يعشقون ويقتنون كل ما هو ثمين وطريف ، فقد ذكر أن الرشيد اشترى ياقوتة حمراء اسمه منقوش عليها بمبلغ ٤٠,٠٠٠ دينار .

والى جانب ذلك كله نجحت الصناعات الحديدية والنحاسية وتميزت الى جانب دقتها بسلامة الذوق والجمال الفني .

أما عن صناعة المنسوجات فقد برع فيها العرب ابان العصر العباسي بوجه خاص اذ اتسع نطاقها وتخصصت بعض المدن في صناعة أنواع من الأقمشة بذاتها حريرية أو صوفية أو قطنية أو كتانية ، فبينما اشتهرت دمشق بنوع من الأقمشة عرف باسم (داماسك) عرفت الموصل بصناعة نوع آخر هو الموصلين ، والكوفة بنوع ثالث هو الكوفيات وهي مناديل حريرية تتخذ أغطية للرأس تتفاوت أحجامها ، واشتهر حي عتاب في بغداد بنوع من النسيج المخطط يسمى العتابي . وهكذا اشتهرت كل بلدة بنوع معين من القماش عرف باسمها ، وفي مصر عرفت دمياط بنوع من القماش الحريري سمي (الدمياطي) ، وتنيس بنوع اسمه التنيسي الذي ذاعت شهرته في أوربا وأستوردته بكميات كبيرة لجودته ومتانته ونعومته فضلا عن جمال شكله وكان يباع بأسعار مرتفعة وكثيرا ما كان يباع بقدر وزنه فضة .

وأنتجت مصانع تنيس والاسكندرية أيضا نوعا من القماش الممتاز صنع خصيصا للخلفاء وبناء على طلبهم كان يحلى بنقوش ورموز خاصة ، وكان الخلفاء يقدمونه كخلع لكبار رجال الدولة في المناسبات بعد أن تنقش عليه أسماؤهم .

وقد تخصصت مصر أيضا في صناعة أنواع من الأقمشة الكتانية نظرا لكثرة زراعة الكتان بها ، كما اشتهرت العراق وخراسان بصناعة الأقمشة القطنية وكان يزرع بهما القطن أيضا ، أما فارس فبرعت في صناعة الأقمشة الصوفية والسجاجيد والبسط والمطرزات وأنتج مسلمو الأندلس الأقمشة الحريرية

بعد أن جلب العرب معهم دودة القز لأول مرة الى هذه الجهات .
هذا الى جانب كسوة الكعبة الشريفة التي كانت مصانع مصر تقوم بعملها وفق اشتراطات خاصة وما يزال هذا التقليـد معمـولا به حتـى وقتنـا الحاضر .
أما الصناعات الغذائية فقـد كان للعرب فيها نشاط ظاهر ، من ذلك أنهم كانوا يعمدون الى صيد السمك من البحار والأنهار المجاورة لهم ، وكانت حصيلتهم دائما كبيرة وعادة من الاسماك الصغـيرة الحجـم ، فكانـوا يجففونهـا ويملحونهـا ثم يصدرون الفائض عن حاجتهم .
وعرف العرب صناعة السكر والعسل المستخرج من الجزر والخوخ والقرع وقصب السكر . وكانت طريقتهم في ذلك عصر الفاكهة ووضعها في أوان كبيرة خاصة عدة أيـام ثم تختـم أفواهها ، وتصدر فاذا اريد وضع العسل على مائدة الطعـام ضربـت القصبة التي تسد فوهة الآنيـة ، فيسيل العسل منها ، وكانت لمصر والشام شهرة خاصـة في صناعـة السكر .
وفي الشام نجحت صناعة الزيـوت والشراب ، وازدهرت صناعة المواد العطرية التي أفرد لها العرب في دمشق وشيراز مزارع خاصة لزراعة الورد والبنفسـج وصنعـوا منهـا المواد العطرية التي عبئـت في زجاجـات متفاوتة الأحجام كان يصدر للخليفة العباسي سنويـا منهـا اكثـر من ٣٠,٠٠٠ زجاجة من فارس وحدها .
أما بقية الصناعات فقـد تنوعـت وتعددت وسنبدأ بالكلام عن صناعة الورق التي كانت مصر تحتكرها زمنا طويلا منذ القدم فكانت تصنعه من أوراق البردى ثم تصدر الفائض منه للخارج ، ولكن عندما دخلت صناعة الورق الى العالم العربي بطريقتهـا الجديدة عن طريق الصين في عهـد هارون الرشيـد ، تعـددت مراكز صناعة الورق في الوطن العربي وكان أشهرها مصانع سمرقنـد وبغـداد وطرابلس الشام وبلنسيه بالأندلس ، الى جانب مصانع مصر .
وكان الورق المصنوع في الصين والذي دخلت صناعته العالم كله يصنع من شرانق الحرير ، وقد نقله العرب عنهم ثم ابتكروا نوعا من الورق مصنوعا من القطن كما اخترعوا نوعا آخر من الورق ـ أقل جودة ـ مصنوعا من الأسمال البالية ، وقد عرفته أوربا عن العرب بعد ذلك بنحو قرنين .
وكان لهذه الصناعة آثارها الخطيرة في الفكر الانساني وحفظ التـراث العالمي إذ أن صناعة الورق حفظته من الضياع ، وفي هذا يقول العالم الفرنسي جوستاف لوبون : « لـولا العرب لضاع أكثر الكتب الثمينـة القديمة اذ كانت كلها مكتوبة في أول الأمر على رقوق من الجلد وكان غلاء أسعارها مانعا من توافرها ، ونشأ عن ندرتها أن تعـود الرهبـان ـ قديما ـ حك كتب كبار المؤلفين من اليونان والرومان ليسجلـوا عليهـا

مواعظهم الدينية » .
ولكن الذي حدث أن العرب جاءوا بورقهم المصنوع ، فنقلوا عليه كل الكتب الثمينة وحفظوها من الضياع ، وكان ورقهم يتميز باعتدال سعره وحجمه ووزنه ، بعكس الجلود التي تشغل حيزا كبيرا ، وتستنفد مالا كثيرا ، هذا الى جانب ثقل وزنها مما يصعب معه تداولها .

وتطورت صناعة الورق العربية الى أحسن بعد أن عرف العرب استخدام القنب والكتان في صنع الورق وتعددت تبعا لذلك مصانع الورق ، فزادت لذلك الكتب والمكتبات العامة والخاصة في الوقت الذي كانت فيه أوربا لا تعرف الا رقائق جلد الحيوان الغليظة الخشنة .

أما عن صناعة البارود والأسلحة النارية فقد كان للعرب السبق في التوصل الى نسبة الذخيرة التي يزود بها المدفع فقالوا : « تؤخذ عشرة دراهم من ملح البارود ودرهم من الفحم ودرهم ونصف درهم من الكبريت وتسحق كلها حتى تصبح كالغبار ويملأ بها ثلث المدفع فقط ، وتولج قطعة من الخشب في فوهة المدفع تتناسب وحجمها ، ثم تشعل بعد إضافة ما يلهب نارها » .

وننقل هنا فقرة عن أحد المؤرخين الأوربيين في هذا الصدد يقول فيها : « لقد عزى الى روجر بيكون اختراع البارود ، مع أنه لم يفعل أكثر من اقتباس المركبات القديمة ، وأثبتت مباحث مسيو رينو ومسيو فافيه وغيرهما أن العرب هم الذين اخترعوا بارود المدافع السهل الانفجار الدافع للقذائف . وقال المؤلفان : إن الصينيين هم أول من اكتشفوا ملح البارود واستعملوه في النار الصناعية ، ولكن العرب هم الذين استخرجوا قوة البارود الدافعة ، أي أن العرب هم الذين اخترعوا الأسلحة النارية » .

وقد تفنن العرب في استخدام النار الاغريقية وأصبحت لهم عامل هجوم مهم ، وألقوا بها الرعب في قلوب أعدائهم ، ومكنتهم من إحراز عديد من الانتصارات عليهم .

والى جانب ذلك كله صنع العرب البوصلة البحرية . مع أنها من اختراع الصينيين ، ولكن نظرا لتوثق الصلة التجارية بين العرب والصينيين ، فقد نقلوا عنهم البوصلة واستخدموها في الملاحة ، ثم نقلوها بدورهم الى أوربا بعد ذلك مما كان له أثره البعيد المدى على الملاحة في أوربا ، وبالتالي على الكشوف الجغرافية وتطور العالم كله نتيجة لها .

وقد تميزت الصناعات العربية بتفوقها العظيم بفضل معارف العرب العالية ، إذ أن العرب طبقوا الكيمياء التي برعوا فيها ، بل والتي اخترعوها ، على الصناعة ، واستغلوا المناجم المتناثرة في أرجاء الدولة في الصناعة ، مما جعل لهم شهرة عالمية لم يسبقهم إليها أحد في عصرهم ، هذا الى جانب ما أضفوه عليها من ذوقهم وإحساسهم المتأصل بالجمال .



لا مهادنة مع الأعداء

قال تعالى : (يأيها الذين آمنوا قاتلوا الذين يلونكم من الكفار وليجدوا فيكم غلظة واعلموا أن الله مع المتقين). الآية ١٢٣ من سورة التوبة .

● ●

فكيف صوت عذابه ؟

كان عمر بن عبدالعزيز واقفا مع سليمان بن عبدالملك أيام خلافته ، فسمع صوت رعد ، ففزع سليمان منه فزعا شديدا .

فقال له عمر : هذا صوت رحمته ، فكيف صوت عذابه ؟

* *



يحكى أن رجلا رفع دعوى ضد آخر متهما إياه بسرقة بعيره ، وليست لديه بينة يدين بها السارق ، وقد حاول القاضي بشتى الوسائل اكتشاف الجريمة فلم يفلح ، وأخيرا أجل الدعوى ، وأمر المتهم بالانصراف ، وعند انصراف المتهم خطرت للقاضى فكرة فنادى بأعلى صوته : (ياسارق الجمل) فالتفت المتهم الى القاضى ، عندئذ عرف القاضى أنه السارق فأصدر عليه حكم الادانة .

فضل الجهاد

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : (انتدب الله لمن خرج في سبيله ، لا يخرجه الا إيمان بى وتصديق برسلى ، أن أرجعه ، بما نال من أجر أو غنيمة ، أو أدخله الجنة ، ولولا أن أشق على أمتى ما قعدت خلف سرية ، ولوددت أنى أقتل في سبيل الله ، ثم أحيا ثم أقتل ، ثم أحيا ثم أقتل).

جانب الذل

قال الشاعر :

قوض خيامك عن أرض تضام بها	وجانب الذل ان الذل يجتنب
وارحل اذا كان في الأوطان منقصة	فالمنزل الرطب في أوطانه عطب

منطق المناضل

حاول رفاق عمر المختار ـ زعيم النضال الوطني في ليبيا سنة ١٩٢٢ ـ حاولوا أن يثنوه عن النضال وحذروه من قوة المستعمر الغاشم ، فقال لهم : (إننى أؤمن بحقى في الحرية ، وحق بلادى في الحياة ، وهذا الايمان أقوى من كل سلاح ، عندما يقاتل المرء ، لكى يغتصب وينهب ، قد يتوقف عن القتال إذا امتلأت جعبته أو أنهكت قواه ، ولكنه حين يحارب من أجل وطنه يمضى فى حربه الى النهاية ، ان الظلم يجعل من المظلوم بطلا ، وأما الجريمة فلابد من أن ترجف قلب صاحبها مهما يحاول التظاهر بالكبرياء).

وقال : (إنى أفضل أن أموت شريفا وسيفى في يدى على أن أموت في فراش الدعة المزوجة بالذل والعار).

الهجرة قمة الانتصار

بعد تحديات المشركين لرسول الله صلى الله عليه وسلم

بعث رسول الله صلى الله عليه وسلم بدعوة الاسلام ليوجه الانسانية الى طريقها الراشد ، ويقود زمام البشرية إلى ما فيه خيرها في هذه الحياة الدنيا . وما فيه سعادتها يوم لا ينفع مال ولا بنون إلا من أتى الله بقلب سليم ، ولأن دعوات الاصلاح تخالف مألوف القوم ، وتوجههم إلى طريق جديد يغاير الطريق الذي يسيرون فيه ، فقد وجدت هذه الدعوة من أعدائها أشد الوان المعارضة ، ولقى صاحبها صلى الله عليه وسلم أقسى الوان المكايد ، وتعرض أصحابه والمؤمنون برسالته إلى أعنف مظاهر الايذاءات لقد كان الواحد منهم يضرب بالسيف في سبيل الله فتقع ضربات السيوف على جسده فتمزقه ، فما يحسها إلا وكأنها تحيات اصدقاء من الملائكة يلقونه ويعانقونه ، وكان الواحد يبتلى في نفسه وأهله وماله فلا يحس بأنه المرزأ المبتلى الذي يعرف فيه الحزن والانكسار ، ولكن كانت تظهر فيه الانسانية المنتصرة .. واستمرت هذه المكايد تلاحق الرسول واصحابه بل كانت تتصاعد مع تصاعد عدد الذين يؤمنون بهذا الدين الجديد ، ويصل التصاعد الى الحد الذي يدعو سيدنا خباب بن الأرت رضى الله عنه وهو المؤمن الصابر ـ إلى أن يذهب إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم ويقول حسب روايته . « أتيت النبي عليه

بقلم : فضيلة الشيخ عبد الرحن النجار

السلام وهو متوسد ببرد وهو في ظل الكعبة ، وقد لقينا من المشركين شدة فقلت . الا تدعو الله . فقعد وهو محمر الوجه فقال : قد كان من قبلكم يمشط بأمشاط الحديد ما دون عظامه من لحم وعصب ما يصرفه ذلك عن دينه ويوضع المنشار على مفرق رأسه فيشق باثنين ما يصرفه ذلك عن دينه وليتمن الله هذا الأمر حتى يسير الراكب من صنعاء إلى حضرموت ما يخاف إلا الله عز وجل والذئب على غنمه ولكنكم تستعجلون » .

وتمضي الأيام تتبعها الأيام والسنوات تتلوها السنوات ، ودعوة الاسلام تشق طريقها كما يشق النور حجب الظلام ، وفي كل يوم تطلع فيه شمس يشاهد تاريخ الاسلام صفوة من الرجال ، رفضوا الباطل واختاروا الحق ثم رفضوا الصمت وآثروا المقاومة ، ثم رفضوا الضعف وصمدوا في يقين وبسالة أمام تحديات الأعداء ... إلى أن وقع في حياة الرسول حادثان أثرا تأثيرا عميقا في حياته النفسية ، ووقع الحادثان في عام واحد . أطلق عليه عام الحزن أما أولهما فهو فقده صديقة النساء التي حنت على زوجها ساعة قلق وكانت نسمة سلام وبر رطبت جبينه المتصبب عرقا من آثار الوحي ، وهي التي احترمت قبل بعثته خلواته وتأملاته ، وتحملت معه بعد بعثته أذى أعدائه . إنها خديجة بنت خويلد رضى الله عنها وقد ماتت بعد عشر سنوات من بدء الرسالة ، وأثرت وفاتها في نفسه تأثيرا عميقا فقد هيأت له بيتا سعيدا ، يجد فيه السكن والراحة والأمن وهو البيت الذي حدد القرآن معالمه في قوله تعالى : **(ومن آياته أن خلق لكم من أنفسكم أزواجا لتسكنوا إليها وجعل بينكم مودة ورحمة إن في ذلك لآيات لقوم يتفكرون)** الروم/ ٢١ .

والحادث الثاني . هو وفاة عمه أبي طالب ، وقد حزن الرسول لفقده حزنا عميقا ألم يكن الحصن الذي تحتمي به الدعوة من هجمات الأعداء . ألم يكن هو الرجل الذي سخر جاهه وسلطانه في الدفاع عن ابن أخيه وكان القوم يحسبون له ألف حساب . وبعد فقده أصبحت قريش لا تهاب في محمد أحدا بعده .

عزم رسول الله صلى الله عليه وسلم على أن ينتقل بالدعوة من موطن الى موطن آخر ، فالى أين يتجه . إن الطائف طيبة الهواء ، معتدلة الجو ، فيها الكثير من ينابيع المياه العذبة وحيث توجد المياه توجد الخضرة ويكثر الخير وطيب الجو يضفي على الناس رقة قلب ، وصفاء نفس ، لهذا قصد الرسول الطائف ، حيث تقطن ثقيف وقصد إلى قادتها وأولى الرأي فيها ، لكنهم صنعوا معه أشبه بما

صنع قوم نوح مع نبيهم نوح ـ جعلوا أصابعهم في آذانهم وإستغشوا ثيابهم وأصروا واستكبروا استكبارا لقد مكث بينهم عشرة أيام ولم يكسب للاسلام واحدا منهم بل إنهم حرضوا عليه غلمانهم وسفاءهم وقذفوه بالحجارة حتى دميت قدماه وزيد بن حارثة رفيقه في الرحلة يدفعهم عنه ، حتى شج رأسه وترك الطائف وفي قلبه ألم ، وفي نفسه حسرة على هؤلاء الذين قابلوه بهذا الايذاء وهو الذي جاء اليهم بسعادة الدنيا والآخرة ، ولجأ الى بستان خارج الطائف يملكه أخوان هما عتبة وشيبة ابنا ربيعة حيث جلس في ظل كرمة يلتمس الراحة والأمن . وجلس الرسول يفكر في حاضر الرسالة المرير وكيف يكون مستقبلها . وتذكر ما عاناه مع أهل مكة ، فوجه ناظريه إلى السماء وهتف لربه بقوله : « اللهم إليك أشكو ضعف قوتي ، وقلة حيلتي وهواني على الناس يا أرحم الراحمين أنت رب المستضعفين وأنت ربي إلى من تكلني . إلى بعيد يتجهمني . أم إلى عدو ملكته أمري . إن لم يكن بك غضب على فلا أبالي . غير ان عافيتك هي أوسع لي ـ أعوذ بنور وجهك الذي أشرقت له الظلمات وصلح عليه أمر الدنيا والآخرة أن يحل على غضبك أو أن ينزل بي سخطك لك العتبى حتى ترضى . ولا حول ولا قوة إلا بك » .

هذا الاتجاه إلى السماء جاء بالنصر . وجاءت بشرياته من تحرك عاطفة القرابة في قلبي ابني ربيعة فدعوا غلاما لهما نصرانيا يدعى « عداسا » وقالا له : خذ قطفا من هذا العنب ، واذهب به الى هذا الرجل ، فلما وضعه بين يدي رسول الله مد يده إليه قائلا : باسم الله ثم أكل ، فقال عداس . ان هذا الكلام ما يقوله أهل هذه البلدة فقال له النبي . من أي البلاد أنت . قال أنا من نينوى فقال رسول الله . أمن قرية الرجل الصالح يونس بن متى؟ قال وما يدريك ما يونس ؟ قال رسول الله « ذلك أخي كان نبيا وأنا نبي » فأكب عداس على يدي رسول الله ورجليه يقبلهما . وآمن بدعوة الاسلام وهذا هو أول كسب يكسبه الرسول بعد رحلة الطائف الشاقة » .

وعاد إلى مكة ويروي ابن إسحاق هذا الحادث المثير على أنه حدث بعد رحلة الطائف وعند انصراف الرسول منها ، في مكان يسمى نخلة قام من جوف الليل يصلي فمر به النفر من الجن الذين ذكرهم الله تبارك وتعالى . وهم سبعة نفر من جن أهل نصيبين . فاستمعوا له فلما فرغ من صلاته ولوا الى قومهم منذرين قد آمنوا وأجابوا إلى ما سمعوا فقص الله خبرهم عليه صلى الله عليه وسلم قال الله تعالى : **(وإذ صرفنا إليك نفرا من الجن يستمعون القرآن فلما حضروه قالوا أنصتوا فلما قضى ولوا إلى قومهم منذرين . قالوا يا قومنا إنا سمعنا كتابا أنزل من بعد موسى مصدقا لما بين يديه يهدى إلى الحق وإلى طريق مستقيم . يا قومنا**

أجيبوا داعي الله وآمنوا به يغفر لكم من ذنوبكم ويجركم من عذاب أليم . ومن لا يجب داعي الله فليس بمعجز في الأرض وليس له من دونه أولياء أولئك في ضلال مبين) الأحقاف/ ٢٩ ـ ٣٢ . وقال تبارك وتعالى : **(قل أوحي إلي أنه استمع نفر من الجن فقالوا إنا سمعنا قرآنا عجبا . يهدى إلى الرشد فآمنا به ولن نشرك بربنا أحدا)** الجن/ ١ و٢ .

وهذا هو الكسب الثاني للاسلام لقد آمن الجن بهذا الدين في الوقت الذي لا يزال فيه كثير من الانس يعارضونه ، بل ويؤذون الداعي إليه ، وكان الرسول بذلك نبي الثقلين ، ولم يمض على هذا الكسب زمن طويل حتى جاءت دعوة من السماء لرسول الله ليترك الأرض التي تحجرت فيها قلوب أكثر أبنائها إلى السماء في صفائها ، وطهارة أهلها من الملائكة الأخيار ، الذين يسبحون الليل والنهار لا يفترون ، لا يعصون الله ما أمرهم ويفعلون ما يؤمرون . وكانت رحلة الاسراء والمعراج . هذه الرحلة التي صورت للرسول المجتمع الجديد الذي بشرت السماء بتكوينه قبل أن يتكون في المدينة بينما كان كل ما حول النبي لا تبدو فيه بوارق أمل كانت رحلة الاسراء تخفيفا من الألم الثقيل الذي يحمله ، وبدا حانية تمسح عن قلبه بعض ما فيه من ألم ، ونرى أقدامه المتعثرة على طريق الطائف تخترق الآفاق دون أن تمس الأرض والأرجل الدامية تعرف طريقها إلى السماء إلى سدرة المنتهى إلى قاب قوسين . إلى فريضة الصلاة التي تربط المؤمنين بمدد لا ينقطع من الايمان بالله إيمانا يدعوهم إلى مواصلة النضال وإلى الصبر على تحمل المشاق . ابتغاء ما عند الله من خير وما عند الله خير وأبقى للانسان : **(ما عندكم ينفد وما عند الله باق)** النحل/ ٩٦ .

وتأتى ذروة الانتصارات بالهجرة لاقامة المجتمع الجديد مجتمع الحب والايمان والتعاون والتآخى ـ مجتمع المدينة . الذى توج انتصارات رسول الله على أعدائه . وكان الله معه كما كان معه دائما لقد دبر المشركون أمرا . ودبر الله لنبيه أمرا ، ومكروا ومكر الله والله خير الماكرين . لقد عقدوا العزم على اغتياله ليوقفوا زحف النور المشرق . وليحدوا من المد التحررى الذى يدعو اليه هذا الدين والذى يجعل الولاء خالصا للقوة الخالقة القادرة التى تملك كل شئ ولا يملك الانسان معها أي شئ : **(ذلكم الله ربكم لا إله إلا هو خالق كل شئ فاعبدوه وهو على كل شئ وكيل)**. الأنعام/ ١٠٢ .

وأطلعه الله على تدبير قومه ، وأذن له بالهجرة من مكة الى يثرب واعد الرسول للأمر عدته وخطط لنجاحه مع صاحبه أبى بكر تخطيطا دقيقا ولم يترك امر نجاحها للمصادفات وحدها ، لقد بذل كل ما يستطيع بشر أن يبذله ، وترك بعد ذلك الامر كله

لله ، لقد اختار طريق سير الرحلة مكانا غير مألوف لهم ، بحيث تسير في اتجاه الجنوب الشرقي من مكة ، مع أن يثرب في شمالى مكة ، ليضلل الأعداء وأخفى الخبر حتى لا يستفيدوا من عامل الزمن واختار من يعد الزاد لهم طوال الرحلة والدليل الذى يدلهم على الطريق كل ذلك في سرية وكتمان ووصل الصاحبان محمد وأبو بكر الى الغار والتجأ فيه نهارا ليختفيا عن أعين الاعداء . انه لا يحميهما الا الله وحده ، ولا ترعاهما الا عين الله وحدها ، ولهذا لما وصل الأعداء امام الغار ، وقال أحدهم : ها هنا قد انقطع الأثر أشفق أبو بكر على صاحبه من ان يناله أذى فتعلق بالرسول وقال يارسول الله والله لو نظر احدهم تحت قدميه لأبصرنا فذكره الرسول بعناية الله ورعايته التى لا يتخلى بها عن أحبابه ، والداعين اليه المتحملين للمشاق في سبيل نشر دينه قال له . يا أبا بكر ما ظنك باثنين الله ثالثهما . لا تحزن إن الله معنا . وقد ذكر القرآن نبأ هذا المشهد في قوله تعالى : (**إلا تنصروه فقد نصره الله إذ أخرجه الذين كفروا ثاني اثنين إذ هما في الغار إذ يقول لصاحبه لا تحزن إن الله معنا فأنزل الله سكينته عليه وأيده بجنود لم تروها وجعل كلمة الذين كفروا السفلى وكلمة الله هى العليا والله عزيز حكيم**) التوبة/ ٤٠ وسلم الصاحبان من بطش الأعداء ونصرهما على كيدهم وتآمرهم وتحقق بذلك كسب رائع لدعوة الاسلام . بعد شدة الأذى وبعد عنف التحديات .

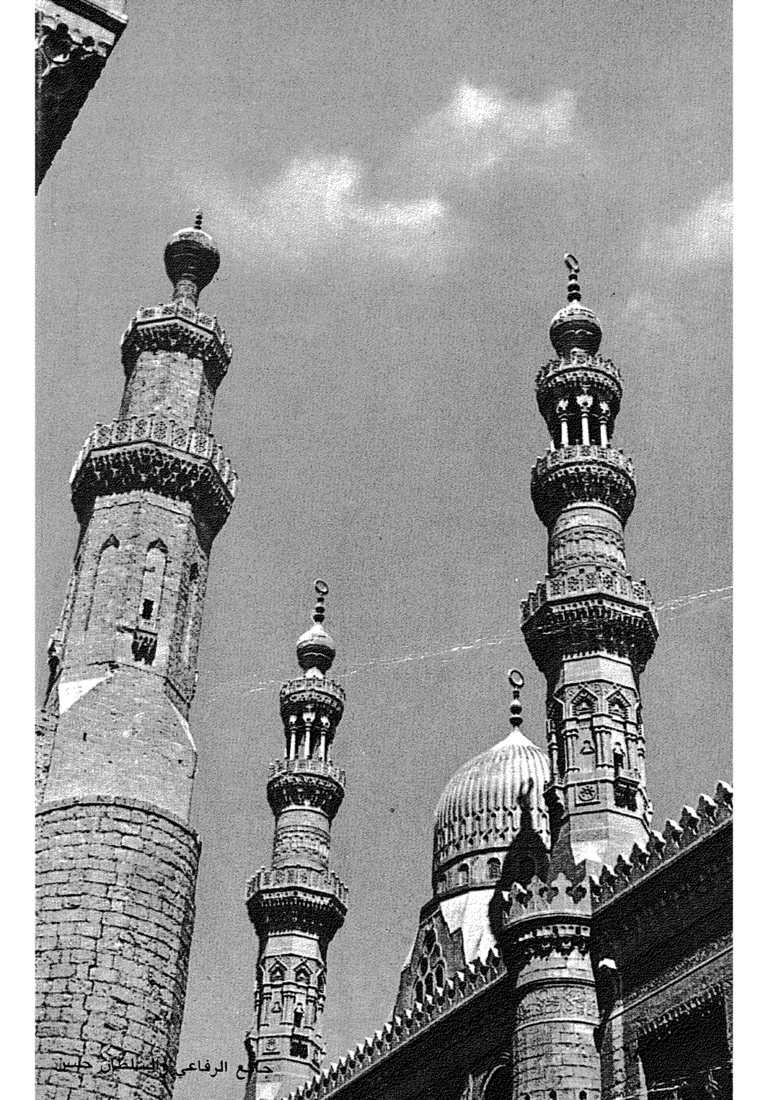
وكان من آثار هذا الانتصار اقامة المجتمع الجديد فبعد ان كان المسلمون في مكة فرادى يتجمعون وكأنهم غرباء وهم في وطنهم ويستخفون من الناس وهم دعاة الخير ، وأصحاب الحق أصبحت لهم قوة ، وأقاموا مجتمعهم المؤمن على دعائم قوية من الايمان بالله الواحد ، ومن الاخوة التى يحس الواحد منهم فيها احساس اخيه المسلم فيحيا بهم ويحيا لهم وكأنهم أغصان انبثقت من شجرة واحدة أو روح واحد حل في أجساد متعددة وأصبح كل فرد منهم لا يقول . أنا وحدى ومن بعدى الطوفان ، ولكن كان يقول . انا مع غيرى نتشارك الحياة نعماءها وبأساها ، سعادتها وشقاءها ، سعتها وضيقها ، ومدح الله تعالى اهل المدينة الأصليين لحسن استقبالهم لاخوانهم المهاجرين في قوله تعالى : (**والذين تبوءوا الدار والايمان من قبلهم يحبون من هاجر إليهم ولا يجدون في صدورهم حاجة مما أوتوا ويؤثرون على أنفسهم ولو كان بهم خصاصة ومن يوق شح نفسه فأولئك هم المفلحون**) الحشر/ ٩ . إن الهجرة لم تكن يسيرة على نفوس أهل مكة ، فمكة حبيبة الى قلوبهم وتغنوا بحبها وحنوا اليها وهم في المدينة ، ولنستمع الى حديث السيدة عائشة رضى الله عنها :

« لولا الهجرة لسكنت مكة فانى لم أر السماء بمكان أقرب الى الارض منها بمكة ولم يطمئن قلبي ببلد قط ما اطمأن بمكة ولم أر القمر بمكان أحسن منه بمكة » .

وإزاء هذا الحنين كان رسول الله يدعو ربه بقوله : « اللهم حبب الينا المدينة كما حببت الينا مكة أو أشد » . وكان للمسجد النبوى الذى بناه رسول الله أول وصوله الى المدينة . وعاونه أصحابه في بنائه الاثر الاكبر في تأصيل عقيدة التوحيد في القلوب وفي جمع كلمة المؤمنين ووحدة صفوفهم وائتلاف مشاعرهم ، لقد كان مدرسة خرج رهبان الليل وفرسان النهار لقد بناه الرسول بناء متواضعا ولكن كان يضم تحت سقفه رجالا صدقوا ما عاهدوا الله عليه . ولم تأت السنة الثانية من الهجرة وفي السابع عشر من رمضان على وجه التحديد تأكدت شخصية الجماعة الاسلامية بانتصارها العظيم في غزوة بدر الكبرى انتصار القوة المؤمنة على الكثرة الكافرة ، وسمى الله يوم النصر في بدر بيوم الفرقان ، لأنه فرق بين عهدين في تاريخ الاسلام عهد القوة المستضعفة المستخفية وعهد القوة القوية المنتصرة التى سمع بانتصارها العرب جميعا ، قال تعالى في شأن هذا اليوم : (**وما أنزلنا على عبدنا يوم الفرقان يوم التقى الجمعان**) الأنفال/٤١ . وبهذا كانت الهجرة نتيجة وسعيا ، نتيجةلسلسلة من التحديات التى صمد امامها المسلمون . واكدوا بنضالهم ان الحق وحده هو المقدس وان الولاء المطلق للحق والتضحية في سبيله هما اللذان يعطيان للانسان قيمته وللحياة مضاها ، وكانت سببا في الانتصارات التى حققها المسلمون بعد ذلك والتى اكدت شخصية الأمة المسلمة ، والتى جعلت الواحد منهم يقف أمام يزدجرد ملك الفرس في عنفوانه وجبروته ويقول في عزة المؤمن : « إن الله قد ابتعثنا لنخرج من شاء من عبادة الأصنام الى عبادة الله . ومن ضيق الدنيا الى سعتها ــ ومن جور الاديان الى عدل الاسلام » .

وطريقنا الى الانتصار في جميع معاركنا هو ان نتخذ الهجرة طريقا لنا . هجرة القلوب قبل هجرة الأجساد ، نهاجر من حياة الضعف الى حياة القوة نهاجر من البعد عن الله الى القرب منه ، نهاجر من حياة الدعة والكسل والخوف الى حياة الجد والعمل والنضال من اجل إثراء الحياة بكل ما هو خير . وحينئذ نستطيع أن نحقق النصر الذى وعده الله عباده المؤمنين في قوله : (**إنا لننصر رسلنا والذين آمنوا في الحياة الدنيا ويوم يقوم الأشهاد**) غافر/٥١ .

هذه هي الهجرة الآن . والتى أشار اليها رسول الله صلى الله عليه وسلم بقوله : « لا هجرة بعد الفتح ولكن جهاد ونية وإذا استنفرتم فانفروا » البخارى .



جامع الرفاعي والسلطان حسن



للاستاذ : عبد الغني محمد عبد الله

قاهرة المعز ــ مصر المحروسة ــ المنصورية ــ العاصمة الرابعة لمصر الاسلامية . أو كما سماها ابن خلدون ــ مدينة المدن ــ هي التاريخ نفسه حيث تم رسم الكثير من الأحداث فيها ــ فصارت تاريخا . ومنها خرجت الجيوش فاتحة أو غازية مجاهدة في سبيل الله . وهي نفسها التي أغلقت أبواب حاراتها ليالي طويلة حزنا وكمدا بسبب غزو أو قهر .. أو لفقدان عزيز .

أحداثا كثيرة عاصرتها . أو خرجت منها . وكم من أحداث بقيت في الخارج تنتظر كلمة القاهرة لتكتمل . وكم سهرت هي تنتظر كلمة من الخارج ليكتمل عندها حدث .

من فوق قلعتها انظر اليها .. سترى نصف دائرة من العمران والحركة والحياة ... كم رغب الأعداء فيها .. وكم تمنعت عليهم .. وكم من عدو فقد عرشه وحياته في الطريق إليها .. وكم داست هي في النهاية فوق جثثهم وشهدت نهايتهم بعد أن وطئتها أقدامهم ولكن بعد طول صبر .. وكفاح .

الرحالة والمؤرخون والكتاب . المصادر والمراجع والمصورات . من الشرق ومن الغرب .. كثيرون أكثر من



الجامع الازهر

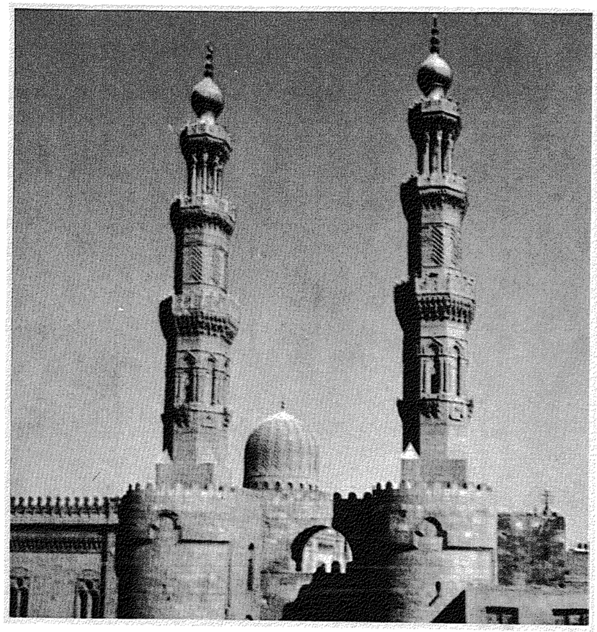
أن يتم حصرهم .

ترابها .. إذا حفرت فيه ستتشم رائحة التاريخ .. ستجد أثرا فيه .. وفوقه أيضا ستجد آثارا كثيرة .. فهي حديقة رائعة للآثار الاسلامية .

تاريخ المدينة

وضع جوهر الصقلى أساس مدينة القاهرة يوم ١٧ شعبان سنة ٣٥٨ هـ وبرغم ذلك فان هذا اليوم ليس هو البداية الحقيقية لتاريخ هذه المدينة ، حيث أن اتساعها اليوم يجعل من القاهرة بحدودها القديمة حيا واحدا من أحياء عاصمة مصر الاسلامية .

وإذا نظرنا الى القاهرة دون النظر إلى ما سبقها من عواصم إسلامية لمصر ، أو ما تلا إنشاءها فان الناظر يكون قد وضع بصره على فقرة واحدة من تاريخ هذه المدينة .



باب زويلة

وعواصم مصر الاسلامية أربعة هي على التوالي : الفسطاط ، والعسكر ، والقطائع ، ثم القاهرة . ولكن بقيام صلاح الدين الأيوبي على ضم هذه العواصم الأربعة داخل سور واحد .. صارت كل عاصمة حيا من أحياء العاصمة الجديدة داخل هذا السور .

الفسطاط

كانت الاسكندرية هي عاصمة مصر خلال تبعيتها للامبراطورية الرومانية ، وما أن فتح العرب مصر وبعد صلح الاسكندرية . قام عمرو ابن العاص باختيار المنطقة شمال حصن بابليون على رأس دلتا النيل ، واتخذ هذا المكان قاعدة يدير منها البلاد حيث أن الخليفة عمر بن الخطاب أشار عليه باتخاذ عاصمة جديدة لا يفصلها عن مقر الخلافة بحر أو نهر .

وتظهر العبقرية العسكرية الفذة لعمرو بن العاص في اختيار المكان ، إذ أن هذا المكان متكامل عسكريا واقتصاديا فهو من ناحية الجنوب مفتوح على صعيد مصر لتموين المدينة ، ويحميه جبل المقطم من الشرق عسكريا ، ويتكفل نهر النيل بالحماية من الغرب ، أما الشمال فهو مفتوح لاتساع المدينة مستقبلا ، وللتموين من الدلتا .. ويسهل الدفاع عن المدينة من هذا الاتجاه الوحيد المفتوح .

وتاريخ إنشاء الفسطاط مختلف فيه فالبلاذرى ذكر أن عمرو قد بنى المدينة بعد فتح حصن بابليون مباشرة ، في حين أن أغلب روايات المؤرخين رجحت بناء المدينة بعد فتح الاسكندرية . وعلى هذا يعتقد أن الفسطاط بنيت عام ٢١ هـ .

وقد كانت الفسطاط معسكرا في أول الأمر . وقد أخذ المسلمون أولا ببناء المدن المدورة . وكانت الفسطاط على هذا النحو وتعتبر هي أول المدن الاسلامية التي بنيت في شمال افريقيا . الجامع في الوسط ومن حوله جاءت القبائل العربية المشتركة في الفتح تتساوى جميعا في قربها من الجامع تجنبا للحساسيات بين القبائل .

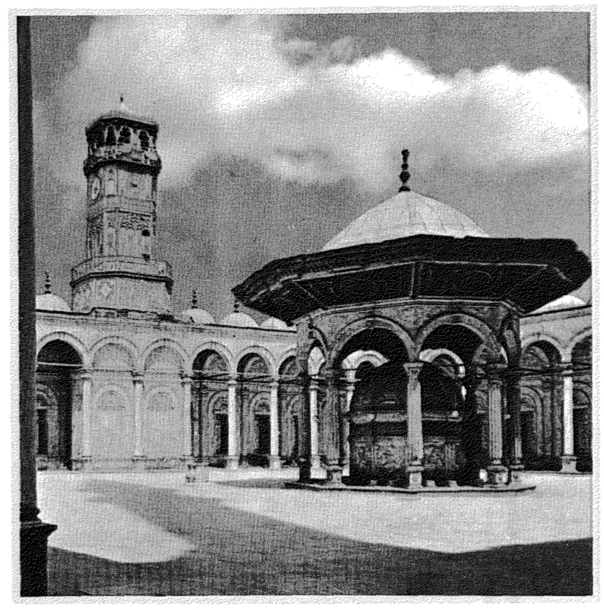
وولى عمرو بن العاص على خطط المدينة - المعسكر - أربعة من المسلمين هم معاوية بن حديج ، وشريك بن سمى ، وعمرو بن قحزم وجبريل بن ناشرة . وذكر المؤرخون أن الزبير بن العوام هو الذي خطط المدينة وأقام بها دارا خاصة به .

وعن الفسطاط تحدث كثير من المؤرخين مثل أبو المحاسن وابن عبد الحكم والمقريزى والبلاذرى وابن دقماق وتحدثوا عن جامع عمرو بن العاص وذكروا أنه أطلق عليه أسماء كثيرة متتالية منها (أهل الراية ، ومسجد النصر ، وتاج الجوامع والمسجد العتيق) وهو بحق أول مساجد مصر الاسلامية ، ونواة العمارة الاسلامية فيها . ومن أقوال هؤلاء المؤرخين وغيرهم توافرت لدينا التفاصيل الكثيرة عن مدينة معسكر - الفسطاط .

العسكر

هرب مروان بن محمد آخر خلفاء بنى أمية الى مصر سنة ٧٥٠ م وقتل في قرية بصعيد مصر - أبو صير - وأصبحت مصر تابعة للدولة العباسية ولم يرغب العباسيون في الاستمرار بالفسطاط عاصمة للبلاد . فبنوا عاصمة جديدة (هي العاصمة الثانية) إلى الشمال من الفسطاط وأطلقوا عليها اسم العسكر - وأغلب الظن أنها كانت فيما يعرف الآن بمنطقة (أبى السعود) بمصر القديمة ، وربما كان مركزها محل مسجد « أبو السعود الجارحي » الآن . بناها صالح بن علي وأنشأ بها دارا للامارة وثكنات للجند وأنشأ ابنه الفضل « مسجد العسكر » بالمدينة .

وظلت العسكر حاضرة لمصر الا أن



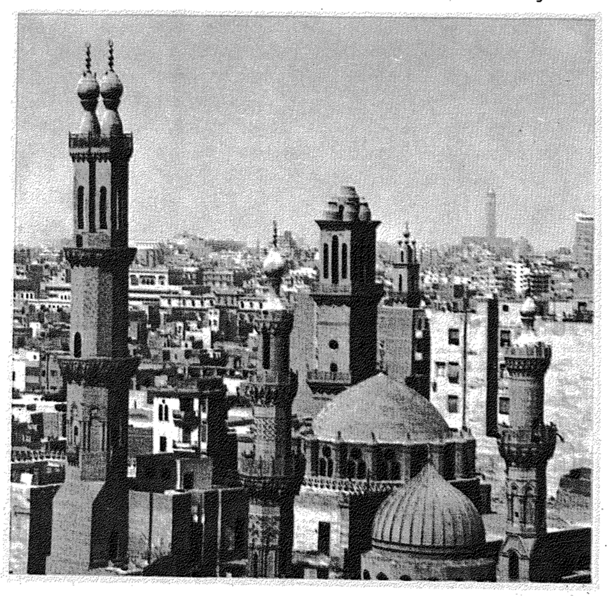
جامع القلعة من الداخل

الفاصل القليل بين العسكر والفسطاط امتلأ بالدور حتى تلاصقت المدينتان فيما يجعلهما مدينة واحدة .

القطائع

وظلت العسكر حاضرة لمصر فترة تربو على ١١٨ عاما . حتى جاء احمد ابن طولون حاكما لمصر نائبا عن الوالي التركي « باكباك » ولكن النائب كانت طموحاته أكبر مما هو قادم من أجله ، فاستقل بمصر عن الدولة العباسية . اذ أن هذه الفترة من العصر العباسي الثاني تميزت بظهور شخصية الأمصار الاسلامية واستقلالها عن الدولة ــ استقلالا اسميا في أغلب الحالات ــ.

بنى أحمد بن طولون عاصمة جديدة ــ هي القطائع ــ في المنطقة الواقعة بين العسكر وجبل المقطم « أغسطس سنة ٨٧٠ م » ــ « شعبان سنة ٢٥٦ هـ » واتصلت الدور في هذه العاصمة الجديدة بمدينة



القاهرة القديمة

العسكر والفسطاط . وبنى في وسط المدينة مسجده « مسجد الميدان الكبير » المعروف بابن طولون سنة ٢٦٣ هـ ويعتبر من أروع المساجد الاسلامية الأثرية في مصر بمبانيه الرائعة وزخارفه الفريدة خاصة الأشرطة الكتابية . وتعتبر مئذنته الشبيهة بمئذنة جامع سامرا الكبير ، أثرا هاما من الآثار الفريدة للعمارة العباسية في مصر .

انتقلت قاعدة الحكم الى القطائع .. واستمرت حاضرة ثالثة لمصر حتى حرقها القائد العباسي محمد بن سليمان عندما جاء للقضاء على الأسرة الطولونية وحلمها في الاستقلال بمصر .

وفي عام ٩٠٤ هـ عادت الفسطاط عاصمة مرة أخرى ولم يبق من القطائع سوى أطلالها تحكي مع الزمن مجدها الغابر . وبقي مسجد ابن طولون أثرا شامخا ، يحكي لنا قصة القطائع كاملة مع كتابات المؤرخين كشاهد إثبات وكيف أن هذه المدينة كانت شديدة التأثر بمدينة



جامع ابن طولون

« سامرا » في العراق تتشابه الاثنتان في كونهما مقسمتان الى خطط « قطائع » وكل خطة بها مجموعة من السكان تجمعها رابطة العرق أو العمل . وتتشابه فيها طرز العمارة والزخرفة إلى حد كبير . وخاصة بعد أن أكثر « خمارويه » في تزويق المدينة « القطائع » وتزويدها بالحدائق التي امتلأت بالورود والرياحين والأشجار التي كسيت جذوعها بالنحاس المطلي بالذهب أو الفضة . ومن الطريف أن خمارويه قد استخدم أسدا أزرق العينين لحراسته ـ تكلم عنه غالبية المؤرخين ـ واليوم يمكن لزائر القاهرة ان يحدد موقع القطائع بوضوح تام من فوق القلعة حيث يظهر مسجد ابن طولون . شامخا على ربوته العالية .

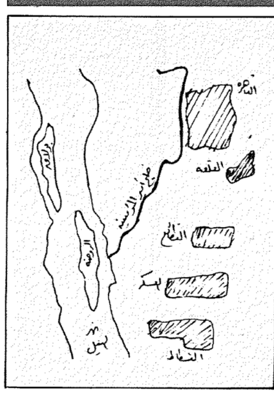
القاهرة

وجاء الفواطم لمصر .. فكانت القاهرة رابعة العواصم الاسلامية لمصر . وسبب تسميتها القاهرة حسب أقوال المقريزي في خططه أن

جوهر الصقلي ـ القائد الفاطمي كان قد أحضر المنجمين لاختيار الموعد المناسب عند مرور طالع سعيد للبدء في بناء المدينة . ووضعت الأجراس لتنبيه العمال بالبدء في العمل عند رنينها في الموعد الذي يحدده المنجمون ولكن تصادف أن وقف طائر على أحد الحبال فدقت الأجراس فبدأ العمل وهنا صاح المنجمون أن « القاهر في الطالع » أي كوكب المريخ ـ فسميت بالقاهرة .

والقاهرة تختلف عن باقي عواصم مصر السابقة في أنها مدينة مربعة وليست مدورة كسابقاتها . قسمت المدينة الى أربعة أقسام حيث اخترقها شارعان متقاطعان ـ انظر الشكل ـ أحد الشارعين هو شارع بين القصرين ـ المعز الآن ـ والثاني هو شارع الأزهر ـ وما زال يحمل نفس الاسم ـ ونتج عن ذلك تقسيم المدينة إلى أربعة أقسام كان القصر الشرقي في أحد هذه الأقسام ، بينما احتل القصر الغربي قسما ثانيا وجاء الجامع الأزهر في قسم ثالث . بينما ترك القسم الرابع للحرفيين والصناع وسمى « الربع » على أن يغادره هؤلاء العمال في نهاية اليوم الى مساكنهم في الفسطاط .

وعلى ذلك كانت القاهرة أول الأمر مدينة خاصة بالخليفة وحاشيته فقط . وتتحدث المراجع عن أن المدينة كانت تغلق أبوابها ليلا حيث بنى الخليفة حول المدينة سورا من الطوب اللبن على شكل مربع طول ضلعه ١٢٠٠ ياردة ويضم بداخله قرابة

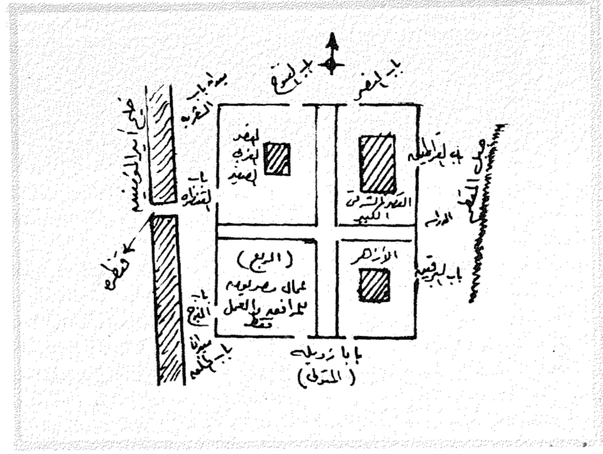


القاهرة اول بنائها

٣٤٠ فدانا . وفتح هذا السور بثمانية أبواب . أي قلعة حصينة ولذا سميت مصر المحروسة تمييزا لها عن مصر الفسطاط .

ويروي لنا الدكتور عبد الرحمن زكي أن جوهر الصقلي تلقى تعليمات الخليفة الفاطمي بانشاء مدينة تكون للفسطاط بمثابة المنصورية للقيروان . أو بمثابة فرساي لباريس أو وندسور للندن . وعلى ذلك لم يكن القصد من انشاء المدينة أن تكون سكنا للخليفة وحرمه وخواصه بل إلى جانب ذلك تكون معقل قتال للتحصن فيه والالتجاء إليه . ومن هنا لم يكن يسمح للمواطنين بدخول المدينة الا بتصريح .

والسور الأول أضاف إليه أمير الجيوش بدر الجمالي « وزير الخليفة المستنصر » سورا جديدا من



عواصم مصر الاسلامية الاربعة

الناحيتين القبلية والبحرية . ويصف لنا المقريزي سوري القاهرة الأول والثاني وأنهما كانا من اللبن . عدا أبواب النصر والفتوح وبابي زويلة فمن الحجر .

ثمانية أبواب هي مداخل المدينة الجديدة : « باب زويلة (وكان بابين متجاورين) بنته قبيلة زويلة من قبائل البربر – باب القنطرة – باب الفرج عند ضريح سيدي فرج ، وباب سعادة عند المكان الذي دخل منه سعاد بن حيان غلام الخليفة المعز وباب النصر ، والفتوح يقعان في الشمال . أما باب البرقية وباب القراطين « الباب المحروق » فيقعان في الشرق » .

وقد انشئ الجامع الأزهر بداخل أسوار القاهرة المعزية وقد ذكر المقريزي أن العمل بدأ في بناء هذا الجامع سنة ٣٥٩ هـ وتمت عمارته بعد ذلك بعامين تقريبا وهو واحد من أعظم العمائر الدينية في العالم الاسلامي . وبعون الله سوف نجد الفرصة المناسبة للحديث عنه مستقبلا .

وحوارى القاهرة القديمة نسبت كل منها إلى القبيلة التي نزلت فيها مثل حواري « الروم – برجوان – زويلة – الجدرية – الأمراء – الديلم – الباطلية – الكافورى – الوزيرية – المحمودية – العطوف – قائد القواد – وما زال كثير من هذه الحواري تحمل نفس أسمائها للآن » .

الكثير من القصور العظيمة والدور الفخمة مثل دار الحكمة والدار الأفضلية « نسبة الى الأفضل بن بدر الجمالي » الكثير منها أقيم في قاهرة المعز إلى جانب المساجد والجوامع الفخمة كالحاكم - والأقمر والصالح طلائع .. كلها تقريبا تحمل أسماء منشئيها .

القاهرة الأيوبية :

وقد أحاطها صلاح الدين الأيوبي مع العواصم السابقة بسور واحد - فاتسعت المدينة وأصبحت هذه العواصم الأربعة تبدو وكأنها أربعة أحياء ضخمة تؤلف عاصمة واحدة .. وقد جدد الأسوار لتصبح من الحجر .. وفوق الربوة المنفصلة عن جبل المقطم - بني صلاح الدين واحدة من أفخم العمائر الحربية من تاريخ المسلمين - قلعة الجبل ، وظهرت في إنشائها العبقرية العسكرية للعرب والمسلمين .

قاهرة المماليك :

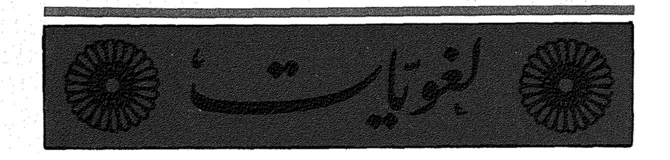
وزادت المدينة واتسعت ومرت بكثير من العظمة والأبهة - صفحات تحمل في طياتها الكثير من المجد والفخار ، وتحتوي أيضا على مشاهد متعددة من الظلم والقهر ، وبنى فيها الكثير من الدور والمساجد والجوامع والأسبلة والحمامات والوكالات والخانات والمدارس .. وانتشرت هذه الأبنية بشكل يجعل المدينة اليوم كحديقة للآثار الاسلامية بواجهاتها المرتفعة المزركشة ومآذنها الرائعة وزخارفها الفنية .. عمائر خالدة . يقل نظيرها في العالم الاسلامي .

قاهرة العثمانيين :

وظلت القاهرة مع المماليك بحرية وجراكسة ، وظل دورها يسير مع التاريخ تصنعه ويصنعها إلى أن وطئها عسكر آل عثمان ليطفئوا بريقها ويسحبوا منها دور الصدارة في العالم الاسلامي ويعودوا بها إلى دور التابع لأول مرة في تاريخها .. دور عثماني طويل .. ليل طويل استكانت فيه المدينة صبرا مع طول الظلام إلا من هبات قليلة الأثر بفعل النوم الطويل والجهل والخرفات حتى بدأ يطل عليها عصر جديد في أواخر القرن الثامن عشر . ورغم أنه كان في شكل غزوة أوروبية الا أنه كان اتصالا بالنهضة الحديثة .. جاء نابليون بجحافله يسرق ويقتل ويحاول أن يثبت قدميه ليبدأ في تأسيس امبراطورية شرقية وفشل ولكن كان الاحتكاك الحضاري .

قاهرة العثمانيين مليئة بالآثار العثمانية مميزة بطرزها وتطل عليك المآذن المشوقة مثل القلم الرصاص والمساجد الضخمة في عمارتها وإن كانت أقل زخرفة والأسبلة والدور كلها في طراز عثماني بديع .

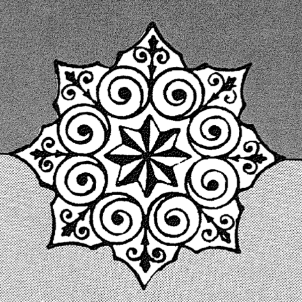
لذلك فاننا نقول بكل ارتياح إنه بمرورك في مدينة القاهرة سوف تشاهد متحفا على الطبيعة يحمل سمات المدارس الفنية كلها من العصر الاسلامي المبكر .. إلى العصر العثماني .. وإلى اليوم .



همزة الوصل في كلمة « ابن »

العرب يحذفون همزة الوصل من كلمة ابن إذا وقعت صفة بين عَلَمَينْ فيقولون : سافر خالدُ بنُ محمد .. وأسباب الحذف كثيرة منها الاختصار في الكتابة ، ومنها اهتمامهم الشديد بالأنساب واضطرارهم إلى ذكر كلمة ابن مرات عديدة عندما يذكرون نسب عربي ..

أما إذا لم تكن كلمة « ابن » صفة فالمطلوب إثبات همزة الوصل وتنوين الاسم الذي قبلها نحو : إن محمداً ابنُ عبدالله . فقد ثبتت همزة الوصل في كلمة **ابن** لأنها وقعت خبرا لإن وليست صفة ، كما تثبت همزة الوصل أيضا في كلمة ابن إذا أضيفت إلى الجَدِّ أو إلى الأم مثل : محمد ابن عبد المطلب ، وعيسى ابن مريم ، وكذا إذا سبقتها أداة استفهام مثل : هل خالد ابنُ عثمان ؟؟ أو إذا وقعت في أول السطر .



الدعوة إلى الله

بعض سماتها المطلوبة في هذا العصر

للشيخ / ابي الحسن علي الحسني الندوي

سأتناول في هذه الكلمة ، بعض السمات البارزة التي يجب ان تتسم بها الدعوة والدعاة في هذا العصر ، حتى يستطيعوا ان يقوموا بدور الدعوة في اتم وجه ، ويبلغوا رسالة الرسل عليهم السلام ، ويؤثروا التأثير المطلوب .

اما الدعوة الاسلامية ، فيجب ان تكون هذه الدعوة ، جامعة بين تحريك الايمان في نفوس المخاطبين والمجتمع الاسلامي ، واثارة الشعور الديني ، وبين اكمال الوعي وتنميته وتربيته ، فان المتتبع لاحوال العالم الاسلامي اليوم ، وواقع الاقطار الاسلامية وحكوماتها وشعوبها ، يعرف ان تمسك هذه الشعوب والجماهير بالاسلام ، وحبها له ، هو الحاجز السميك ، والسد المنيع ، لكثير من القيادات التي خضعت للحضارة الغربية وقيمها ومفاهيمها ، وفلسفاتها ونظمها ، وآمنت بها ايمانا كايمان المتدينين بالديانات ، والمؤمنين بالشرائع السماوية ، وفقدت الثقة بصلاحية الاسلام لسايرة العصر الحديث وتطوراته واحداثه ، وكرسالة خالدة عالمية ، فاسلام هذه الشعوب والمجتمعات ، وكونها لا تفهم الا لغة الايمان والقرآن ، ولا تندفع الا لما يجيء عن طريقهما ، ولما يمس قلبها ويخاطب ضميرها ، يعوق كثيرا من هذه القيادات عن نبذ الاسلام نبذا كليا واعلان الحرب عليه .

وقد لجأ بعض هذه القيادات في ساعات عصيبة ، الى اثارة هذا الايمان والحماس الديني ، واستخدامهما لكسب المعركة او الانتصار على العدو حين رأت ان لا ملجأ من الله الا اليه ، والى ايمان هذه الشعوب السليمة المؤمنة ، فرفعت هتاف التكبير « الجهاد » و « الشهادة » في سبيل الله ، ومحاربة العدو الكافر المهاجم كما فعلت الجزائر في حربها مع الفرنسيين وباكستان في حرب ١٩٦٥م ، وجربت فائدة هذا الايمان وقوة هذه العاطفة .

فاصبح ايمان هذه الشعوب وتمسكها بالاسلام وتحمسها له ، هو السور القوي العالي الذي يعتمد عليه في بقاء هذه البلاد ، وكثير من القيادات والحكومات الاسلامية في حظيرة الاسلام ، فاذا تهدم هذا السور ــ لا سمح الله بذلك ــ او تسوره دعاة

الكفر واللادينية ، او تيــار الــردة الفكرية والحضارية ، فالخطــر كل الخطر على الاسلام في هذه البلاد ، ولا يمنع هؤلاء القــادة المحاربــين للاسلام ، والمضمريــن له العــداء والحقد شيء من ان يخلعوا العذار ويطرحــوا الحشمــة والتكلــف ، ويجردوا هذه الاقطــار والشعــوب العريقة في الاسلام من كل ما يمت الى الاسلام بصلة ، فان الشيء الوحيد الذي يخافون معرته ، ويحسبون له حسابا ، هو ثورة هذه الشعوب على هذه القيــادات بدافــع الايمــان والحماس الاسلامي ، فيفقدهم ذلك ما يتمتعون به من كراسي الحكــم ومركز القيادة ، فاذا زال الحاجز لم يقف في وجههم شيء !

انن فيجــب على دعــاة الاسلام والعاملــين في مجــال الدعــوة الاسلامية ، الاحتفاظ بهذه البقيــة الباقية من الايمان في نفوس الشعوب والجماهير ، والمحافظة على الجمرة الايمانية من ان لا تنطفيء .

ولا يصح الاقتصار على تحريــك الايمان ، واثارة العاطفة الدينية في نفوس الشعوب والجماهير ، بل يجب ان تضم اليه تنمية الوعي الصحيح وتربيته ، والفهم للحقائق والقضايا ، والتمييز بين الصديق والعدو ، وعدم الانخداع بالشعارات والمظاهر ، فقد رأينا ان الشعوب التي يضعف فيها هذا الوعــي او تحرمــه ، يتسلــط عليها ـ رغــم تمسكهــا بالاسلام وحبها له ـ قائد منافق ، او زعيم ماكر او عدو جبــار ، فيصفــق له الشعب بكل حرارة ويسير في ركابه ، فيسوقهــا بالعصا سوق الراعــي لقطعان من الغنم ، لا تعقل ولا تملك من امرها شيئا ، ولا يمنعها تمسكها بالاسلام وحبها له ، من ان تكون فريسة سهلــة ، او لقمــة سائغــة للقيادات اللادينية ، او المؤامرات ضد الاسلام .

وقــد كان ما يمتــاز به المجتمــع الاسلامي الاول ، الصحابة رضي الله عنهم بفضل التربية النبوية الدقيقة الشاملة وبالجمع بين الدين المتــين الذي لا مغمز فيه ، والايمان القوي الذي لا يعتريه وهن ، وبين الوعي الناضج الكامل ، فكانوا لا يخدعون ولا ينخدعون ، ولا يسيغون شيئــا ينافي الاسلام وينافي العقل ، والذي يضرهم ويجني عليهم ، او يوقعهم في خطر او تهلكة ، انهم قد بلغوا من الــرشد ، واستكملــوا الحصافــة والنضج ، فلا يؤخذون على غرة ، ولا يقعون في شرك ينصبه العدو الماكر ، يخطئون ولكن لا يصرون ، ولا تتكرر منهم غلطات وتورطات ، وقد جاء في حديث صحيح « لا يلدغ المؤمن من جحــر مرتــين » رواه البخــاري ، بخلاف الشعوب الفاقدة الوعي فهي تلدغ مرة بعد مرة ، وذلك لان رسول الله عليه وآله وسلم اخذ صحابته الكرام بتربية وتعاليم امنوا بها عن الوقوع في الشباك ، وامتنعوا بها عن قبول ما لا يتفق مع تعاليم الاسلام ، وادابه والفطــر السليمــة والعقــول المستقيمة ، فكان مجتمعا نمونجيا مثاليا في كل شيء .

واعرض – على سبيل المثال – مثالين من هذا العقل الحصيف والوعي الكامل :

الاول : ان النبي صلى الله عليه وسلم قال مرة « انصر اخاك ظالما او مظلوما » وهو مثل جاهلي قديم ، وعرف من اعراف العرب الاولين ، تمسك به العرب في جاهليتهم كما قال العلامة الحافظ ابن حجر في شرح هذا الحديث في كتابه الجليل فتح الباري ، فكان المتوقع المعقول ان يتلقاه الصحابة – وقد نشأوا في الجاهلية وعاشوا في الجزيرة – إما بالقبول ، وإما بالسكوت .

وقد صدر هذا الكلام من النبي المعصوم الذي زكى الله قوله فقال في حقه : (**وما ينطق عن الهوى، ان هو الا وحي يوحى**) النجم / ٣ و ٤ وقد عرف حبهم لنبيهم صلى الله عليه وسلم وفداؤهم له بالنفس ، والنفيس ، وكان حبا لا نظير له في تاريخ الديانات والرسالات ، وفي تاريخ الحب والطاعة العالمي ، وكان تفسيرا للحديث المشهور « لا يؤمن احدكم حتى اكون احب اليه من ولده ووالده والناس اجمعين » – متفق عليه – وجاء في بعض الروايات « من نفسه » ولكن كل ذلك لم يمنعهم عن التساؤل او الاستيضاح ، فان ظاهر الكلام كان ينفي ما فهموه من تعاليم الاسلام ، وما شاهدوه من تربية الرسول واخلاقه ، وما امنوا به من مبدأ الانصاف والمساواة وقوله تعالى : (**يا أيها الذين آمنوا كونوا قوامين بالقسط شهداء لله ولو على أنفسكم او الوالدين والأقربين**) النساء / ١٣٥ وقوله تعالى : (**ولا يجر منكم شنآن قوم على ألا تعدلوا اعدلوا هو أقرب للتقوى**) المائدة / ٨ – قيل يا رسول الله ،كيف انصره ظالما ؟

هنالك فسره رسول الله صلى الله عليه وسلم تفسيرا يتفق مع تعاليمه السابقة الدائمة فقال « تحجزه عن الظلم فان ذلك نصره » والحديث رواه احمد والبخاري والترمذي . هنالك اقتنع الصحابة رضي الله عنهم ، وشفيت صدورهم ، فازدادوا ايمانا على ايمان ، وهو مثال بليغ رائع من امثلة الوعي الايماني العقلي الذي كان شعارا لصحابة الرسول صلى الله عليه وسلم والصدر الاول .

والمثال الثاني : ان رسول الله صلى الله عليه وسلم ارسل سرية ، وامر الصحابة بطاعة الامير ، وقد كان في هذه السرية ما لم يرض الامير ، وشك في انقيادهم له ، فامر بالحطب ، فجمع ، وامر بالنار فاشعلت ، ثم قال : خوضوها ، فامتنع الصحابة رضي الله عنهم عن طاعته في ذلك لانه « لا طاعة لمخلوق في معصية الخالق » – حديث رواه احمد والحاكم واسناده صحيح – وقالوا : انما فررنا من النار ، ولما رجع الى المدينة شكا الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فصوب فعلهم ، وقال : « لو دخلوا فيها ، لم يزالوا فيها ، وقال : لا طاعة في معصية الله ، انما الطاعة في المعروف [ذكرت القصة بطولها في سنن ابي داود ، كتاب الجهاد] .

وكانت نتيجة ضعف بعض الشعوب المسلمة القوية في إيمانها، الغنية في مظاهرها الايمانية، ومراكزها الدينية، وثروتها العلمية، انها كانت فريسة سهلة للهتافات الجاهلية، والنعرات القومية، او العصبيات اللغوية والثقافية، ولعبة القيادات المداهنة والمؤامرات الاجنبية، وذهبت ضحية سذاجتها وضعفها في الوعي الديني، والعقل الايماني، كما وقع في باكستان الشرقية في (١٩٧٠م)، فقد قامت فيها مجزرة انسانية هائلة وما ذلك الا بسحر دعوات العصبية اللغوية والعصبية الوطنية على هذا الشعب المسلم المؤمن الذي كان له تاريخ مجيد في البطولات الاسلامية وخدمة الاسلام والعلم ونهض فيه علماء كبار ودعاة الى الله، وغصت بلادها بالمساجد والمدارس وكانت عاصفة هوجاء، هبت ثم ركدت، ونار حامية التهبت ثم انطفأت، ولكنها زلزلت اركان الاسلام في هذه المنطقة، واضعفت الكيان الاسلامي، وكانت حجة لاعداء الاسلام الذي يقولون ان الاسلام لا يستطيع ان يقاوم العصبيات القومية ولا يقتلع جذورها من نفوس اتباعه.

وواجب ثالث مقدس من واجبات العاملين في مجال الدعوة الاسلامية، هو صيانة الحقائق الدينية، والمفاهيم الاسلامية من التحريف، واخضاعها للتصورات العصرية الغربية، او المصطلحات السياسية والاقتصادية، التي نشأت في اجواء خاصة، وبيئات مختلفة، ولها خلفيات وعوامل وتاريخ، وهي خاضعة دائما للتطور والتغيير، فيجب ان نغار على هذه الحقائق الدينية والمصطلحات الاسلامية غيرتنا على المقدسات وعلى الاعراض والكرامات، بل اكثر منها واشد، لانها حصون الاسلام المنيعة، وحماه وشعائره، واخضاعها للتصورات الحديثة او تفسيرها بالمصطلحات الاجنبية، اساءة اليها لا احسان، واضعاف لها لا تقوية، وتعريض للخطر لا حصانة، ونزول بها الى المستوى الهابط لا رفع لشأنها كما يتصور كثير من الناس، فاذا قلنا الحج مؤتمر اسلامي عالمي، لم ننصف للحج، ولم ننصف لمن نخاطبه، ونريد ان نفهمه حقيقة الحج وروحه ولما شرع له ولم ننصح لكليهما، وان روح الحج وسر تشريعه، غير ما تعقد له المؤتمرات صباح مساء، ولو كان الحج مؤتمرا اسلاميا عالميا لكان له شأن ونظام غير هذا النظام، وجو غير هذا الجو، ولكان النداء له مقصورا على طبقات مثقفة واعية فقط وعلى قادة الرأي وزعماء المسلمين.

كذلك حقيقة العبادة وحقيقة الصلاة، وحقيقة الزكاة والصوم، فلا يجوز العبث بهذه المصطلحات والتجني عليها، واخضاعها للفلسفات الجديدة، وتفسيرها بالشيء الذي لا ثقة به ولا قرار له، وقد استخدمت هذه « الاستراتيجية الدعائية » الباطنية في القرن الخامس

الهجري فما بعده ففسروا المصطلحات الدينية بما شاؤا وشاءت أهواؤهم ومصالحهم وتفننوا فيه ، واتوا بالعجب العجاب ، وحققوا به غرضهم من ازالة الثقة بهذه الكلمات المتواترة التي هي اسوار الشريعة الاسلامية وحصونها ، وشعائرها ، ونشر الفوضى في المجتمع الاسلامي ، والجماهير المسلمة ، واذا فقدت هذه الكلمات التي توارثت فهمها الاجيال المسلمة وتواتر في المسلمين ، واصبح فيها مساغ لكل داع الى نحلة جديدة ، وراي شاذ ، وقول طريف ، فقد اصبحت قلعة الاسلام مفتوحة لكل مهاجم ولكل منافق ، وزالت الثقة بالقرآن والحديث واللغة العربية ، وجاز لكل قائل ان يقول ما شاء ويدعو الى ما شاء ، وهذه فتنة لا تساويها فتنة وخطر لا يكافئه خطر .

ان مفاهيم هذه الكلمات معينة — على اتساعها وبلاغتها وعمقها وكثرة معانيها — وان الامة توارثت هذه المفاهيم المعينة كما توارثت اشكال الصلاة والصوم والحج ونظمها الظاهرة ، وتناقلتها وحافظت عليها من غير اقل انقطاع او اقصر فترة ، وانه معنى قوله تعالى : **(انا نحن نزلنا الذكر وانا له لحافظون)** و **(اليوم اكملت لكم دينكم واتممت عليكم نعمتي ورضيت لكم الاسلام دينا)** وهو معنى الحديث المشهور الذي صح معناه لا تجتمع امتى على الضلالة وقد اثبت شيخ الاسلام ابن تيمية ان سنة واحدة من السنن الكثيرة لم ترتفع من هذه الامة بشكل كلي ، وانها لا تزال طائفة من امتي ظاهرة على الحق .

والكلمات هي الوسيلة الوحيدة لنقل المعاني والحقائق من جيل الى جيل ومن عصر الى عصر ، ومن انسان الى انسان ، فاذا وقع الشك في مدلول هذه الكلمات ومصداقها ، او صار التلاعب بها هينا اضطربت دعائم الدين وتزلزلت اركانه ، وهذا يعم التاريخ والشعر والادب ، لذلك كانت الفوضى اللغوية Linguistic Anarchy اشد خطرا واكثر ضررا من الفوضى السياسية . Political Anarchy ومن امثلة هذا التلاعب بالمصطلحات الدينية ، ان استاذا في احدى جامعات الهند الكبرى ، وهو يدرس اللغة العربية وادابها ، القى محاضرة في دورة مؤتمر الدراسات الاسلامية الاخيرة قال فيها ان المراد بكلمة « الصلاة » حيثما وردت في القرآن مطلقة « الحكومة المحلية » او « الاقليمية » والمراد « بالصلاة الوسطى » الحكومة المركزية او « الخلافة العامة » وكان المقال باللغة العربية ، وقد رددت عليه في حينه وقلت في تعليقي عليه انه تلاعب بالقرآن وبالعقل وتمهيد لفوضى لغوية فكرية ، وفتح الباب للالحاد على مصراعيه .

وليست قضية الاسماء والمصطلحات من البساطة بالمكان الذي يتصوره كثير من الناس ، فانها تؤثر في النفس تأثيرا خاصا وتثير معاني واحاسيس ذات الصلة بالماضي ، وذات الصلة

بالعقائد والاعراف احيانا ولذلك كره رسول الله صلى الله عليه وسلم ان يقال « العتمة » مكان العشاء « ويوم العروبة » بدل الجمعة ، واستبدال كلمة يثرب بمدينة الرسول او بالمدينة ، ولها امثلة اخرى في الشريعة الاسلامية .

وكذلك أحذر المسلمين مما لوحظ من بعض الكتاب من الضغط على ان هذه الاركان الدينية ، وفرائض الاسلام ، كالصلاة والزكاة والصيام ، والحج ، وسائل لا غايات ، انما شرعت لاقامة الحكم الاسلامي وتنظيم المجتمع المسلم ، وتقويته ، وأحذر من كل ما يحط من شأن روح العبادة والصلة بين العبد وربه وامتثال الامر ، ومن التوسع في بيان فوائدها الخلقية والاجتماعية والسياسية والاقتصادية احيانا توسعا يخيل للمخاطب او القارىء انها اساليب تربوية او عسكرية او تنظيمية ، قيمتها ما يعود منها على المجتمع من قوة ونظام ، او صحة بدنية وفوائد طبية ، فان اول اضرار هذا الاسلوب من التفكير او التفسير ، انه يفقد هذه العبادات قيمتها وقوتها وهو امتثال امر الله وطلب رضاه بذلك ، والايمان والاحتساب والقرب عند الله تعالى وهي خسارة عظيمة لا تعوض باية فائدة ، وفراغ لا يملأ باي شيء في الدنيا .

والضرر الثاني انه لو توصل احد المشرعين او الحكماء المربين الى اساليب اخرى قد تكون انفع ، او يخيل انها انفع ، لتحقيق هذه الاغراض الاجتماعية او التنظيمية او الطبية لاستغنى كثير من الذين امنوا بهذه الفوائد عن الاركان والعبادات الشرعية ، وتمسكوا بهذه الاساليب او التجارب الجديدة ، وبذلك يكون الدين دائما معرضا للخطر ولعبة للعابثين والمحرفين .

وهذا لا ينافي الغوص في اعماق هذه الاركان والاحكام والحقائق الدينية ، والكشف عن اسرارها وفوائدها الاجتماعية ، وقد افاض علماء الاسلام قديما وحديثا في بيان مقاصد الشريعة الاسلامية ، واسرار العبادات والفرائض والاحكام الشرعية ، والفوا كتبا مستقلة وكتبوا بحوثا جليلة ، كالغزالي والخطابي ، وعز الدين بن عبد السلام وابن القيم الجوزية ، واحمد بن عبد الرحيم الدهلوي ، ولكن كل ذلك من غير تحريف لحقيقة هذه العبادات والاحكام ، والغاية الاولى التي شرعت لها ، وهي امتثال الامر الالهي ، والتقرب اليه بذلك ، والايمان والاحتساب فيها ومن غير اخضاع لها للفلسفات العجمية او الاجنبية في عصرهم ، ومن غير خضوع بسحرها وبريقها .

واحذركم ثانية ايها الشباب من كل ما يقلل من شناعة الوثنية العقائدية والشرك الجلي من عبادة غير الله والسجود له وتقديم النذور والقرابين واشراكه في صفات الله من قدرة وعلم ، وتصرف ، واماتة واحياء ، واسعاد واشقاء ، واحذركم من الاكتفاء بالتركيز على شناعة

الخضوع للحكومات والنظم الانسانية والتشريعات البشرية ، وتحويل حق التشريع للانسان ، وان ذلك هو وحده عبادة الطاغوت والشرك ، وان الوثنية الاولى وعبادة غير الله ، قد فقدت اهميتها ، وانما كانت لها الاهمية في العصر القديم ، العصر البدائي ، وانه لا يقبل عليها الان الا الرجل الجاهل ، الذي لا ثقافة له ، ففضلا عن ان هذه الوثنية والشرك الجلي ، لا يزال له شيوع وانتشار ودولة وصولة يجربه كل انسان في كل زمان ومكان ، فانها الغاية الاولى التي بعث لها الانبياء وانزلت لها الكتب السماوية ، وقامت لها سوق الجنة والنار . وكانت دعوة جميع الانبياء تنطلق من هذه النقطة ، وكانت جهودهم مركزة على محاربة هذه الجاهلية ، والقرآن مملوء بذلك بحيث لا يقبل تأويلا . ويكفي ان تقرأ على سبيل المثال ، سورة « الاعراف » وسورة « هود » وسورة « الشعراء » والحديث عن كل نبي ودعوته ...

اما ما يتصل بصفات العاملين في مجال الدعوة الاسلامية وجنود الدعوة الى الله فانني اركز في هذا الحديث الموجز على نقطة واحدة ، وهو انه يجب ان يكون الدعاة يمتازون عن الدهماء والجماهير ، ودعاة النظم الجديدة والفلسفات الجديدة ، والفلسفات السياسية والاقتصادية بقوة ايمانهم وحرارة قلوبهم ، وزهدهم في زخارف الدنيا ، وفضول العيش ونهامة للمادة ، ومرض التكاثر ، فانهم لا يستطيعون ان يؤثروا فيمن يخاطبونهم ، ويحملوهم على ايثار الدين على الدنيا والآجلة على العاجلة ، وتلبية نداء الضمير والايمان على نداء المعدة والنفس والشهوات ، واشعال مجامر قلوبهم التي انطفأت او كادت تنطفيء ، الا اذا شعر الناس فيهم بشيء لا يجدونه في قلوبهم وحياتهم فان الناس ما زالوا ولا يزالون مفطورين على الاجلال لشيء لا يجدونه عندهم ، فالضعيف مفطور على احترام القوي ، والفقير مفطور على احترام الغني ، والامي مفطور على احترام العالم ، حتى اللئيم مفطور على احترام الكريم ، اما اذا رأى الناس علماء ودعاة لا يقلون عنهم في حب المادة والجري وراءها والتنافس في الوظائف والمناصب والاكثار من الشراء والتوسع في المطاعم والمشارب ، وخفض العيش ولين الحياة ، فانهم لا يرون لهم فضلا عليهم ، وحقا في الدعوة الى الله وايثار الاخرة على الدنيا ، والتمرد على الشهوات ، والتماسك امام المغريات ، وقد قيل : « إن فاقد الشيء لا يعطيه » وكذلك القلب الخاوي لا يملأ قلبا اخر بالايمان والحنان ، وان الموت لا ينشيء الحياة . وان البرودة لا تعطي الحرارة وان الرماد الذي لا تكمن فيه جمرة لا يلهب القلوب الخامدة ، ولا يحيى النفوس الميتة ، والكشاف لاينير الطريق اذا كانت قد نفدت شحنته ، فلا بد ان تشحن القلوب لشحنة جديدة ، واذا كانت

« بطارية » من غير شحنة كانت اقل عنـاء وقيمـة من عصا يحملهـــا الانسان ، فقيمــة « البطاريـــة » الشحنة وقيمة الشحنة النور ، فاذا لم تكن شحنة او كانت شحنة ولا نور فالعصا خير منه .

ثم اني اتساءل :

اليس هذا العصر هو العصر الذي انتشر فيه العلم وكثرت فيه وسائل الاعلام والتربية ، وازدهــرت فيــه الخطابة والكتابة ، وبلغت حد الشعر والسحر ، وعمت الجامعات في كل مكان ، وتدفق السيل من المطبوعات والمنشورات من المطابع ودور النشر ، ونبغ فيها علماء وباحثون ووعــاظ ومرشدون . فلمــاذا فقــد العلمــاء والموجهون التأثير في النفوس والقلوب في صد تيار الماديــة والاستغـلال والجشع والنهامة للمال ؟ هذه البلاد العربية بما فيها البلاد المقــدسة ــ اصبحت مصداقا لما اخبر به الرسول صلى الله عليه وسلم في احدى خطبه قبل وفاته « ما الفقر اخشى عليكم ولكن اخاف ان تبسط عليكم الدنيا كما بسطــت على من كان قبلكــم فتنافسوها كما تنافسوها فتهلككم كما اهلكتهم » .

واخوف ما نخاف ان تكتسح هذه البلاد الموجة العارية من التكاثر في الاموال ، واستغلال حاجة النــاس وضعفهم والانتهازية ، وهي الموجة التي لا تعرف الرحمة والهــوادة ، ومكارم الاخلاق التي عرف بها العرب في العصر الجاهلي ، وربما يعود ذلك خطرا كبيرا على الحــج ومركــزه ، ويمكن ان يشكل محنــة للوافديــن اليه ، فيضطر الدعاة في صد هذه الموجة الى مكافحة خلقية ، وحملة دعوية تربوية تنظم لاصلاح الحال ، وايقاظ الضمــير ، واثــارة الغــيرة الاسلامية والشعور النبيل ، وتنطلق من المنابــر والصحــف والاذاعــة ووسائل الاعلام ، وتجند لها الطاقات والالسن والاقلام .

وسمة الدعوات الحية المخلصة التي تقتبس النور من مشكاة النبــوة ، وتسير على نهجها ، انها تجس نبض المجتمــع جسا صحيحــا أمينــا ، وتهتدى الى الداء الحقيقي ومواضع الضعف في جسم هذا المجتمــع ، وتضع اصبعها عليها ، وتضرب على الوتر الحساس ، من غير محاباة او مداهنة ، ولا تكترث بألم هذا المجتمع أو ملامه ، كما فعل شعيب في دعوته ، فوجه دعوتــه ــ بعــد الدعــوة الى التوحيد ــ الى ايفاء الكيل ، والوزن بالقسطاس المستقيم ، وشنــع على التطفيف ، اذ كان ذلك عيب المجتمع الذي بعث فيه ، وسمته البــارزة ، وكذلك فعل غيره من الأنبياء .

وهذه كانت سنة الدعاة الى الله من المخلصين الربانيــــين في تاريــــخ الاسلام ، فكانوا ينتقدون المجتمع في الصميم ، ويصيبون المحز ، ولذلك كان وقع كلامهم في النفوس عظيما وعميقا ، وما كان يسع المجتمع أن يتغافل عنهم ، او يمــر بهــم مرا سريعا ، أو يسلى نفسه بانهم انما يعنون غيره من المجتمعــات التــي

سبقت ، أو المجتمعات التي لم تخلق بعد ، وهذا كان شأن الحسن البصري في مواعظه اذ كان دائما يشير الى النفاق الذي كان داء المجتمع الاسلامي ، وهو في أوج مجده ورخائه ، ويذم حب الدنيا وطول الأمل ، وهذا كان شأن الشيخ عبد القادر الكيلاني ، فيدعو الى التوحيد الخالص وقطع الرجاء ، والخوف من غير الله وأنه لا يضر ولا ينفع سواه . لأن الناس كانوا قد ربطوا مصيرهم بالخلفاء والأمراء وأصحاب الحول والطول والأمر والنهي في العاصمة ، وهذا كان شأن ابن الجوزي في مواعظه الساحرة ، ومجالسه المزحومة ، فانه كان يشنع على الحياة اللاهية الماجنة التي كان يحياها كثير من الناس في بغداد ، وعلى الذنوب والمعاصي التي كانت تقترف جهارا ، والمنكرات التي شاعت ، فكان مئات وآلاف من الناس يتوبون ويقلعون عن الذنوب ، وكان نشيج يعلو وقلوب ترق ، وعيون تدمع ، وموجة من الانابة والرقة تكتسح الجموح الحاشدة لأنه كان يمس القلوب ويصور الواقع ، ولا يكتفي بالكلام العام والوعظ التقليدي . ولك أن تقرأ تفاصيل مجالس ابن الجوزي وتأثيرها في كتاب « صيد الخاطر » و « رحلة ابن جبير » .

وهنا أنقل اليكم قطعة من كتابنا « رجال الفكر والدعوة في الاسلام » والمؤلف يتحدث عن الامام احمد بن حنبل وزهده .

« وقد رأينا الزهد والتجديد مترافقين في تاريخ الاسلام ، فلا نعرف احدا ممن قلب التيار وغير مجرى التاريخ ، ونفخ روحا جديدة في المجتمع الاسلامي او فتح عهدا جديدا في تاريخ الاسلام ، وخلف تراثا خالدا في العلم والفكر والدين ، وظل قرونا يؤثر في الأفكار والآراء ، ويسيطر على العلم والأدب ، الا وله نزعة في الزهد ، وتغلب على الشهوات ، وسيطرة على المادة ورجالها ، ولعل السر في ذلك ، ان الزهد يكسب الانسان قوة المقاومة ، والاعتداد بالشخصية والعقيدة ، والاستهانة برجال المادة ، وبصرعى الشهوات ، واسرى المعدة . ولذلك ترى كثيرا من العبقريين والنوابغ في الامم ، كانوا زهادا في الحياة ، متمردين على الشهوات ، وبعيدين عن الملوك والأمراء والأغنياء في زمانهم ، ولأن الزهد يثير في النفس كوامن القوة ، يشعل المواهب ، ويلهب الروح ، وبالعكس ان الدعة والرخاوة تبلد الحس وتنيم النفس وتميت القلب .

وهناك تعليلات اخرى يوافق عليها علم النفس وعلم الأخلاق ، ولا أطيل بذكرها ، وأقتصر على هذه الملاحظة التاريخية ، والح على ان منصب التجديد والبعث الجديد يتطلب لا محالة زهدا وترفعا عن المطامع وسفساف الامور ويأبى الاندفاع الى التيارات ، ويتنافى مع الحياة الوادعة الرخية والعيشة الباذخة الثرية ، انما هو خلافة للرسول الأعظم صلى الله عليه وسلم ، وقد قيل له : **(ولا تمدن عينيك الى ما متعنا به أزواجا منهم**

زهرة الحياة الدنيا لنفتنهم فيه ورزق ربك خير وأبقى) طه / ١٣١ « وامر بأن يقول لأزواجه (**ان كنتن تردن الحيــاة الدنيــا وزينتهــا فتعالين أمتعكن واسرحكن سراحا جميلا)** الاحزاب / ٢٨ وهذه سنة الله فيمن يختاره لهذا الأمر العظيم ، ومن يرشح نفسه ويمنيهــا بهـذا المنصب الخطير ، ولن تجد لسنة الله تحويلا .

ومن أبرز سمات الدعوة التي يقوم بها الأنبياء وخلفاؤهم ، انها تقوم على الايمان بالآخــرة ، والتحذيــر من عقابها ، والترغيب في نعمائها وثوابها ويكون مناط العمل فيهــا الايمــان والاحتساب والأجر والثواب ، لا على الاغراء بالفوائد الدنيويــة والجــاه والمنصب والمال والملك ، فانه اساس ضعيف منهار ، ولا يتفق مع طبيعة دعوات الانبياء ، والمساومــة فيــه سهلة ، وقد يملك اعداؤهم وخصومهم والقادة السياسيون مثله او اكثــر منه ، ومن رضع بلبان هذه المطامع لم يمــكن فطامــه عنهــا ، ولا يصح الاعتماد عليه ، وانما يبنون دعوتهم على رضى الله وثوابه ، وما اعده الله لعباده المؤمنين ، وما وعدهم به على لسان انبيائه ، من نعيم لا يزول ولا يحول ، والصحف السماوية ــ غير صحف العهــد القديــم التــوراة ــ مملوءة بالحديث عن الآخرة والاهتمام بها والبناء عليها وقد جعل لاسلام الايمان بها عقيدة أساسية وشرطا لصحة الايمان والنجاة ، وقد جاء في القرآن صريحا : (**تلك الدار الآخرة نجعلها للذين لا يريدون علوا في الأرض ولا فسادا والعاقبــة للمتقين)** القصص / ٨٣ .

وهنا استعير لنفسي من نفسي ما قلته في احدى محاضراتي تحت عنــوان « النبوة والانبياء في ضوء القرآن » واختم به هذا الحديث مؤملا في ان تكون هذه السمات التي تحدثت عنها شعار الدعوة التي يقوم بها الدعاة المتخرجون في كل مكان ، او القائمون باعباء الدعوة في كل ناحية من نواحي العالم الاسلامي ، قلت وأنا اتحدث عن الفرق بين منهج الدعوات النبوية وبين الدعوات الاصلاحية .

« ولم تكن دعوة الأنبياء الى الايمان بالآخرة ، او الاشادة بها كضرورة خلقية او كحاجة اصلاحية لا يقوم بغيرها مجتمع فاضل ومدنية صالحة فضلا عن المجتمع الاسلامي . وهذا وان كان يستحق التقدير والاعجاب ، ولكنه يختلف عن منهــج الانبيــاء وسيرتهم ومنهج خلفائهم اختلافــا واضحــا . والفرق بينهما ان الاول منهج الأنبيــاء ايمــان ووجــدان ، وشعور وعاطفة وعقيــدة تملك على الانسان مشاعــره ، وتفكــيره وتصرفاته ، والثاني اعتراف وتقدير وقانون مرسوم وان الاولين يتكلمون عن الآخرة باندفاع والتذاذ ويدعون اليها بحماسة وقوة وآخرون يتكلمون عنها بقدر الضرورة الخلقية والحاجة الاجتماعيــة وبدافــع من الاصلاح والتنظيم الخلقي ، وشتان ما بــين الوجدان والعاطفة وبين الخضوع للمنطق والمصالح الاجتماعية .

قالوا في الأمثال

لا يرسل الساق إلا ممسكا ساقا :

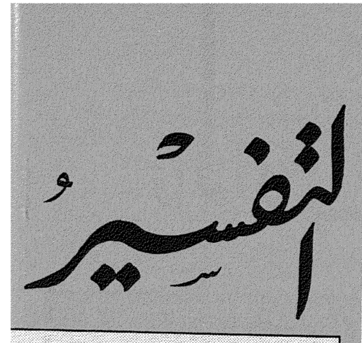
مثل يضرب للحرص على ما في اليد ، فالرجل الحريص الحازم ، يعرف من أين تؤكل الكتف ، ويتوقى مواطن الشر ، ويتحسس مواطن المنفعة ، ولا يفرط فيما في يده اغترارا بما قد ينال ، بل لا يتحول حتى يتأكد من جدوى التحول ، وفي هذا وأمثاله يقال « **لا يترك الساق الا ممسكا ساقا** » ! أي لا يفرط فيما في يده حتى يجد غيره .

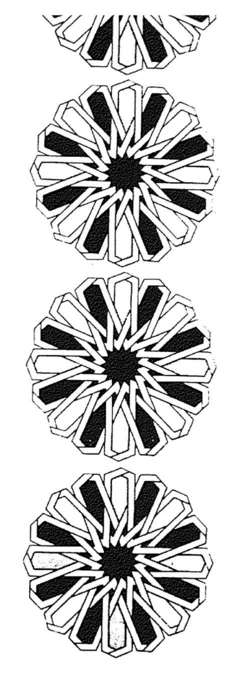
إن الشفيق بسوء الظن مولع :

مثل يضرب للحفاظ على من يحبه المرء ، فاذا اشتد حب الانسان لأخيه أو لابنه ، أو صديقه ، اشتدت رعايته له ، وعنايته به ، وكثرت مخاوفه من أن ينزل به السوء ، فيرقب كل ما يحدث له ، ويصبح في لهفة على معرفة أمره ، لا يطمئن عليه حتى يرى بعينيه ، ويسمع بأذنيه .

يعلم من أين تؤكل الكتف :

يقولون إن لحم الكتف إذا نزع من إحدى جهتيه ، انتزع جملة ، واذا نزع من غير هذه الجهة تفرق ولم يخرج جملة والبصير بالموضع الذي ينتزع منه لحم الكتف جملة ، هو من يستطيع الانتفاع به على خير وجه ، وكل عالم بالأمور ، بصير بمداخلها ومخارجها ، مثله كمثل الرجل الذي يعرف الجهة التي ينتزع منها لحم الكتف بجملة وهنا يقال له : « **يعلم من أين تؤكل الكتف** » .





للدكتور/محمد رواس قلعه جى

مقدمتان

١) إن المتأمل في أفعال رسول الله صلى الله عليه وسلم وتصرفاته في معالجة الأوضاع السياسية ، والتخطيطات العسكرية ، وبناء المجتمع ، وتربية الفرد ، و ... يرى أنها قد بلغت القمة في السداد والاحكام ، حتى أن الناقد لو أنفق الزمن الطويل مفتشا عن ثغرة ينفذ منها إلى النيل من هذه التصرفات لم يحصد إلا الفشل .

ومن هنا فقد حاول بعض كتاب السيرة النبوية الشريفة أن يردوا ذلك كله إلى الوحي ، وبذلك أظهروا رسول الله بمظهر الانسان المسير ، الذي لا يتحرك حركة ، ولا يقوم بأي تصرف إلا بأمر من الوحي ، فهو الذي يخبره بأن قبيلة كذا تجمع الجموع لحربك ، وأن قوم كذا يتآمرون عليك .

ونحن لا ننكر ما للوحي من أثر في تسديد خطوات الرسول صلى الله عليه وسلم ، ولكننا ننكر ذلك الاسراف في رد كل تصرف من تصرفات رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى الوحي ، لأن

السياسي للهجرة

الأصل في تصرفات رسول الله أن تكون وليدة تفكيره وتقديره إلا ما أخبر رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قد أتاه عن طريق الوحي ، ولم يكن رسول الله يتأخر في إخبار الصحابة أن امر كذا هو أمر من الله قد أتاه الوحي به ، ولو ظهر لهم أنه من عند رسول الله . ولعل حديث أركان الايمان عندما جاء جبريل رسول الله وسأله عن الايمان والاحسان والساعة ، وإجابة رسول الله عن ذلك كله ، أكبر دليل على ذلك ، فما أن انتهى رسول الله من حديثه مع جبريل حتى أخبر الصحابة أن المتحدث هو جبريل ، اتاهم ليعلمهم أمر دينهم .

وعندما أنزل رسول الله جيشه في موقع لم يره بعض الصحابة مناسبا لم يفسروا تصرف رسول الله هذا أنه تصرف قد جاءه عن طريق الوحي ، بل تقدم إليه احدهم وقال : يا رسول الله ، أهو منزل أنزلك الله إياه ، أم هو الرأي والحرب والمكيدة ؟ فقال عليه الصلاة والسلام : بل هو الرأي والحرب والمكيدة ، فقال ذلك الصحابي : فاني أرى يا رسول الله أن تنزل غير هذا المنزل ..

وأكبر دليل على صدق ما نقول : أن الوحي ذاته قد عاتب الرسول في بعض آياته على تركه صلوات الله وسلامه عليه الأصلح وأخذه بالصالح .

ومن هذا المنطلق يحق لنا أن نبحث عن التفسير السياسي للهجرة النبوية الشريفة ، من مكة المكرمة إلى المدينة المنورة .

٢) إن الدارس للفكر السياسي لأية حركة من الحركات ، او شخصية من الشخصيات لا يعتمد في دراسته على ما يصرح به السياسيون ، لأنهم كثيرا ما يصرحون بغير ما يقررون ، وقراراتهم الحقيقية تكون — عادة — محاطة بكثير من السرية ، بل يعتمد على التحليل والاستنتاج وقراءة ما خلف السطور ، وسماع ما خلف الألفاظ ، وبقدر ما يكون دقيقا في تحليلاته وقراءته ما خلف السطور واستنتاجه ، بقدر ما يكون موفقا في بحثه ، مصادفا كبد الحقيقة .

ونحن في دراستنا هذه لن نقرأ ما سجله كتاب السيرة الشريفة في السطور إلا نادرا ، ولكننا سنعتمد

اعتمادا كليا على قراءة ما وراء السطور ، لاعتقادنا أن رسول الله كان يمتنع عن التصريح وكشف مخططاته حتى لأقرب المقربين إليه ، لأن هذه المخططات لو كشفت ـ شأن كل المخططات السرية ـ لكان مصيرها الفشل ، وكان رسول الله عندما يرى اشتداد موجة الاستغراب حول بعض تصرفاته السياسية يطمئن النفوس بقوله : « انا رسول الله ولن يضيعني » كما حدث يوم الحديبية .

البحث عن أرض للدعوة :

لما لقي رسول الله من عنت قريش وصلفهم وإعراضهم عن دين الله ما لقي ، كان عليه أن يبحث عن أرض تكون منطلقا صالحا للدعوة ، وموطنا ملائما لتأسيس السلطة التي تحمي الدعوة ، ففكر عليه الصلاة والسلام بالانطلاق نحو الطائف ـ وفي الطائف أخوال رسول الله ـ فسافر رسول الله الى الطائف ـ وأمر الطائف مؤتلف آنذاك غير مختلف ـ ولكنه لم يلق منهم استجابة ولا تأييدا ، لأن الأمر عندهم لم يكن مجرد دين يقبلونه أو يرفضونه ، ولكنه تهديد لكيان قائم ، ونفوذ مستحكم ، ولذلك كان منهم الرفض القاطع الذي لا يقبل نقاشا .
هذا الرد الذي لقيه رسول الله في الطائف جعله يفكر تفكيرا مركزا حول الأرض التي عليه أن يختارها لتنطلق منها الدعوة ، وتقام عليها الدولة التي تحمي هذه الدعوة .

ويظهر أن رسول الله قد خرج بقرارين :
الأول : عدم الخروج إلى أرض اجتمعت كلمة أهلها على الشرك .
الثاني : عدم الخروج إلى أرض قبل تكوين جماعة حماية في تلك الأرض تكون مستعدة للدفاع عن الدعوة والسلطة المقامة لحماية هذه الدعوة .
وقد انتهى رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى أن أنسب أرض لذلك هي مدينة يثرب التي سميت بمدينة رسول الله صلى الله عليه وسلم ، أو المدينة المنورة ، لتوفر تلك الشروط فيها .
ففي المدينة المنورة العرب واليهود ، كل فريق منهما يتربص بالآخر الدوائر ، وقد أطلق كل فريق تهديده بالافناء للفريق الآخر إذا ما توفر له النصير والمعين .
والعرب أنفسهم كانوا فيما بينهم على أشد ما تكون العداوة ، فالكتلتان العربيتان الكبيرتان في المدينة المنورة ـ الأوس والخزرج ـ قد استحكمت بينهما العداوة ، وطحنتهما الحرب ، ومع ذلك كل منهما يشحذ سلاحه ليقطع به أشلاء الآخر .
ولا بد وأن يكون رسول الله قد فكر بأن هذا الوضع سيجعل كل فريق من هؤلاء الفرقاء الثلاثة ، يسعى جاهدا إلى اجتذاب القوة الجديدة القادمة إلى جانبه ، لعله يحقق بذلك الغلبة على خصمه .
وفكر رسول الله بأنه إن استطاع رأب

الصدع بين الأطراف المتخاصمة ، وإظلالها بظل الاسلام سيكون له المكان الأعلى بينها .
ولذلك اتجهت أنظار رسول الله إلى المدينة المنورة لتكون الأرض التي تنطلق منها الدعوة وتقام عليها دولة الاسلام .
وما عليه الآن إلا أن يبدأ بالسير بالخطوات العملية الدقيقة المحكمة التي تحقق له ما يريد .

الاتصال بأهل المدينة المنورة

وتنفيذا لذلك فقد اتصل رسول الله صلى الله عليه وسلم في موسم الحج بالوافدين إلى مكة من أهل المدينة المنورة ، فآمن به وبدعوته طائفة من الخزرج ، ولما عادوا إلى المدينة حدثوا الناس بدعوة محمد صلى الله عليه وسلم ودين الاسلام الذي يدعو إليه ، فقدم على رسول الله في مكة جماعة من أهل المدينة ، وبايعوه : « على ألا يشركوا بالله شيئا ، ولا يسرقوا ولا يزنوا ، ولا يقتلوا أولادهم ، ولا يأتوا ببهتان يفترونه من بين أيديهم وارجلهم (**ولا يعصون رسول الله في معروف**) .
ونلاحظ في هذه البيعة أنه لا ذكر فيها للدفاع عن الدعوة صراحة ، ولكن فيها عبارة : « ولا نعصيه في معروف » تحمل كثيرا من التهيئة النفسية لقبول البيعة على حماية الدعوة والدولة التي تحمي الدعوة ، على اعتبار ذلك من المعروف .

جمع المعلومات عن المدينة المنورة :

وطالما قد اتجهت أنظار رسول الله إلى المدينة المنورة لتكون أرض الدعوة والدولة التي أوكل الله تعالى إليه إقامتها ، كان لا بد من أن يجمع رسول الله المعلومات الكافية والدقيقة عن هذه الأرض وعن أهلها ، وتنفيذا لذلك فقد اختار رسول الله صلى الله عليه وسلم لهذه المهمة رجلا حصيفا ذكيا هو : مصعب بن عمير رضي الله عنه . وزوده رسول الله بالمهمة التي هو ذاهب من اجلها وأرسله مع النفر المبايعين ــ من اهل المدينة ــ على أنه المعلم الذي سيعلمهم امر دينهم الجديد .
والحق ان مصعبا كان يحمل مهمة مزدوجة . الأولى دينية ، وهي شرح عقيدة الاسلام والثانية سياسية ، وهي جمع المعلومات عن المجتمع المدني الذي ستقام بين ظهرانيه الدولة الاسلامية . وسافر مصعب مع النفر المدنيين ، وأقام في المدينة سنة كاملة يجمع المعلومات ويدرس الأوضاع ويدعو للاسلام ، ثم عاد إلى رسول الله في موسم الحج من العام التالي مع من قدم مكة من أهل المدينة مظهرا العزم على أداء الحج . وفي اعتقادي أنه ما عاد لذلك فحسب ، بل عاد أيضا ليضع بين يدي رسول الله ما اجتمع لديه من معلومات عن أرض الدعوة والدولة الاسلامية المرتقبة ، ليخرج رسول الله صلى الله عليه وسلم بتقدير

صحيح للموقف ، ثم بقرار سديد . وما أن وضع مصعب هذه المعلومات بين يدي رسول الله حتى عاد إلى المدينة مع العائدين .

تقدير الموقف

من المعلومات التي وضعها مصعب بين يدي رسول الله ، ومن المعلومات التي حصل عليها الرسول من مصادر اخرى متعددة خرج رسول الله بتقدير صحيح للموقف الذي سيواجهه في المدينة المنورة إذا ما انتقل إليها ويتلخص هذا الموقف فيما يلي :

١) وجود فئة تناوئ الدعوة والدولة التي سيقيمها الرسول في المدينة ، ولا أمل في اجتذاب هذه الفئة إلى الايمان بالدعوة او الولاء للدولة ، لاعتقاد أفرادها أنهم هم الناس ، وأن الله قد اختارهم من بين الشعوب لقيادة الركب الانساني ، وهذه الفئة لها أساليبها التي تمرست عليها في الخداع والتلوي ، تلك هي فئة اليهود .

٢) فئة مزقتها الخلافات القبلية ، فأكلت الكثير من شبابها ، وتلك الفئة هم العرب ، بأوسها وخزرجها ، وهذه فئة قد أظهر العديد من أفرادها الايمان بالاسلام ، فبوادر الخير قد ظهرت فيها ، ولم يبق إلا التأكد من مدى الاعتماد عليها لحماية السلطة الحامية للدعوة ، والدفاع عنها .

٣) وستكون في المدينة أيضا فئة ثالثة هي اشد ما تكون ولاء للاسلام عقيدة ونظاما وسلطة ، ولكن الفقر قد خيم عليها ، لانها تركت جل ما تملك في مكة ، وتجمعت في المدينة المنورة لتساهم في بناء صرح الدولة الاسلامية على أرض المدينة المنورة .

٤) ولن ترضى قريش بقيام الدولة الاسلامية بجوارها ، ولذلك ستقف منها موقف العداء ، وخاصة أنها اظهرت هذا العداء في أبشع صوره في موقفها من الذين آمنوا بالاسلام عقيدة في مكة فكيف بها إذا علمت أنهم آمنوا بالاسلام عقيدة ونظاما ، وسيؤيد قريشا كافة الوثنيين في جزيرة العرب لأن قريشا حامية أصنامهم ومقدساتهم .

٥) واذا ما قدر للدولة الاسلامية في المدينة المنورة أن تقوم ــ وهذا لا بد حادث ــ فان هذه الدولة ستواجه ولا بد عدوين لدودين هما دولة الروم ، حامية الصليب ، ودولة الفرس ، حامية الوثنية ، لأن كل دولة من هاتين الدولتين لا ترضى أن تقوم بجانبها دولة قوية تهدد حدودها ، كما أنها لا ترضى أن يقوم بجانب دينها دين يهدد بمنطقيته باطلها الذي تحميه .

وقد قدر رسول الله أن الصدام المسلح بين الدولة الاسلامية وهاتين الدولتين لا بد واقع ، وقد اكد رسول الله هذا وهو يحفر الخندق للدفاع عن المدينة المنورة ضد هجمة الوثنية عليها ، يوم جمعت الوثنية الأحزاب للانقضاض على المدينة المنورة واستئصال شأفتها ، نعم أكد رسول الله هذا

الصدام بقوله عندما تطاير الشرر من فأسه لما هوى به على صخرة صلدة فقال عليه الصلاة والسلام : « فتحت عليكم بلاد الروم » رواه احمد ، ثم هوى به ثانية فتطاير الشرر منه فقال « فتحت عليكم بلاد فارس » رواه احمد .

فالفأس هو الدولة الاسلامية والحجر الصلد هو دولة الفرس في مرة ، ودولة الروم في مرة أخرى ، وتفتت الصخرة ، وانتصر الفأس .

وقد سبق ان بشر رسول الله سراقة بن مالك بأنه سيلبس سواري كسرى ، ولا يتأتى له ان يلبسها الا بفوز المسلمين على دولة الفرس .

وقد قدر رسول الله ان هاتين الدولتين لن تنتبها إلى شأن الدولة الاسلامية وخطرها عليها إلا في وقت متأخر لسببين :

الأول : البعد بين الدولة الاسلامية في المدينة المنورة وحدود فارس والروم .

الثاني : أن كلا من الدولتين الرومانية والفارسية ستنظر الى الصراع القائم بين الدولة الاسلامية وخصومها من المشركين على أنه صراع داخلي سيؤدي إلى إضعاف العرب ، وإلهائهم عن القيام باغاراتهم المعهودة على حدودهما ؛ ومن شأن كل من الدولتين ان تغذى مثل هذه الصراعات الداخلية التي تنشب بين القبائل .

هذا هو التقدير السليم للموقف الذي خرج به رسول الله ، وهو عليه الصلاة والسلام إن كان لم يصرح به ، إلا أنه دل على وجوده بعبارات لم يقدر المؤرخون أبعادها السياسية .

القرار

تجاه هذا الموقف فقد اتخذ رسول الله قرارا على درجة من الخطورة والسرية ، وهذا القرار وان كان قد ألمح إليه إلا انه لم يفصح عنه في يوم من الايام ، ولكن المتتبع لأحداث السيرة النبوية ، والمعن فيها ، يستطيع ان يقطع باتخاذ رسول الله له ، ويتلخص هذا القرار فيما يلي :

١) تكوين جماعة الحماية في المدينة المنورة قبل خروجه عليه الصلاة والسلام اليها لضرب كل حركة معادية لقيام الدولة الاسلامية ، او معارضة للوجود الاسلامي في المدينة .

٢) معالجة الوضع الداخلي معالجة مجدية .

٣) الاستعداد للصدام المسلح مع أعداء الدولة الاسلامية .

٤) تصفية اوضاع اليهود ، وإبعادهم عن جسم الدولة الاسلامية لفقدان الأمل في إخلاصهم للدعوة والدولة ، وتقديم تصفيتهم على تصفية من عداهم لاعتبارهم ذوي تأثير مباشر في الاوضاع الداخلية .

٥) ثم تصفية نفوذ العرب المناوئ للدولة الاسلامية عقيدة ونظاما في الجزيرة العربية .

٦) ثم بدء الصراع بين الدولة الاسلامية والدولتين الفارسية والرومانية .

تنفيذ هذا القرار

قد لا يكون من العسير على المرء ان يتخذ قرارا في امر ما ، ولكن العسير تنفيذ هذا القرار تنفيذا يكفل عدم وجود خلفيات له يمكن ان تقلب الاوضاع رأسا على عقب ، وخاصة إذا كان هذا القرار هو إقامة دولة لتضع حربتها في نحر دولتين من أعظم دول الأرض آنذاك ـ فارس والروم ـ وتغسل الأدمغة من أدران الجاهلية ، وتبدل القلوب العفنة المظلمة بقلوب أشرق فيها نور الله ، وخاصة أيضا إذا كان هذا القرار من رجل ليس حوله إلا بضع مئات من الناس بما فيهم الأطفال والنساء ، وليس لديه من الامكانيات المادية الحاضرة ما يبقى رمق أصحابه .

إن تنفيذ هذا القرار يعتبر في عداد المستحيلات ، ولكنه مع ذلك أمكن لرسول الله تنفيذه بفضل تأييد الله لرسوله ، والخطوات المدروسة التي كان يخطوها رسول الله صلى الله عليه وسلم . وسنرى كيف تم ذلك كله :

١) تشكيل جماعة الحماية : لما عاد مصعب ـ سفير رسول الله صلى الله عليه وسلم ـ من المدينة المنورة الى مكة مع جماعة من أهلها اجتمع إلى رسول الله ثلاثة وسبعون رجلا وامرأتان من أهل المدينة ، وطلبوا من رسول الله القدوم إليهم ، والاقامة بين ظهرانيهم ، ولا يبعد ان يكون ذلك قد تم بايحاء من مصعب ، فوافقهم رسول الله على طلبهم ، واشترط عليهم ان يحموه وينصروه بالسلاح كما يحمون نساءهم واولادهم ، فقبلوا شرطه وبايعوه على ذلك .

وبذلك يكون رسول الله قد شكل من هؤلاء ، ومن المهاجرين الذين أمرهم ان يسبقوه الى المدينة المنورة جماعة الحماية التي تحمل السلاح في وجه كل من يعارض بالقوة الخطوات التي يخطوها رسول الله صلى الله عليه وسلم في بناء الدولة الاسلامية .

٢) معالجة الوضع الداخلي : لا يمكن لدولة ان تنهض على قدميها وترسم مستقبلها المشرق والخلافات الداخلية تنهش في جسدها ، ولذلك رأينا رسول الله اتجه اول ما اتجه منذ ان حل أرض المدينة المنورة الى إصلاح الاوضاع الداخلية بما يلي :

أ ـ تجميد أوضاع اليهود وفرض الرقابة عليهم : بدأ عليه الصلاة والسلام اول ما بدأ بتجميد اليهود في المدينة بفرض معاهدة عليهم ، وقد وضع رسول الله في هذه المعاهدة من الشروط ما رأى أنه يضمن القدر الكافي من الامن اللازم لاقامة الدولة الاسلامية وتتلخص هذه الشروط فيما يلي :

أولا : السيادة في البلاد للشريعة الاسلامية وحل جميع الخلافات بما تقتضيه أنظمتها .

ثانيا : على اليهود الاشتراك مع المسلمين في الدفاع عن البلاد عند تعرضها لأي اعتداء .

ثالثا : عدم مغادرة البلاد إلا باذن من

رسول الله .

رابعا : على اليهود النصح والنصيحة للدولة الاسلامية .

وبهذه المعاهدة استطاع الرسول تجميد اليهود ليتفرغ تفرغا كاملا لبناء الدولة الاسلامية ، وصد الهجمات التي يشنها عليه أعداء الدولة الاسلامية ، والخروج لفرض هيبة وسيطرة الدولة الاسلامية على مناطق من الجزيرة العربية ، دون ان يستطيع اليهود القيام بقلاقل داخلية ذات تأثير يذكر على كيان الدولة الاسلامية .

ب ـ الاصلاح بين الأوس والخزرج : واستطاع عليه الصلاة والسلام أن يصلح بين الأوس والخزرج ، وأن يجمع كلمتهم تحت لواء الاسلام ، ليحمل كل فريق منهم مسؤوليته كاملة في بناء الدولة الاسلامية ، ونظمهم في مجموعات متكافلة متضامنة ، تؤدي دورها في البناء الجديد .

ج ـ حل مشكلة المهاجرين الاقتصادية : أما مشكلة المهاجرين الذين تركوا أموالهم في مكة وقدموا إلى المدينة لا يملكون شيئا فقد حلها عليه الصلاة والسلام حلا على غاية من الاحكام ، وذلك بفرض المؤاخاة بين المهاجرين والانصار ، فكان المهاجر يرث من اخيه الانصاري وكان الانصاري يتنازل عن جزء من ماله لأخيه المهاجر ، وبقي الأمر كذلك ، الى ان تحسنت الأوضاع المادية للمهاجرين ، فنسخ التوارث بينهم .

٣) بناء الدولة الاسلامية : أخذ رسول الله ببناء الدولة الاسلامية بعد ان تم له ما أراد من إصلاح الأوضاع الداخلية ، والدولة بحاجة الى أمرين اثنين لا يستغنى عن واحد منهما :

الأول : المال ، ولذلك كان على الجميع أن يعمل لتوفير المال الذي يتطلبه بناء الدولة الجديدة .

الثاني : الدفاع عن الدعوة والدولة ، ولذلك كان على الجميع أن يحارب .

ولما كان عدد المسلمين لا يمكن رسول الله من قسمهم الى فئتين ، فئة تقف نفسها للعمل ، وفئة تقف نفسها للجهاد ، فقد اتبع رسول الله نظام عدم التفرغ ، يعني ان اليد التي تبني اقتصاد الدولة هي اليد التي تدافع عن الدعوة والدولة ، وبذلك جعل الشعب هو الجيش ، يمتشق الحسام عندما يدعو الداعي الى الجهاد ، ويبني الاقتصاد والبلاد عندما لم يكن في مواجهة عدو . والحديث عن بناء الدولة الاسلامية حديث يطول ، ولنا فيه جولة غير هذا المقال .

٤) تصفية خصوم الدولة الاسلامية :

ان المتتبع للتاريخ يجد ان رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يصفي في كل سنة جماعة من خصوم الدولة الاسلامية ، ولا أشك بأن ذلك لم يكن ارتجالا من رسول الله ، ولكنه كان ضمن برنامج دقيق وضعه عليه الصلاة والسلام ولم يفصح عنه لئلا

يفقد فعاليته .
وقد بدأ عليه الصلاة والسلام بتصفية اليهود لأن تصفيتهم تعتبر جزءا من الاصلاح الداخلي ، ولأنهم أخطر اعداء الدولة الاسلامية ، ولأنهم عرفوا بتخطيطهم السري وسلوكهم الملتوي .
ففي السنة الثالثة من الهجرة صفى رسول الله بني قينقاع . وفي السنة الرابعة صفى بني النضير ، وفي السنة الخامسة صفى بني قريظة ، وفي السنة السادسة شن هجوما صاعقا على بني المصطلق ، وفي السنة السابعة صفى خيبر . وبذلك انتهى من امر اليهود . والتفت في السنة التي تليها الى تصفية نفوذ العرب المشركين في الجزيرة العربية فصفى في السنة الثامنة قريشا وهوازن ومن أيدهما من قبائل العرب ، وبذلك انتهى من أمر العرب واصبحت وفود قبائلهم تأتيه معلنة إسلامها وانضواءها تحت راية الدولة الاسلامية .
وفي السنة التاسعة بدأ بمناوشة الروم والتحرش بحدودهم في غزوة تبوك .
وفي السنة العاشرة جهز جيشا قويا فيه كبار الصحابة يقوده اسامة بن زيد ، وأمره ان يطأ ارض الروم .
أما غزوة مؤتة التي حدثت مع الروم في السنة الثامنة ، فان قتال الروم فيها لم يكن مقصودا ، لأن رسول الله جهز هذا الجيش ليؤدب به بعض الأمراء العرب الذي انتهك حرمة الدولة الاسلامية فانتصر الروم لهذا الأمير لأنه كان من صنائعهم ، فاضطر الجيش الاسلامي آنذاك ان يقاتل الروم .
وكان رسول الله بين كل عمليتين تصفويتين مما ذكرناهما يقوم بنشاط عسكري وسياسي واسع حسبما تتطلبه الحركة التصفوية المقبلة ، الغاية منه تثبيت بعض أطراف العداء بعقد معاهدات معهم ، مع أنهم ما زالوا على شركهم ، وارهاب بعض القبائل الأخرى لئلا تتحرك ضد الدولة الاسلامية ، وجمع المعلومات التي تفيده في الحركة التصفوية .
وبذلك نستطيع أن نفسر ذلك التحرك العسكري المكثف النشيط قبل فتح مكة ، وقبل غزوة تبوك .

والخلاصة :

إنني أريد ان اقول : إن السيرة النبوية قد درست ومحصت تاريخيا بشكل لا مزيد عليه ، ولكنها لم تعط ما تستحق من الدراسة التحليلية ، وخاصة من الناحية السياسية ، علما بأن رسول الله كان رجل السياسة الأول ، ولولا ان يكون كذلك لما قدر له إقامة دولة كانت غرة في جبين الدهر ، في ظروف لا تسمح مطلقا بقيام مثل هذه الدولة .
ولعل حادثة الهجرة من مكة المكرمة الى المدينة المنورة كانت من أهم التحركات السياسية التي قام بها عليه الصلاة والسلام لقيام دولة الاسلام في المدينة المنورة .

الهجرة وحركة الأيام

للأستاذ محمد لبيب البوهى

حول التاريخ الهجرى

إن الانسان ليأخذه عجب كبير حين يحاول أن يتصور الاسباب التي من أجلها اتخذ حادث الهجرة أساسا للتاريخ الاسلامى ، ذلك ان امور الناس قد جرت على تأريخ أيامهم بربطها بحادث مرتبط بشئ ما يحمل اليهم في طياته ذكريات ذات بهجة ، كأعياد الميلاد ، والانتصار في حرب ، ولكن حادث الهجرة يبدو في ظاهره وكأنه امر سلبى ، كما تصوره الكفار ، وكما لا يزال يتصوره بعض الناس والمستشرقون من الافرنج خاصة بأنه نوع من الفرار . وما نظن أن هذه الأمور كانت خافية على الرعيل الأول من بناة مجد الاسلام الذين اجتمعوا مع عمر رضى الله عنه لدراسة واختيار هذا التاريخ ولا نشك أنهم قد استعرضوا الأمجاد الكثيرة التى مازلنا مع مرور القرون الكثيرة نتنسم عطرها ، ونذكرها بمنتهى الحب والتقدير والتكريم ، فهناك قبل الهجرة وبعدها احداث كثيرة يحمل شذاها الى النفس عطر الفرح بفضل الله ونصره ، فهناك على سبيل المثال لا الحصر مولد النبى صلى الله عليه وسلم ، وهناك اليوم الذى اعلن الله تعالى فيه عباده انه قد اكمل لهم دينهم ، وأتم عليهم نعمته ، وهناك اليوم الذى بدأ فيه سيد الخلق نشر دعوة الله ، وهناك بيعة العقبة ، وبيعة الرضوان ، وهناك .. وهناك ، الى غير ذلك من أمور واحداث لابد أنها كانت ماثلة امام اولئك الامجاد من بناة عظمة الاسلام ومجده وهم يبحثون امر اليوم الذى يتخذ بداية للتاريخ ، وما نظن الا أنهم قد درسوا أمورا كثيرة قد تكون خافية على كثير منا حين أجمعوا أمرهم على اختيار حادث الهجرة بالذات لذلك رغم ما يبدو في ظاهر الأمر من انه حادث سلبى يحمل في طياته آلاما كثيرة وأحزانا عاناها النبى العظيم وأصحابه .

نظرية الخير والشر

وفي الواقع فان حادث الهجرة كان يحوى في ظاهره صورا أسيفة لنضال طالت معاركه واشتدت بين دعوة الحق ودعوة الطاغوت .

ولعل العظة الأولى التى قد ينبغى ان نستخلصها من الهجرة ان اشياء كثيرة قد تكون مؤلمة في ظاهرها داعية الى الأسى والحسرة ثم يتضح فيما بعد انه قد جاء في اعقابها خير كثير . مصداقا لقول الحق سبحانه : **(فعسى أن تكرهوا شيئا ويجعل الله فيه خيرا كثيرا)** النساء/١٩ ولعل اكثرنا لو رجع الى ما مضى من تاريخ حياته لوجد ان كثيرا مما اصابه من خير انما جاء في اعقاب امور حملت اليه كثيرا من اسباب المعاناة كما تعانى الأم آلام المخاض لتسعد بعد ذلك بوليد عزيز .

من سنن الله في الكون

لقد كان حادث الهجرة بعد ان لقى المسلمون امورا شديدة ، وتعرضت الدعوة لريح عاصف ، وذاق كثير من المؤمنين من العذاب ما كان خليقا أن يزلزل النفوس ، وان كتب السيرة لتفيض بألوان الصراع المرير بين كلمة الله وكلمة الكفر ، بما يؤكد سنن الله في الكون من وجوب الجهاد واحتمال كل شدة في سبيل تحقيق النصر في أمر ما ، فان النصر لا يأتى هينا أبدا ولتكون هذه الحقائق نبراسا لنا وللعالمين الى آخر الدهر دون أن تفارقنا في أهوال الجهاد حقيقة اليقين المرجو في نصر الله .

وإن من يتعمق الأمور ، ويربط الأسباب بمسبباتها ، ويحلل كل ظرف ، ويستقصى ما كان في اعقاب الشدائد الجسام التى كانت قبل الهجرة سوف يتبين أن المؤمنين لم يفارقهم الاحساس بأن الله معهم ، وان النصر بانتظارهم في نهاية طريق الأشواك وتأمل هذا المعنى في قوله سبحانه : **(إذ أخرجه الذين كفروا ثانى اثنين إذ هما في الغار إذ يقول لصاحبه لا تحزن إن الله معنا)** التوبة/٤٠ فاحساس المرء بأن الله معه ، وانه على طريق الحق المبين ، يؤكد في نفسه اليقين الذى يبدد أسباب الحزن ، وسوف يدرك من يتأمل ذلك أن حادث الهجرة كان بداية لطريق النصر ، الذى بدأت رياح التوفيق تهب عليهم نسماته من ذلك اليوم ، وانه منذ ذلك اليوم أخذت الدعوة طريقها الصاعد : **(فأنزل الله سكينته عليه وأيده بجنود لم تروها وجعل كلمة الذين كفروا السفلى وكلمة الله هى العليا والله عزيز حكيم)** التوبة/٤٠

من عظات التاريخ

لم تكن الهجرة إذن على مافيها من شدائد وآلام الا بداية حق لفجر الاسلام وعظة باقية الى آخر الدهر ليقول كل مؤمن يدافع عن كلمة الله مرحبا بكل شدة وأهلا بكل عناء فانه لا طريق غير ذلك كى تتفجر ينابيع البركات ، فاذا استيأس المسلمون ، وظنوا في وقت من الأوقات أنه قد أحيط بهم فعليهم أن يلتمسوا العبرة من

أحداث الهجرة ليعلموا ان للحق ربا يرعاه ، وان علينا ان نتعرض لنفحاته ، ونأخذ بأسباب طاعته موقنين عندئذ بالنصر ، على شريطة أن نتحمل في سبيله البذل والعطاء والبلاء : **(وما النصر إلا من عند الله العزيز الحكيم . ليقطع طرفا من الذين كفروا أو يكبتهم فينقلبوا خائبين)** آل عمران/١٢٦و١٢٧ .

للهجرة معان متجددة

على أن الهجرة قد لا تمثل مجرد الانتقال من مكان الى مكان فقط بل إنها قد تمثل حركة الحياة عبر الأيام على أن الهجرة المكانية ليست قاصرة على بنى الانسان فهى بصورها المختلفة من سنن الحياة ، ونحن نشهد في مواسم خاصة هجرة الطيور من أقصى الشمال لتلتمس الدفء في بلاد الجنوب بدافع غريزى التماسا بغريزتها لأسلوب افضل في معيشتها أو بدافع السنن الكونية لاداء مهمة ما كهجرة ثعابين البحار في موسم التوالد لتتجمع في أماكن قاصية في أقصى الارض ، بل ان الفيلة في الغابات تدفعها الغريزة حين إحساسها دنو الأجل الى اختراق الغابة الى مكان تهديها اليه فطرتها لتنام نومتها الأبدية فيما يعرف بمقابر الفيلة .

هجرة الافكار

واذا كان هذا يصور بشكل ما هجرة الأحياء فان هناك هجرة معنوية ستظل باقية الى آخر الدهر وهى هجرة الافكار ، وما العلوم والمعارف التى تلقفتها اوروبا فأقامت عليها وبها حضارتها الا افكار من بلادنا احسنوا استغلالها وان كانوا قد غفلوا عن كثير من جوهرها والذى يحتاجه المسلمون الان هو اصلاح خط مسارهم وجمع الكلمة ونبذ أى مصدر من مصادر الفرقة والخلاف واتباع أسلوب حياة جماعى قائم على العلم والعمل ، العلم النافع بكل صوره والعمل الدقيق المبدع الخلاق المطعم بهذا العلم والمشفوع بارادة التغيير الدائم الى الافضل يوما بعد يوم بل ساعة بعد ساعة بغير مواناة تحول دون ملاحقة قطار الزمن الذى لا يرحم من يتخلف عن مواجهة تبعات الحياة المتجددة ومسئولية الاسلام الأبدية الكونية في قيادة سفينة الوجود كأمانة عاهدنا عليها الله موقنين انه لا سبيل لأى اصلاح حق بغير الاسلوب الدينى الذى هو ضرورة حتمية .

الاسلوب الوحيد لانقاذ البشرية

وإذا كنا نرى أن الاسلوب الدينى السليم هو السبيل الوحيد لانقاذ البشرية وتقدمها فليس ذلك مجرد حدس أو امل بل لقد أثبتت ذلك التجربة الدينية في أول عصور الاسلام حيث لم يحدث الرقى والانتشار والازدهار إلا بالأخذ بالأسباب الدينية قبل ان يتسرب الى الناس أى سبب من اسباب الوهن او الضعف أو التواكل او الجهالة فالدين استطاع ان ينهض بالافراد ويبدل الجماعات ، وينقلها من حال الى

حال ، وتحققت للانسان سعادتـه الكاملة في طريق المادة والروح .

اعادة بناء التفكير الدينى

والذى يجب ان يكون نصب الأعين في طريق حركة الاصلاح ما تسرب الى نفوس المسلمين من ان الدين الخالص انما يكون بترك شئون المادة والتباعد عنها عند بعض الاخوان او التكالب عليها كلية عند قوم آخرين ، ولذلك فان الأمر يتطلب اعادة بناء التفكير الدينى ، ومن الخطأ الأخذ بالرأى الذى يشاع باستعمال تعبير تطوير الاسـلام لمواجهـة احـداث العصر ومتطلباته ، فالدين شامل منذ جاء لكل عصر وكل زمان وكل مكان وليس على اهل كل عصر الا الاجتهاد في الأخذ من ينابيعه الاصلية ، ولذلك فليس صحيحـا أن نقـول تطويـر الاسلام وانما الحق هو تطوير الفكر واسلوب التناول السليم من المنبع الأصيل مع مداومة حركة الاجتهاد الصحيح القائم على ركائز الايمان وهذا ما يمكن أن يعبر عنه بحركة الحياة الفكرية بدراسة متطلبات ما ينبغى تعديله أو تغييره من الأوضاع الفردية أو الجماعية .

افكار معوقة ولا أصل لها

وإذا كان أقوام يبثون في تفكيرنا ان الاسلام ينهى عن الـركون الى الدنيا فانه يجب تصحيح هذا الفهم بأنه يعنى عدم الركون الى شهواتها وملذاتها واتخاذها هدفـا وغايـة ، وهناك فارق كبير بين الـركون الى شهواتها ، وبين امتلاكها وتسخـير ناصيتها للخـير الخـاص والعـام واكتشاف آيات الله في كل امر من أمورها وان ندرك تماما انه ـ اذا كانت الحضارة الغربية قد أقامـت بنيانها على مجرد تسخير المادة الى ابعد غايات ذلك لمجرد الاستمتاع الى غير حد بثمارها فان الاسلام قائم على تسخير المادة بالأسلوب الدينى وروحه وأوامره لأن حياة الآخرة عند المسلم موصولة بحياة الدنيا فهو يزرع هنا ليحصد هنا وهناك والحصيد لا يكون سليما على هذه الموازين بغير عمل دينى وحركة اخلاقية فالدنيـا هى المزرعة ويجب ان تزرع بالاصـول والمواصفات التى وضعها صاحبها سبحانه وتعالى .

أهمية التخطيط الجماعى

كل حركة إصلاحية اسلامية لا يصح أبدا أن تقوم على مجرد اندفاع حماسي غير مدروس وانما بتخطيط جماعى على المستوى الاسلامى كله ، مع ضرورة أن يتضمن هذا التخطيط دراسة كل الاساليب والأفكار التى يعمل اعداء الاسلام على دسها بذكاء في تفكيرنا وفي بعض نظم حياتنا ، علما أن العداء للاسلام سوف يستمر الى قيام الساعة وما ينبغى أن نغفل عن مواجهته أبدا ، والا يكون ذلك العداء المستمر مثبطا لنا وعلينا ان نتقدم باسم الله لقهر كل العوائق التي تزرع في طريق تقدمنا وايقاظ الوعى العام حتى لا ينساق شبابنا خاصة لاغرائهم واحتوائهم تحت تأثير انهم

تقدميون وأنه من الخير لهم أن يثبتوا ذلك بالأخذ بما يساق اليهم وابتلاع هذه الأقراص المسمومة المغلفة بغلاف عسلي .

المنبع الأصيل لكل اصلاح

ان لدينا ولا ريب دعاة للاصلاح ولكنهم كثيرا ما ينسون أن اصلاح المسلمين لا يكون بغير الاسلام نفسه ، وأول ذلك اعادة نشر تعاليمه بأسلوب العصر وتحت مظلة فهم صحيح ، ويجب ان يستقر في وجداننا أن اصلاح أمورنا لن ينبع الا من ديننا ، وأوروبا تعانى الآن امراضا اجتماعية تعمل عمل السوس في نخر بنيانها ومن البلاهة ان نبتلع جراثيم أمراضها على أنها نوع من الدواء .

واذا كنا نكرر أنه أصبح لزاما على المسلمين إعادة بناء حياتهم الاجتماعية والاقتصادية والسياسية والانسانية فليس ذلك معاداة لروح العصر وانما تنظيم وتعديل ، يلائمنا وقد نستطيع ان نقول آسفين اننا لم نخط في هذا السبيل كثيرا ، واننا لم نجتهد بعد في استنباط الأهداف والوسائل استنباطا كاملا .

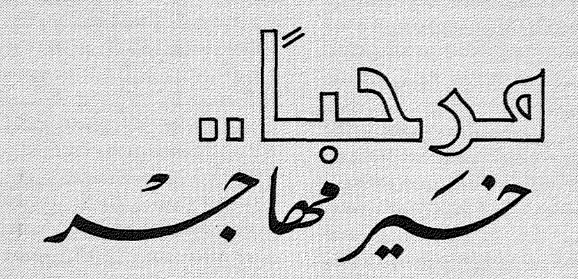
وعلى سبيل المثال لا الحصر نقول ان الفكر الاوروبى حين يتحدث عن الديموقراطية ويعنى بذلك الكفاية والعدل اى تكون هناك كفاية في الانتاج وعدالة في التوزيع فان القوم هناك لاستغراق الفكر المادى بهم استطاعوا تحقيق الشطر الاول وهو كفاية الانتاج وفشلوا في عدالة التوزيع ، ونحن بخلاف ذلك نملك توجيهات ديننا الحنيف ان نهدى العالم الى ديموقراطية اخلاقية روحية اذا كان لابد من استعمال هذا التعبير الشائع .

وجوب التسلح بالارادة

وليس هذا تعصبا من الاسلام أو نبذا لكل ما هو غربى وانما هو تقويم لخط المسار الانسانى بأصالة فكرنا الاسلامى .

نحن في حاجة بداية لتركيز العمل على إيقاظ الوعى احساسا بمسئولية الحياة ثم اعادة الدراسة للأوضاع بالروح المعاصرة ووضع التخطيط للاصلاح العام باجتهاد سليم ثم قبل هذا كله وبعد هذا كله روح الارادة .. وتسليح كل فرد بهذه الارادة ونعنى بها ارادة العودة الى الاسلام الصحيح بروح الجد والمثابرة والصبر والبذل والتضحية لأنه بغير الارادة المسلحة بالعزيمة التى لا تلين حتى بلوغ الغاية فانه هيهات ان يتم شيء .

وعلى كل مسلم أن يدرك تماما أنه لا سبيل الى غير ذلك لاثبات ذاته ، ولن يكون إثبات الذات إلا بالاستغلال الكامل للطاقات التى استودعها الله فينا يوم خلقنا واعدنا لنكون خلفاء في الارض فخلق في طبيعتنا مقومات تنفيذ هذا الاستخلاف .. ان الله سبحانه قد خلق الكون في حركة مستمرة نحو التنظيم والابداع ونحن خلفاء الله في الارض وعلينا أن نحس هذا الشرف ونعمل له وبه ونتخلق بأخلاق الله وهو سبحانه المستعان .



للأستاذ/ابراهيم عبد الفتاح مجاهد

بسنا الهدى ذكرى « محمد » تشرق
فتضوّعُ الدنيا شذا وتَعبّقَ
وتكلل الدهرَ المشوق بما وَعَتْ
من معجزات بالهدى تتألق
ستظل نبراسا تضئ بنورها
كل الوجود مدى الحياة وتُشرِقُ
وتظل هجرةُ خيرِ هاد بَلْسَما
شافٍ لأفئدة بها تتعلق
لما تآمر بالرسول عصابةٌ
أعمى بصيرتها الضلالُ المحدقُ
جمعت على قتل النبي شبابَها
ليلا وقد عهدت بهم أن يأرقوا
لكنهم باءوا بخيبةِ سعيهم
فالله أغشاهم هناك فأخفقوا
وحثا رسولُ الله فوقَ رءوسهم
بعض التراب وسار لا يَتَعَوَّق
وغدت قريش تستحث رجالَها
في كل واد وهي لا تترفق
فتتبعت آثار خيرِ مهاجر
لكنها بالخزى عادت تَحْنِق

عادت يكاد الغيظ يقتل أنفسا
يئست فلم تظفر به أو تلحق
رجعت ولم تعلم بأن المصطفى
في الغار يصحبه الصّديقُ المشفق
في « غار ثور » كان أكرمُ مرسَلٍ
ورفيقه يريان من يَتَسَلّق
لكن وكيف يرى العدوّ « محمدا »
والغار تحرسه السماءُ وتغلق
هل كان باب الغار يحجب ما به
الا لمعجزة بدت تتالق
ومضى رسول الله تكلأ ركبَهُ
عينُ العناية للهدى وتُوَفّق
سل « أم مَعبد » عن كراماتٍ بدت
من خير ضيف قد أتاها يَطْرُق
عجفاؤها أضحت حَلوبا بعدما
جفت وكادت من هُزالٍ تَنْفَق
واسأل « سُراقةَ » كيف كان جوادُه
يكبو به ويغوص ثَمَّ ويُطلَق
قد جاء يقتل أو يرد « محمدا »
فاذا به قد آب عنه يُعَوّق
أغرته جائزةُ الضلال فمذ رأى
منه الخوارقَ عاد وهو يُصَدّق
واستأنف الركبُ الكريمُ مسيرَه
فاذا مشارق أرضِ يثربَ تُشْرِق
وافى « ثنيَّاتِ الوَداع » مكلّلاً
بأجل ماعنه المشاعر تنطق
من معجزات لم تزل أنشودة
يزهو بها التاريخ وهو الشيّق
بك مرحباً يا خيرَ داع جئتنا
بالحق يحدوك الجلالُ المشْرِقُ
شَرّفْتَ « يثربَ » يا أجلَّ مهاجرٍ
بالنور جئتَ وبالهدى تتالق
فاقمْتَ للاسلام صرحَ شريعةٍ
ستظلُّ طوْدًا شامخًا يَتَفَوّق



مع الشباب

الشباب هم نخر الأمة ، ومحط آمالها ، وفلذات أكبادهــا ، ترعاهم بعين ساهرة ، وقلوب حانية؛ ولا غرو ، فهم مستقبلهــا السعيد .

ولقد حرصت وزارة الأوقاف والشئون الاسلامية بالكويت على العناية بتوجيههم ، والأخذ بيدهم الى الطريق الأمثل ، وهديها في ذلك كتاب الله وسنة نبيه .

وكان أن أوصى المسئولون ــ زيادة في رعاية الشباب وتثقيفهم ــ بانشاء باب في مجلتنا (الوعي الاسلامى) يهتم بشئونهم ، ويبسط لهم تعاليم دينهم في يسر ، حتى يكونوا على النهج ، ويتجنبوا المزالق والهوى ، ويتحصنوا في وجه كل دخيل ، ففي الاسلام الدواء لكل داء .

ونحُن نحس بموجة من السرور تطغى على نفوسنا ، حين نرى استجابة شبابنا للنداء الذى وجهناه اليهم ، فلم نكد نعلن على صفحات المجلة أننا على موعد مع الشباب ، نأخذ منه ونعطيه ، ونفتح صدورنا لفكره ، ورأيه ، حتى انهالت علينا الرسائل من أنحاء العالم الاسلامى والعربى ، وبدأنا من خلال تلك الرسائل ، نستشف ما يعتمل في صدور أبنائنا ، وما يجول في خواطرهم ، ثم شرعنا نسجل ذلك في مقتطفات من كلماتهم ، ليتكون منها معرض فكرى ، حافل بشتى المعارف والثقافات ، وسنبذل قصارى جهدنا بعون الله تعالى ، في توثيق الصلة بين شبابنا ودينه ، الاسلام الحنيف ، وان نقيم بناء العقيدة في نفسه على أساس صحيح ، فان أحدا لا يستطيع إنكار ما للعقيدة من أثر باهر في صنع الحياة ، وازدهارها بالخير . والجيوش الباسلة ، إنما تستمد شجاعتها وصلابة مقاومتها من رســوخ العقيدة ، وقوة الصبر ، أكثر مما تستمده من قوة السلاح ، وكثرة العتاد . وذخيرة الخلق الفاضل ، والسلوك الراشد ، أجدى على المجتمع من وفرة الانتاج ، وتكدس الأموال ، مع حياة تكتنفها الرذائل ، وتمسك بزمامها أيد غير نظيفة ...

ونحن نستطيع أن نصنع من شبابنا مثلا رائعة ، إذا أردنا وأرادوا ، والله من وراء القصد وهو ولى التوفيق .

الدعوة الى الله

ومن الأخ جابر محمد حسن خليل ، آداب الاسكندرية قسم اللغة العربية ، السنة الثانية جاءتنا هذه الكلمة نقتطف منها ما يلي :

آثرت أن يكون أول ما يخط قلمى الى إخوانى الشباب ، هو الدعوة الى الله لما لهذا الموضوع من أهمية قصوى ، ولا سيما في عصرنا هذا الذى طغت عليه المادة ، وأقبل الناس على الدنيا ولم يلبوا داعي الله الا قليلا .

ويشغل موضوع الدعوة الى الله حيزا كبيرا في الساحة الاسلامية ، إذ عليه المعول في بناء مجتمع اسلامى مستنير الفكر راسخ الايمان ينتشر بين جنباته العلم والايمان ، مع صدى كل كلمة حق تخرج من انسان يدعو الى الله على بصيرة يقول الحق تبارك وتعالى : **(ادع الى سبيل ربك بالحكمة والموعظة الحسنة وجادلهم بالتى هى أحسن)** ١٢٥ النحل ويقول سبحانه **(ولتكن منكم أمة يدعون الى الخير ويأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر وأولئك هم المفلحون)** ١٠٤ آل عمران .

وعن مكانة الداعى الى الله والتعريف به يقول :

الداعى ، هو مبلغ كلام الله إلى خلق الله ، لذا فله مكانة مرموقة في الدارين يقول الحق تبارك وتعالى : **(ومن أحسن قولا ممن دعا الى الله وعمل صالحا وقال إنني من المسلمين)** ٣٣ فصلت .

وكفى الداعى ثوابا قول رسول الله صلى الله عليه وسلم :

(لأن يهدى الله على يديك رجلا واحدا خير لك مما طلعت عليه الشمس وغربت). رواه الطبراني .

هذا ويلزم الداعى الى الله ، أن يتحلى بالحكمة : **(ومن يؤت الحكمة فقد أوتى خيرا كثيرا)** ٢٦٩ البقرة .

وقد ذكر القرآن الكريم دعاء سيدنا موسى عليه السلام مشيرا الى صفات الداعى الى الله : **(قال رب اشرح لي صدرى . ويسر لى أمرى . واحلل عقدة من لسانى. يفقهوا قولى).** ٢٥ ـ ٢٨ طه .

ويجب أن يتحلى الداعى الى الله بصفات ، منها العلم ، يقول الله سبحانه : **(علم الانسان ما لم يعلم)** ٥ العلق ويقول سبحانه : **(وقل رب زدنى علما)** ١١٤ طه .

وعلى هذا يجب أن يتحلى الداعى بعلوم العربية والدين ولا يتوانى عن طلب هذه العلوم من أهلها يقول الله سبحانه : **(وفوق كل ذى علم عليم)** ٧٦ يوسف معتقدا أنه مهما بلغت درجة علمه فهو الى العلم أحوج **(وما أوتيتم من العلم الا قليلا).** ٨٥ الاسراء .

وليس هناك أعلى قدرا من العلماء أنظر الى قول الله سبحانه : **(شهد الله أنه لا اله الا هو والملائكة وأولو العلم قائما بالقسط لا اله الا هو العزيز الحكيم)** ١٨ آل عمران ولقد

بثه الله في الانسان حتى يكون جديرا بتحمل الامانة يقول الله سبحانـه **(وعلـم آدم الأسمـاء كلهـا)** ٣١/البقرة ولم يكتف بأن علمه فقط بل أمره أن يعلمها غيره وهذا دور الداعى الى الله **(قال ياآدم أنبئهم بأسمائهم)** ٣٣ البقرة .

وحتى يكون قدوة لابد أن يطابق عمله قوله حتى لا يدخل مع من يقول الله فيهم :

(أتأمـرون النـاس بالبـر وتنسون أنفسكم وأنتـم تتلـون الكتاب أفلا تعقلون) ٤٤ البقرة

ومنها الصبر .

وللداعى ولنا في رسول الله صلى الله عليه وسلم أسوة حسنة ، حيث صبر على قريش وإيذاء كفارها له ، طيلة ثلاثة عشر عاما تحت لواء قول الله سبحانه **(ان الله يأمر بالعدل والاحسـان وايتـاء ذى القربـى وينهـى عن الفحشـاء والمنـكر والبغى يعظكم لعلـكم تذكرون)** ٩٠ النحل .

وبعد أن اشتد الأذى منهم وأسرفوا في التعرض له صلى الله عليه وسلم ، لم تهن عزيمته ، بل خرج الى الطائف لعله يجد قلوبا تتطلع الى الهدى ولكنه وجدهم أشد مايكونون حمقا ، وأكثر سفها وجهلا فصبر قائلا : « **اللهم اهد قومى فانهم لا يعلمون** ».

ومنها الشجاعة :

ولقد ضرب الرسول صلى الله عليه وسلم أروع الأمثلة في وجه الطغاة وأمام كل إغراء فقد حاولت قريش إثناءه عن عزمه على الدعوة الى الله فلم تفلح فسلكت طريق الاغراء بالمال والجاه والسلطان فقال بتصميم وعزم وثقة : (ياعم واللـه لو وضعـوا الشمس في يمينى والقمر في يسارى على أن أترك هذا الأمر حتى يظهره الله أو أهلك فيه ما تركته). وليعلم الداعى الى الله أن قتله شهادة وسجنه خلوة ونفيه سياحة وتعذيبه جهاد في سبيل الله وحديث رسول الله صلى الله عليه وسلم يؤكد هذا : (أعظم الجهاد كلمة حق عند سلطان جائر) والرسول صلى الله عليه وسلم يقول : (من رأى منكم منكرا فليغيره بيده فان لم يستطـع فبلسانـه فان لم يستطـع فبقلبـه وذلك أضعـف الايمان).

والجهر بالقول الحق يحتاج الى شجاعة وحسم حتى نعود الى حظيرة الايمان .

ومنها الذكاء :

اذ لابد للداعى أن تكون له مهارة وقدرة في مخاطبة النـاس على قدر عقولهم مبينا الخطأ دون المسـاس بالأشخاص ولكن الغرض هو بيان عظمة الاسـلام ومنهجـه القويـم وايصال تعاليمه الى الناس كل حسب مستواه العلمى مصحوبا بالعمل ، والرسول صلى الله عليه وسلم ترك لنا خير زاد ، انظروا اليه اذا أراد النهى عن منكر فقد كان يقول : « ما بال أقوام يفعلون كذا وكذا ». ويـذكر الفعل ويبين الصواب فقط .

ومن صفات الداعى ، المرونة في

الدعوة الى الله ، فان الله سبحانه لا يكلف نفسا الا وسعها وقد أمر الدعاة أن ييسروا ولا يعسروا وأن يحببوا ولا ينفروا . وليعلم الناس أن رسالتهم الرئيسية في الحياة عبادة الله **(وما خلقت الجن والانس الا ليعبدون)** ٥٦ الذاريات . وبعد هذا أقول للشباب تحلوا بهذه الصفات أو بعضها لتكونوا دعاة الى الله والقدوة أمثل طريق للدعوة الى الله .

وقد أختتم كلمته بعدة اقتراحات قدمها الى المجلة وهى :

تخصيص جزء من صفحات هذا الباب لتقييم كلماتنا ومدى جودتها .

وأن يتسع الباب فيشمل « قصة إسلامية قصيرة ، أو قصيدة » بأقلام الشباب ، وأيضا يشمل الباب ردودا على استفساراتهم وأسئلتهم .

ونحن اذ نشكر السيد/جابر محمد حسن خليل ، نأخذ بيده ليتابع معنا السير على الطريق ، ونعده ببحث مقترحاته لتأخذ طريقها الى التنفيذ بعون الله تعالى ..

رسَالة وَحوَار ...

ومن الشاب أحمد المغنتن ـ مراكش ـ وردت هذه الأسئلة :

١ ـ قرأت في كتاب (نور اليقين) في سيرة سيد المرسلين لمؤلفه (محمد الخضرى) أن الرسول صلى الله عليه وسلم حينما فتح مكة المكرمة خطب خطبة بين فيها كثيرا من الاحكام الاسلامية ومما جاء في تلك الخطبة : (ولا تسافر المرأة مسيرة ثلاثة أيام الا مع ذى محرم) فما المقصود بالمسير ثلاثة أيام ؟ هل مشيا على الأقدام ، أو بواسطة وسيلة من وسائل النقل ؟ علما بأن الوسائل الحديثة تختلف سرعة وبطئا وتبعا لذلك فان المسافة تختلف .

ثم يستطرد معلقا ، ان البلاد الاسلامية تسافر الفتيات والنساء فيها وحدهن من مدينة الى أخرى دون مرافقة محرم .

فما حكم الاسلام في هؤلاء وأوليائهن الذين يبيحون لهن ذلك ؟

وسؤال آخر :

٢ ـ ذهب قوم من المسلمين دون ارغام للقتال في صفوف الجيش الفرنسى في المستعمرات الفرنسية في الهند الصينية وأيضا في الحرب الأهلية الاسبانية .

ومن المعروف أن هذه الحرب بالنسبة لهم لم تكن دفاعا عن حق ولا إعلاء لكلمة الله ، ولا نشرا للاسلام .

وقد أعانوا ـ ربما دولا ظالمة ـ فهم قد أعانوا على الظلم أو نشروا مبادئ مخالفة للاسلام ، وأيضا من المؤكد أنهم سيقتلون ويقتلون فما حكم الاسلام في هؤلاء وفي الأموال التى استلبوها أو التى مازالوا يأخذونها للآن ، وفي موقفهم إذا قتلوا أو قتلوا ؟

وقد توجهنا بهذه الأسئلة الى فضيلة الشيخ بدر المتولى عبدالباسط الأمين العام للموسوعة الفقهية بوزارة الأوقاف والشئون الاسلامية

بالكويت .

فقال فضيلته : ان المراد بالمسير ثلاثة ، السير المعتاد على الأقدام أو على الابل مع وجود فترات راحة خلال المسير والمسافة تقدر (تقريبا) بخمسة وعشرين كيلومترا في اليوم حتى يمكنه أن يتابع السير وهذا ما ذهب اليه الحنفية في تقدير مسافة السفر التى تتغير به الأحكام .

ويرى الحنفية أيضا أنه يحرم على المرأة السفر لأى غرض من الأغراض حتى الحج الا مع زوج أو محرم .

وأجاز بعض العلماء سفرها للأغراض الصحيحة مثل طلب العلم أو الحج اذا كانت مع رفقة صالحة ، وذلك صيانة عن المهانة والمتاعب التى يتعرض لها المسافر عادة .

وبهذا نكون قد أجبنا عن الشق الأخير من السؤال :

وعن السؤال الثانى يقول فضيلته :

يجب على هؤلاء المقاتلين اذا استطاعوا ألا يشتركوا في هذه الحروب .

أما اذا اشتركوا مكرهين فان واجبهم أن يمتنعوا امتناعا كاملا عن قتل المسلم حتى ولو أكرهوا على ذلك .

ويجب عليهم أن يمتنعوا عن تأييد أى اتجاه مضاد للاسلام .

أما الأموال التى استلبوها فان كانت من أمم غير مسلمة ، فلا أرى في ذلك بأسا بخلاف ما اذا كانت من أمة مسلمة فانها محرمة عليهم .

ولا يحل لهم الانتفاع بها فانه لا طاعة لمخلوق في معصية الخالق .

وعن الجزء الأخير من السؤال يقول فضيلته :

اذا قتلوا فلا أعتقد أنهم يستحقون وصف الشهادة حتى ولو كانوا مكرهين .

واذا قتلوا فان كان المقتول مسلما فانهم آثمون . بل أوجب بعض الفقهاء القصاص منهم ، لأن المكره عند الشافعية على قتل نفس معصومة يجب أن يقتص منه . لأنه باشر قتل نفس معصومة .

ويرى الحنفية أن الاكراه شبهة مسقطة للقصاص ، ولكنهم قالوا إنه آثم لأنه آثر نفسه على نفس أخيه المسلم مع عصمته .

وأما اذا كان اشتراكه في الحرب عن طواعية فانه مستحق للقصاص قطعا .

قالوا فى الزهد

● قال الحسن بن آدم : انت اسير الدنيا ، رضيت من لذاتها بما ينقضى ، ومن نعيمها بما يمضى ، ومن ملكها بما ينفد ، تجمع لنفسك الاوزار ، ولاهلك الاموال ، فاذا مت ، حملت اوزارك الى قبرك وتركت اموالك لاهلك .



للاستاذ / سليمان التهامي

الفتوة في اللغة من الفتاء ، وهو الشباب . والفتى فى الاصل الشاب، ولما كان الشباب مصدر القوة ، كانت الفتوة هي القوة ، وقد سموا الليل والنهار فتيان لقوتهما ، فهما يبليان كل جديد ، ويغيران كل طارف وتليد .

وإذا كانت الفتوة بمعنى القوة ، فالمقصود بها القوة الجسمية التي تتوفر للشباب عادة من الضرب بالسيف والطعن بالرمح ، والمهارة في نزال الاقران ومقارعة الشجعان. وكما تطلق الفتوة على القوة حقيقة تطلق مجازا على معان متعددة

ويـــراد بها القـــوة المعنوية . قال صاحب القاموس : الفتى الشـــاب والسخي الكريم ، والفتوة السخاء والكرم . وقال صاحب الاساس : الفتوة هي الحرية والكرم ، والحرية تعني الشجاعة والقـــوة والعـــزة والاباء .

فالفتوة اذن تطلق على مجموعة مـــن الفضائل الانسانيـــة تكسب صاحبها صفات الرجولة الكاملة ، فانكار الذات ، وقضاء الحوائج ، وصنائـــع المعـــروف ، والايثار ، والتحرر من قيود العادات واغلال التقاليد وتطويع النفس لخدمة بني الانسان في غير من ولا اذى هي من صفات الرجولة الكاملـــة .. قال القتيبى في لسان العرب : ــ « ليس الفتى بمعنـــى الشاب والحدث ، وانما هو بمعنى الكامل الجزل من الرجال قال الشاعر :

ان الفتـــى حمـــال كـــل ملمـــة
ليس الفتى بمنعم الصبيان

والفتى يطلق على معان متعددة كذلك . فهو السيد الذي نـــال السؤدد والشرف بخلاله الحميدة ، وافعاله المجيدة ، ومواقفه الخالدة، وهـــو الكريم والفارس الشجاع ، وذو المروءة قال الشاعر : ــ

ولا بد من شكوى الى ذي مروءة
يواســـيك أو يسليك أو يتوجع

والعرب قرنوا المروءة بالفتوة في كلامهم . وقد فرق أبـــو الريحان البيروني بينهما حين قال : «المروءة تقتصر على الرجل في نفسه وذويه وحاله ، والفتوة تتعداه الى غيره » فهي في رايه عامة فـــلا يحتاج الفتى الى النسب العريق كي يصل الـــى السيادة والشرف قال الشاعر :

قد يدرك الشرف الفتى ورداؤه
خلق وجيب قميصه مرقوع

وكان من فتيان العرب الفقراء من بلغ هذه المنزلة كحاتم الطائي حين وهب الرمح لخصمه ، سماحة منه وكرما ، وككعب الأيادي حين فدي قرينه بحقه من الماء المقسوم ، وآثره على نفسه حتى هلك هـــو عطشا ، ومثل هذاينطبق عليه قول الشاعر :

يجود بالنفس ان ضن الجواد بها
والجود بالنفس اقصى غايةالجود

وقد جمع علي بن الجهم الفتوة والمروءة في بيت واحد حين قال : ــ

ولا عار ان زالت عن الحر نعمة
ولكـــن عارا أن يـــزول التجمل

فقد قصد بالشطـــر الاول الفتوة وبالثاني المروءة ومعناه انـــه ليس عارا على الفتى ان يفتقر اذا بذل ماله في سبيل المحاويج أو الغارمين، ولكن العار انه اذا افتقر الا يستعفف وتلك هي المروءة ، ويشر فـــارس في كتابه « مباحث عربية » : فالفتى عند العرب هو من كملت فيه صفات السيادة ، واهله خلقه لأن يقـــود قومه ، ويكون غياثهم عند الكروب، وملجأهم عند الخطوب ، وهو بين الفتوة شيخا كان أم شابا .

كان لطبيعة الصحـــراء أثر في تنشئة العربي على الفتوة .. فالحياة الخشنة التي يحياها اورثته الجلد والقوة والصبر والاحتمال ، والبذل والايثار ، والشجاعة والنجـــدة ، والخطر المتجدد الذي يواجهه رجل يأويه بيت من الشعر والوبر ــ كلما أشرق نهار واظلم ليل ــ تهزه الريح

كلما هبت ، ويجرفه السيل كلما تدفق ، ويدهمه الوحش كلما اشتد به الجوع ، وتطمره الرمال السافيات كلما عصفت بمضاربه العواصف وهذا الخطر على ما يحمله من تهديد لحياة العربي يمده بصفات قلما تتوفر لغير سكان البوادي . فانه يوقظ حواسه وينبه مشاعره الى ما يجري حوله ، ويزكي عقله بحيث لا تفوته شاردة ولا واردة ، ويزوده بطاقات من الجراة والثبات والاقدام ، والعربي امام هذا الخطر وهذه الطبيعة القاسية يعايش هذه الحياة ، حارسه عدته وسلاحه ، وحاميه شدة حماسه وشجاعة قلبه ، قد اكسبه التمرس بركوب الابل وعلى صهوات الجياد ، والضرب في اكناف البيداء حدة في البصر وقوة في السمع ، وقدرة على الشم حتى ليشتم الخطر قبل نزوله به ومداهمته اه .

ان حياة الصحراء فرضت على العربي اخلاقا خاصة ، وطبعته على عادات وتقاليد خاصة ، كذلك صارت له على الزمن طبيعة وجبلة قال ابن خلدون في مقدمته : « ان اهل البدو اقرب الى الشجاعة من الحضر ، فالانسان ابن عوائده ومألوفه ، فالذي الفه حتى صار خلقا وعادة ينزل منه بمنزلة الطبيعة والجبلة » وكذلك كان للبيئة اثر اي اثر في تنمية عقله حتى صار يتقبل الحقائق ، وينظر الى الامور نظرة واقعية ، وينفر من الاوهام والخرافات ، وحيث تنمو العقول فى بيئة تنمو الحرية فالرجل الحر يكره أن يتقيد عقله بأي قيد قال الشاعر:

لا خير في حسن الجسوم وطولها
اذا لم يزن حسن الجسوم عقول

وقد يقال اذا كانت البيئة وحياة الصحراء قد زودت العربي بهذه الخصائص الجسمية والعقلية فكيف نوفق بين ذلك وبين عبادتهم للأصنام ؟

ان عبادة الأصنام اقحمت على حياة العربي خاصة اهل مكة حيث بيت الله الحرام وفيه الكعبة قبلة التوحيد من عهد ابرهيم عليه السلام ، وفرضت عليه في ظل سلطان القبيلة فألفها الفه لعادة مهيمنة حتى صارت جبلة له وطبيعة، ولم تكن له معرفة سابقة تدله على حقيقة التوحيد ، ولا كتاب بين يديه يهديه الى الايمان ، ومع ذلك كان يعرف في قرارة نفسه أن لهذا الوجود خالقا ، واذا سئل عن الوهية الأصنام انكر الوهيتها ، وهذا ما يفهم من قوله تعالى : **(ما نعبدهم الا ليقربونا الى الله زلفى)** الزمر/٣ بل وجد من اصحاب العقول السليمة من عرف أن قومه على ضلال ، وجاهر بهذه الحقيقة (كورقة بن نوفل) وغيره ، وكان بعضهم يسخر منها ، فقد سخر امرؤ القيس من صنمه (ذو الخلعية) وحطمه بعد ان استقسم لديه بالازلام وخرج السهم ينهاه عن ذلك ، ولما راى عمرو بن الجموح — وكان مشركا — أن صنمه لا يذود عن نفسه حين يلقيه غلمان الانصار وسط الاقذار حطمه وأسلم ، وقال عربي آخر وقد راى صنمه تبول عليه الثعالب : لقد هان من بالت عليه الثعالب » .

وجاء الاسلام وهو دين الفطرة قال تعالى : **(أن الدين عند الله الاسلام)** آل عمران / ١٩ وقال

عز وجل : **(فاقم وجهك للدين حنيفا فطرة الله التى فطـر الناس عليها)** الـروم / ٣٠ فـوجـد للعرب تقاليد كريمة واخلاقا قويمة، وفضائل نفيسة ، ومواقف انسانيـة بجانب ما لهم من صفات ذميمة وعلى رأسها عبادة الاصنام ، وهذا ما يوحي بأنهم كانوا على جانب كبير مـن الفطرة السليمة . والفطـرة هـي الخير الخالص اذا لم يعـرض لهـا مما يحوطها ما يصرفها عن السداد في حكمها ، وحينئذ يرى الانسان الخير شرا ، والشر خيرا ، وهو ما يستفاد من قول النبي عليه السلام : « كل مولود يولد على الفطـرة ، وانما أبواه يهودانه وينصرانه ويمجسانه» رواه الشيخان فالفطرة صافية في ذاتها ، ولهذا اختارهم الله لحمل رسالـة الاسـلام قـال تعالى : **« وجاهدوا في الله حق جهاده هو اجـتبـاكـم)** الحـج / ٧٨ وكان من عداهم من الامم قد فسدت فطرهم لما كانوا عليه مـن فساد وانحلال . وقـد اثنـى الله عليهم بقوله : **(كنتم خير امـة اخرجت للنـاس)** آل عمـران /١١٠

عمد الاسلام الى هذه الاصـول الاخلاقية فبني عليهـا ما جاء بـه ودعا اليه مـن اسـس العقيدة ، وقواعد العبادة والمعاملـة ومكارم الاخلاق ، فامتزجت الفتوة العربية بالقيم الدينية في اهاب الاسلام ، وتغير الرشد العقلي لـدى الفتى المسلم ، وسما على الرشد العقلي عند العربي فى الجاهلية ، فكل خلة من خلال الخـير صبغهـا الاسلام بصبغته ، وأضفـى عليها معاني موصولـة بالحق والهدى . قال تعالى : **(صبغة الله ومن احسن من الله صبغة ونحـن لـه عابدون)** البقرة / ١٣٨ وجاء الرسول عليـه السلام ليتمها ويكمل بناءها ، قال عليه الصلاة والسلام : « انما بعثت لاتمم مكارم الاخلاق » البخاري .

ان القرآن الكريم استعمل مادة الفتوة في بعض سوره . فقال تعالى: **(وقال لفتيانه اجعلوا بضاعتهم في رحـالهـم)** يـوسف / ٦٢ وقال في قصة أصحاب الكهـف : **(انهم فتية آمنوا بربهـم وزدناهم هدى)** الكهف / ١٣ وقال : **(واذ قال موسى لفتاه لا أبرح حتى ابلـغ مجمع البحريـن او امضي حقبا)** الكهف / ٦٠ وقال على لسان قوم ابراهيم عليه السلام : **(قالوا سمعنا فتـى يذكرهـم يقال له ابراهيم)** الانبياء / ٦٠ ، واستعملـت مادة الفتـوة في السنة كذلـك ، روى الشيخان عن أبي هريرة رضي الله عنه قال : قال النبي عليه السلام :

« لا يقل احدكم عبدي وامتي وليقل فتاي وفتاتي وغلامي » والسـر في هذه التسمية النهي عن التعاظم ، ولفظ الفتى والغلام ليس دالا على محض الملك كدلالة العبد ، فقد كثر استعمال الفتـى في الحـر وكذلك الغلام والجارية .

هذه النصوص من القرآن والسنة تهدف من وراء التعبير بالفتوة الى بيان شرفها وانها في الاسلام جماع مكارم الاخـلاق ، ولئـن تشابهت اسماؤها مع نظائرها فى الجاهلية فان مسمياتها في الاسلام قد اكتسبت معاني جديدة لم تكن لها من قبل .

لقد بعث رسول الله صلى الله عليه وسلم على راس الاربعين وهي

ذروة الشباب ، ولما دعا قومه الى الله حالفه الشباب وخالفه الشيوخ، والمستقرىء لسيرته العطرة يرى أنه في مستهل شبابه قبل البعثة ، كانت أخلاقه تمثل أخلاق الفتيان ، فقد عزف عما عكف عليه قومه من اللهو واللعب وعبادة الاصنام ، وعرف بالصدق والامانة والعفاف والصلة ، وشارك أعمامه فى حلف الفضول وكان لنصرة المظلوم حتى يؤدي اليه حقه — وآزر قومه في بناء الكعبة ، وبعد البعثة كانت سيرته في حربه وسلمه ، ومعاملته مع أهله وعشيرته صورة مشرقة من الفتوة التي صقلها الاسلام فبدت وثيقة العرى شامخة الذرى ، فشباب الاسلام ورث الفتوة عنه فهو سيد الفتيان بلا منازع . رباهم بين يديه وصنعهم على عينه ، ونفخ فيهم من روحه ، وتعلموا من القرآن والسنة ، فنشأ منهم جيل من الفتيان ضم القائد والداعية والعالم والفدائي والحاكم، وكان أسامة بن زيد أول قائد على جيش ضم كبار المهاجرين والانصار، ومصعب بن عمير اول داعية بعثه الرسول مع أصحاب العقبة ، وعلي ابن أبي طالب أول حاكم على المدينة حين خرج الى تبوك ، وسالم بن عمير وعمرو بن عوف وأبو نائلة ندبهم للمهام الخاصة بأعداء الاسلام كأبي عفك الشاعر وكعب بن الاشرف زعيم يهود ، وغيرهما ممن كاد للاسلام واعتدى على المسلمين، وأذن لأبي لبابة (رفاعة بن المنذر) في الذهاب الى بني قريظة كطلبهم وقد نصحهم بالنزول على حكم الله ورسوله ، وتتابعت أجيال وأجيال استقاموا على الطريقة ، والتزموا سلوك الفتيان ، وقد كان ذلك دأب من اخذوا انفسهم بشرائع الاسلام.

أما أهل الحقيقة فقد ذاعت فتوتهم، وتعطرت العصور بعبير اقوالهم وأفعالهم قال الجرجاني في التعريفات : « الفتوة في اصطلاح أهل الحقيقة هي أن تؤثر الخلق على نفسك بالدنيا والآخرة » وذهب ابن عربي في الفتوحات ، والقشيري فى الرسالة ، وغيرهما من المتصوفة هذا المذهب في معنى الفتوة قائلين بأن الفتى هو من يستخدم قوته في خدمة الله ونصرة الضعيف .

وبعد : فان الفتوة صار لها في الاسلام مفهوم أوسع ومضمون اشمل عما كانت عليه في الجاهلية فهي في كلمة واحدة لمن اتصف بمكارم الاخلاق وقد كان النبي عليه السلام يحمد هذه السجايا ، ويستوفى هذه المكارم ، حتى استحق ثناء ربه في قوله تعالى : **(وانك لعلى خلق عظيم)** القلم / ٤ وموقفه من (سفانة) بنت حاتم طىء دليل على ذلك قال علي رضي الله عنه : لما وقعت سفانة بنت حاتم طىء في أسر المسلمين قالت : يا محمد هلك الوالد وغاب الرافد فان رأيت أن تخلى عني فلا تشمت بي أحياء العرب فاني بنت سيد قومي. كان ابى يفك العاني ، ويحمي الذمار ويقرى الضيف ، ويشبع الجائع ويفرج عن المكروب ، ويطعم الطعام ويفشي السلام،ولم يرد طالب حاجة قط ، أنا بنت حاتم طىء .فقال النبي عليه السلام يا جارية هذه صفات المؤمن ولو كان أبوك مسلما لترحمنا عليه . خلوا عنها فان اباها كان يحب مكارم الاخلاق) .

سيرة ابن هشام .

الفتاوى

للشيخ : عطية صقر

صلاة الجماعة

السؤال ـ هل صحيح ان صلاة الجماعة واجبة وانه لا صلاة لجار المسجد الا في المسجد ؟

محمود صالح مختار ـ بالشامية ـ الكويت .

الجواب ـ وردت عن النبي صلى الله عليه وسلم عدة احاديث صحيحة في صلاة الجماعة تحث عليها وتبين فضلها وتحذر من تركها والتهاون فيها .

وللعلماء إزاء هذه الأحاديث آراء ألخصها فيما يلي :

الرأي الاول : قال احمد بن حنبل : انها فرض عين على كل قادر عليها ، وذهب الى ذلك عطاء والاوزاعي وابو ثور ، ومن اهل الحديث ابن خزيمة ، وابن حبان ، كما ذهب اليه الظاهرية الذين يأخذون بظاهر النصوص .

ومع قول هؤلاء بفرضية الجماعة اختلفوا ، هل الفرضية شرط في صحة الصلاة فتبطل بدونها ، أو ليست شرطا فتصح بدون جماعة مع الاثم ؟ والمجال لا يتسع لتفصيل ذلك .

ومن ادلة الموجبين وجوبا عينيا للجماعة في الصلاة ما ياتي : ـ

١ ـ حديث مسلم والنسائي وغيرهما عن ابي هريرة رضي الله عنه انه قال : اتى النبي صلى الله عليه وسلم رجل اعمى ، فقال : يا رسول الله ليس لي قائد يقودني الى المسجد ، فسأله ان يرخص له ليصلي في بيته ، فرخص له ، فلما ولى الرجل دعاه فقال « هل تسمع النداء بالصلاة » ؟ قال : نعم . قال « فأجب » . وجاء مثل هذا في رواية احمد وابن حبان والطبراني ، وفيها ان الاعمى هو عبد الله ابن ام مكتوم .

ووجه الاستدلال في هذا الحديث ان الرسول عليه الصلاة والسلام لم يرخص في تركها للاعمى ـ وله عذره ـ فكيف بالصحيح الذي لا عذر له ؟

٢ ـ حديث مسلم وغيره عن ابي الشعثاء المحاربي قال : كنا قعودا في المسجد

فاذن المؤذن فقام رجل من المسجد يمشي ، فاتبعه ابو هريرة بصره حتى خرج من المسجد ، فقال ابو هريرة : اماهذا فقد عصى ابا القاسم . ووجه الاستدلال ان تارك الصلاة مع الجماعة عاص ، وهذا يدل على وجوب الجماعة .

٣ ـ حديث مسلم وغيره عن ابي هريرة ان النبي صلى الله عليه وسلم قال : « لقد هممت ان آمر فتيتي فيجمعوا لي حزما من الحطب ، ثم آتي قوما يصلون في بيوتهم ليست بهم علة فاحرقها عليهم » فقيل ليزيد بن الاصم : الجمعة عنى او غيرها ؟ قال : صمت اذناي ان لم اكن سمعت ابا هريرة يأثره عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ولم يذكر جمعة ولا غيرها .

ووجه الاستدلال ان هم النبي صلى الله عليه وسلم بتحريق بيوت المتخلفين عن الجماعة يدل على معصيتهم وهذا يدل على وجوبها ،

الرأي الثاني :قال مالك وابو حنيفة وكثير من الشافعية : ان صلاة الجماعة سنة مؤكدة ، ومما استدلوا به ما ياتي : ـ

١ ـ حديث (اذا صليتما في رحالكما ثم اتيتما مسجد جماعة فصليا معهم ، فانها لكما نافلة) رواه الخمسة عن يزيد بن الاسود الا ابن ماجة . ووجه الاستدلال انه حكم على الصلاة جماعة بانها نافلة ، ويلزمه ان الصلاة الاولى وقعت صحيحة واجزأت عن الفريضة .

٢ ـ حديث (والذي ينتظر الصلاة حتى يصليها مع الامام في جماعة اعظم اجرا من الذي يصليها ثم ينام) رواه البخاري ومسلم . ووجه الاستدلال ان التفضيل في الاجر يدل علي ان الصلاة مع غير الامام لها اجر ، ويقتضى ذلك ان تكون صحيحة ، غير ان اجر الجماعة اعظم . ذلك ان افعل التفضيل يقتضي المشاركة وزيادة ، كما هو معروف .

وهناك احاديث اخرى ترغب في صلاة الجماعة بما يفيد ان ثوابها اعظم من الصلاة المنفردة وان صحت وقد اجاب هؤلاء على ادلة الموجبين للجماعة فقالوا :

أ ـ ان عدم ترخيص النبي صلى الله عليه وسلم لابن ام مكتوم بالتخلف عن الجماعة ليس دليلا على وجوبها حتى على ذوي الأعذار ، وانما ذلك لما يعلمه من حرص عبد الله على الخير مهما كلفه من جهد ، ولما يعلمه ايضا من ذكائه وفطنته واستطاعته حضور الجماعة بغير قائد ، ويدل على هذا ان الرسول عليه الصلاة والسلام رخص لغيره ممن له عذر ان يصلي في بيته ولا يذهب للجماعة في المسجد ، فقد روى البخاري ومسلم ان عتبان بن مالك ـ وهو ممن شهد بدرا ـ قال : يارسول الله قد انكرت بصري ـ اي ضعف نظري ـ وانا اصلي لقومي ، فاذا كانت الامطار سال الوادي بيني وبينهم ، لم استطع ان آتي مسجدهم فاصلي بهم ، ووددت يا رسول الله أنك تأتيني فتصلي في بيتي فأتخذه مصلى .

فاستجاب له وصلى فيه ركعتين . ولا يقال إن الترخيص لعتبان ـ وهو لعذر ـ دليل على ان الجماعة واجبة على غير المعذورين ، لانها لوكانت واجبة لقال له :

انظر من يصلي معك في بيتك ، فعدم امره بذلك دليل على ان الجماعة سنة .
ب ــ ان حديث الهم بتحريق بيوت المتخلفين عن الجماعة لا يدل على وجوبها ، بل يدل على عدم الوجوب لامرين ، الاول : ان همه بترك الصلاة وانابة واحد يصلي بالناس دليل على عدم وجوبها ، والا فكيف يترك واجبا ؟ ولا يقال انه لو عاد من تحريق البيوت لامكنه ان يجد جماعة يصلي بهم ،،لان وجود جماعة غير مضمون ، والثاني ان الجماعة لو كانت واجبة تستحق تحريق بيوت المتخلفين ما تاخر عن تحريقها معاقبة لهم على المعصية ، لكنه لم يفعل فدل ذلك على عدم وجوبها وغايته انها هامة .
٣ ــ ان احاديث الهم بالتحريق وردت في شأن المنافقين لتخلفهم كثيرا عن الفجروالعشاء ، وذلك في رواية ابي هريرة نفسه التي اتفق عليها البخاري ومسلم ، فقد جاء في آخرها (والذي نفسي بيده لو يعلم احدهم انه يجد عرقا سمينا او مر ماتين حسنتين لشهد العشاء) والعرق بقية لحم او عظم عليه لحم ، والمرماتان ما بين ظلف الشاة من اللحم . فالحديث منصب على من يكثرون التخلف وبخاصة عن الفجر والعشاء ، وهذا دأب الذين فيهم نفاق جاء في بعض روايات الشيخين (ان اثقل صلاة على المنافقين هي الفجر والعشاء) .
٤ ــ ان الوعيد بتحريق بيوت المتخلفين عن الجماعة يراد به الزجزلا حقيقته لان الاحراق لا يكون الا للكفار والاجماع على منع احراق المسلمين .
٥ ــ ان فرضية الجماعة يراد بها صلاة الجمعة كما جاء عن ابن مسعود في صحيح مسلم ، لكن رد هذا بان التهديد يجوز ان يكون للتخلف عن الجمعة وعن الصلوات الاخرى وبخاصة الفجر والعشاء .
٦ ــ ان فرضية الجماعة كانت في اول الامر لحرص النبي صلى الله عليه وسلم على حضور الناس جميعا معه لتبليغ الوحي وارشادهم ثم نسخ الوجوب . قال الحافظ ابن حجر : ويدل على النسخ الاحاديث الواردة في تفضيل صلاة الجماعة على صلاة الفذ ، اي المنفرد لان الافضلية تقتضي الاشتراك في اصل التفضيل ، ومن لازمه الجواز . هذا بعض ما قيل في مناقشة أدلة الموجبين ، الى جانب ان الوجوب فيه حرج ، والارض كلها مسجد .

الرأي الثالث : قال الشافعي في احد قوليه وجمهور المتقدمين من اصحابه وكثير من المالكية والحنفية :
ان صلاة الجماعة فرض كفاية ، يجب على اهل كل محلة ان يقيموها ، واذا اقامها بعضهم سقط الطلب عن الباقين ، وكانت في حقهم سنة ــ وذلك لاظهار شعيرة الاسلام باجابة المؤذن واقامة الصلاة ، وسند هذا القول ما ورد من الاحاديث المؤكدة لفضلها والمحذرة من تركها ، ويوضحه او يبين حكمته ما قاله ابن مسعود ــ كما رواه مسلم ــ : ولو انكم صليتم في بيوتكم كما يصلي هذا

المتخلف في بيته لتركتم سنة نبيكم ، ولو تركتم سنة نبيكم لضللتم ، وفي رواية ابي داود لكفرتم . والمراد بسنة النبي دينه وطريقته لا السنة بمعنى المندوب ، فان ترك المندوب لا يؤدي الى الكفر والضلال .

وهذا الرأي الثالث له وجاهته وهو كون الجماعة فرض كفاية على المجموع يسقط باداء بعضهم ، وسنة مؤكدة في حق الجميع اي في حق كل واحد على حدة . واداء الجماعة في المسجد افضل من ادائها في البيت او السوق بنص حديث البخاري ومسلم « صلاة الرجل في جماعة تفضل صلاته في بيته وفي سوقه خمسا وعشرين درجة ، وذلك انه اذا توضأ فأحسن الوضوء ثم خرج الى المسجد لا يخرجه الا الصلاة لم يخط خطوة الا رفعت له بها درجة وحط عنه بها خطيئة حتى يدخل المسجد فاذا دخل المسجد كان في صلاة ما كانت تحبسه ، وماتزال الملائكة تصلي عليه مادام في مجلسه الذي صلى فيه ، اللهم اغفر له ، اللهم ارحمه ، ما لم يحدث فيه » .

وقد رأى جماعة ان من له زوجة او اولاد يصلي بهم في بيته ولو تركهم وصلى في المسجد مع الناس لتركوا الصلاة فان صلاته جماعة بهم افضل من تركهم وصلاته في المسجد ، مادام هناك من يقيم صلاة الجماعة فيه غيره ، واما حديث « لا صلاة لجار المسجد الا في المسجد » فليس بصحيح ، ولو صح لكان المراد به نفي الكمال لا نفي صحة الصلاة ـ ذكره المناوي في « فتح القدير » على « الجامع الصغير » للسيوطي .

وكان المسلمون الاولون حريصين على صلاة الجماعة واقامتها في المسجد لمضاعفة الثواب ، حتى ان الرجل منهم كان يؤتى به يهادي بين الرجلين ـ اي يسندانه ـ حتى يقام في الصف كما رواه مسلم عن ابن مسعود .

وقد اخترنا الرأي الثالث جمعا بين الاحاديث التي يشعر ظاهرها بالوجوب وبين الاحاديث التي تدل على الندب لما فيها من الفضل ، والجمع بين الاحاديث افضل من اهدار بعضها .

وهذا كله في حق الرجال اما صلاة الجماعة للنساء في المسجد فليست واجبة ولا مندوبة ، لان صلاة المرأة في بيتها افضل ، كما نصت على ذلك الاحاديث المقبولة ، ولو صلت في بيتها جماعة كان افضل على الا تكون اماما لرجل .

اجابات قصيرة

الأخ / ع٠ع الجمهورية التونسية : نشكر لك شعورك ، ونحن جميعا مؤمنون أن الدين ليس أفيون الشعب ، ولكننا ندعو الى التنظيم والتخطيط الدقيق لتغيير المنكر ، والفتوى شاملة وواضحة ، وفيها عرض للاراء أكثر من اختيار رأي معين ، هدانا الله جميعا سواء السبيل .

بأقلام القراء

تعقيب على موضوع
« إفريقيا في ظل الاسلام »

جاءنا من الاستاذ عبد الله آدم هذا التعقيب على ما نشر تحت عنوان (إفريقيا في ظل الاسلام)

جاء في مجلة الوعي الاسلامي العدد (١٦٤) شعبان ١٣٩٨هـ يوليو ١٩٧٨م الموضوع أعلاه للشيخ عبد الرحمن النجار الذي عرض مشكورا الجوانب المضيئة دون التعرض للمشاكل والمعوقات التي لم تصبح فقط حجر عثرة في انتشار الاسلام بالقارة ولكن صارت حائلا دون تفهم المسلمين لدينهم ومانعة لهم من اداء شعائرهم .

ان المشكلة التي تواجه المسلمين بافريقيا ــ فيما ارى ــ ليس انتشار الاسلام او عدمه ولكن تكمن المشكلة وخاصة عند المسلمين الذين لا يتحدثون اللغة العربية كلغة اساسية ، في صعوبة فهم دينهم بسبب عدم إلمامهم الكافي باللغة العربية ثم ضعف الامكانات المادية الضرورية لتوفير الوسائل المطلوبة لاداء الشعائر الدينية .

بينما نرى ان الدول الغربية تبذل الكثير لنشر لغاتها بافتتاح مراكز تعليم لهذه اللغات في جميع الاقطار الافريقية نجد ان الدول الاسلامية وخاصة العربية لم تهتم بنشر اللغة العربية بين الاقطار الافريقية المسلمة باستثناء محاولات فردية لم تتمكن لضعف امكانياتها لاداء رسالتها كاملة ، ولعل قيام معهد تعليم اللغة العربية لغير الناطقين بها بالسودان قبل فترة قصيرة بمجهود جماعي هو بداية للنظرة الصحيحة لهذا الامر .

ان افريقيا تعتبر غنية بمواردها ولكنها فقيرة في واقعها الحالي لعدم او ضعف استثمار هذه الموارد وعليه فان معظم المسلمين وخاصة عندما يكونون اقلية في قطر ما نجدهم في حاجة ماسة لمساعدات تعينهم لاداء شعائر دينهم : (كالمساجد ــ الخلاوي ــ التعليم ــ التدريب المهني ــ المشاريع الاعاشية . الخ)

ولقد تنبه مجلس الكنائس الافريقي ــ الذي هو فرع من مجلس الكنائس العالمي وبواسطته ومساعدته ــ في أهمية مساعدة المسيحيين في الامور المذكورة أعلاه ، بينما لم تهتم المنظمات الاسلامية العالمية بهذه الجوانب العملية مكتفية بعقد المؤتمرات واصدار التوصيات التي لا ترى التنفيذ الا نادرا .

إن الاحصائية التي استشهد بها الكاتب لأحد « القسسة » وذلك في قوله « ان دخول الافريقي في المسيحية

يقابله دخول ٨٧ من زملائه في الاسلام » !! امر لا يؤيده الواقع المعاش حاليا وفي رأيي ان القسيس اراد بقوله هذا ان يجد اذنا صاغية لتوصيته التي أوردها الشيخ عبد الرحمن النجار وهي قوله « ... ان علينا ان نتخذ قرارا حاسما وعمليا » ! ولا بد ان هذا القرار قد اتخذ ونفذ ! فقد ذكرت إحصائية لمجلس الكنائس الافريقي قبل أعوام إن إفريقيا سجلت أعلى مبيوعات للانجيل على مستوى القارات .

واذا كان لا بد من خطوات عملية لمساعدة المسلمين غير الناطقين باللغة العربية بافريقيا اقترح :

(١) قيام مجلس متخصص في شؤون المسلمين بافريقيا له من الامكانيات ما يلبي حاجاتهم العاجلة لفهم دينهم واداء شعائرهم واجراء البحوث المتعلقة بشؤونهم بدلا من الاعتماد على غير المسلمين في معرفة هذه الحقائق .

(٢) هنالك جمعيات خيرية اسلامية مبعثرة في كثير من مناطق المسلمين بافريقيا فهي ايضا في حاجة لجمعها في اتحاد واحد على مستوى القارة للاستفادة من تجاربها والتنسيق بين أعمالها ولتبادل الخبرات بينها ولتحديد أولويات احتياجاتها .

(٣) إصدار مجلة شهرية باللغة العربية تعنى بأحوال المسلمين بافريقيا اسوة بالمجلتين اللتين تصدران باللغتين الانجليزية والفرنسية .

حقيقة الايمان

جاءتنا هذه الأبيات معبرة عن حقيقة الايمان وعمقه في نفس الشاعر المؤمن الاستاذ محمد عبد الله قولي :

حب الحقيقة قد سرى بكياني — متألقا في الروح والوجدان
أهوى الحياة وما يلذ وإنما — لا أنتحي عن شرعة القرآن
أغدو مع الفجر الضحوك مقبلا — نسم الصباح بفرحة النشوان
أرنو الى الرحمن أن يهدى الخطى — ويقيلني من زلة تلقاني
أنا مؤمن بك يا قضاء وموقن — أني عبيد الواحد الديان
رزقي هدية خالقي ، وعطاؤه — أسعى إليه بهمة وتفان
لا أشتكي من قلة او ضائق — كيف الشكاة أبث للانسان ؟
كم من بلايا أحدقت لتروعني — قد عذت منها بالحمى الرباني
نحن العبيد لذا الاله ، وعدله — شمل الوجود وزاد في إحسان
هو ربنا وهو الرحيم على المدى — وهو القدير وما له من ثان



الصلاة على النبي صلى الله عليه وسلم

وفي رسالة للأخ حسن محمد حلمي يسأل فيها عن صيغة الصلاة على النبي صلى الله عليه وسلم وهل يكفي أن نقول عليه السلام وهل تلزم المؤمنين صيغة بعينها ؟

نقول للأخ حسن إن المجلة قد دأبت على الالتزام بالنصوص الصحيحة ، وفي هذا المقام يجيب القرآن الكريم ، يقول الله سبحانه : **(إن الله وملائكته يصلون على النبي يا أيها الذين آمنوا صلوا عليه وسلموا تسليما) .**

من هذا النص الكريم نفهم أن الله أمر عباده بالصلاة على النبي صلى الله عليه وسلم .

ويقول القرطبي :

لا خلاف في ان الصلاة على النبي صلى الله عليه وسلم فرض في العمر مرة . وفي كل حين من الواجبات وجوب السنن المؤكدة التي لا يسع المؤمن تركها ، ولا يغفلها الا من لا خير فيه .

وقال الزمخشري :

الصلاة على رسول الله صلى الله عليه وسلم واجبة .

وقد اختلف في وجوبها :

فقيل : إنها واجبة كلما جرى ذكره عليه الصلاة والسلام .

ويرى آخرون أنها تجب في كل مجلس مرة ، وإن تكرر ذكره .

وقيل إنها واجبة في العمر مرة .

والذي يقتضيه الاحتياط الصلاة عليه عند كل ذكر .

ويقول الفخر الرازي :

الصلاة على النبي صلى الله عليه وسلم ليس لحاجته اليها ، والا فلا حاجة الى صلاة الملائكة مع صلاة الله عليه ، وانما المراد اظهار تعظيمه وليثيبنا الله عليها .

وقد أخرج مسلم في صحيحه عن عبد الله بن عمرو بن العاص رضي الله عنهما أنه سمع رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول :

« من صلى على صلاة صلى الله بها عليه عشرا »

وفي الحث على الصلاة على النبي صلى

الله عليه وسلم ما رواه الترمذي من قول الرسول صلى الله عليه وسلم : « البخيل من ذكرت عنده فلم يصل علي » .

وقد أراد الله سبحانه تكريم البشر بهذه النعمة ، وتشريفهم بالصلاة على النبي صلى الله عليه وسلم مقرونة بصلاة الله عليه وتسليمه ، وصلاة الملائكة في الملأ الأعلى وتسليمهم .

والقرآن الكريم كما ورد في صدر الاجابة يقرر هذه الحقيقة بوضوح وجلاء دون لبس أو غموض فقول الله سبحانه : **(صلوا عليه وسلموا)** أى قولوا الصلاة على الرسول والسلام .

وقد وضح أن المطلوب من المسلمين الالتزام بما ذكر حول هذا الموضوع من النصوص ، والتي تنص كلها على الصلاة والسلام على الرسول .

وليس هناك أى نص خرج عن هذا ، ولم يرد بالسنة عند الصلاة والسلام على النبي الاكتفاء : « بالسلام عليه » كما يحلو لبعض الناس في كتاباتهم .

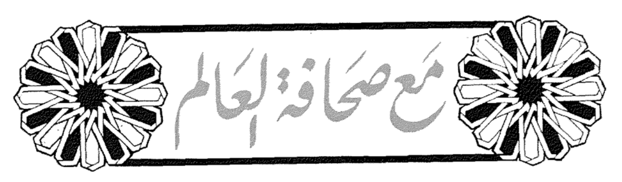
وأيضا لا تجوز الاشارة بحرف « الصاد » او « صلعم » عند الصلاة والسلام عليه فان ذلك أيضا لا يتفق مع النص الصريح الذي يحث على الصلاة والسلام على النبي صلى الله عليه وسلم .

ايضاح حول تقدير نصاب الزكاة

جاءنا الايضاح التالي من **الدكتور نور الدين عتر** ـ دمشق ـ كلية الشريعة ـ يقول : وقع في مقالي « فتح الجثة » الذي نشر بالعدد (١٦٤) شعبان ١٣٩٨ هـ سهو في رقم تقدير نصاب الزكاة بالليرات السورية يحتاج الى ايضاح وهو :

الأصل في النصاب الذي تجب الزكاة على ملكه وحال عليه الحول عنده ـ أنه عشرون مثقالا من الذهب ، أو مائتا درهم من الفضة .

ويقدر النصاب من العملة الورقية بما يقابل ذلك . وهذا يختلف قدره من بلد الى بلد ومن زمان ، الى زمان فعلى كل مسلم أن يعتمد على أسعار بلده للذهب ، والفضة ، حين نظره في وجوب الزكاة عليه ، من بدء ملك النصاب بالشروط المقررة ، والتوصل لذلك ميسور جدا بسؤال صائغ مسلم صادق . ثم يراعى الأنفع للفقراء في التقدير ، فان كان الأنفع لهم تقويم النقود بالفضة لكونها أرخص اعتمد على حساب قيمة النصاب بالفضة وإن كان الأنفع لهم تقويم النصاب بالذهب اعتمد على حساب قيمة النصاب بالذهب . والله ولي التوفيق .



الصحافة الاسلامية وما يجب أن يكون عليه

نشرت مجلة « منار الاسلام » في عددها الصادر في اول ذي العقدة الماضي مقالا حول وضع الصحافة الاسلامية وما يجب ان تكون عليه بقلم السيد سعيد عبد الله حارب ويحدد المقال تصور المجلة للأسس التي يجب ان تقوم عليها الصحافة الاسلامية في العصر الحديث من اجل تحقيق الدور المأمول منها في ترسيخ القيم الاسلامية في نفوس المسلمين وقد جاء في المقال .

في خضم البحر المتلاطم من احتياجات المجتمع الاسلامي المختلفة ، تبرز الصحافة كعامل ضروري من عوامل النهوض بهذا المجتمع والسير به نحو التكامل ملتقيا مع بقية الاحتياجات ، إما في اول الطريق او آخره ، فالمجتمع الاسلامي كما يحتاج للجانب الاقتصادي ومؤسساته التي تقوم على دعائم من الاسلام يحتاج كذلك الى النظام الاجتماعي التربوي والعبادي الاسلامي وما الاعلام الا جزء من ذلك .

ولقد تشعبت في السنوات المتأخرة احتياجات الاسلام من اذاعة مرئية ومسموعة ومقروءة الى غير ذلك من الوسائل الاعلامية وبنظرة سريعة الى الصحافة عموما نجد انها تقدمت خطوات واسعة في جميع المجالات الفنية منها والموضوعية ، واصبح الخبر يبرز على صفحات الجرائد ، بعد ساعات من صدوره تتسابق اجهزة الصحافة على نشره وتوصيله الى القاريء في اقرب وقت ممكن .

ولكن ، في هذا الميدان الواسع ، اين تقف الصحافة الاسلامية ؟

لا شك انه من العسير جدا الاجابة على هذا السؤال ، فموقف الصحافة

● وجهت صحيفة « جويش كرونيكل » لسان حال اليهود في بريطانيا نداء الى الحكومة الاسرائيلية كي تعترف بالحقوق المشروعة للشعب الفلسطيني وحقهم في اقامة وطن قومي لهم .

واضافت الصحيفة انه يجب على اسرائيل ان تنسحب من الاراضي العربية المحتلة واعطاء الفلسطينيين حق تقرير المصير وذلك اذا ما ارادت السلام مع العرب .

الاسلامية قد لا يبدو واضحا جليا بين الجمع الزاخر من الصحف والمجلات ، بل ان الامر قد يقتصر على صحافة اسلامية فردية تقوم بجهود ذاتية ضعيفة او حكومية محدودة . وما هذا التخلف الاسلامي في ميدان الصحافة الا انعكاس عن التخلف العام الذي يلف الحياة الاسلامية عموما . واننا نقترح اسسا سليمة تنهض عليها الصحافة الاسلامية نذكرها فيما يلي :

١ ــ إيجاد العناصر الاسلامية الفنية المخلصة المدركة لابعاد الدور الذي تقوم به حتى لا تنحرف بما تقوم به او تتخذه وسيلة للوصول الى اهداف اخرى ، ٢ ــ ان تعدد وسائل الصحافة وانواعها يفرض على الصحافة الاسلامية ان تكون مواكبة لذلك التعدد ، فلا يكفي ان تكون هناك مجلات اسلامية شهرية او نشرات دورية تصدر جامعة لمقالات مطولة وابحاث علمية لها دورها الاساسي في الصحافة ، بل لا بد ان تكون هناك صحافة سريعة يومية او اسبوعية تتابع الخبر والتحقيق والاستطلاع في اقرب فرصة ، وتشكل بالتالي تكاملا موضوعيا مع الابحاث التي تنتشر شهريا او دوريا وحتى يعيش القارىء في ربط متواصل خلال يومه واسبوعه وشهره بصحافة يكمل بعضها بعضا .

٣ ــ العالم الذي نعيش فيه الان ، لا يعترف بالعموميات والشمول في ميادين العمل فلا بد من التخصص وبالتالي فلم تعد هناك صحافة عامة تجمع شتى علوم الحياة ، ولذلك تخصصت الصحف والمجلات ، فهذه علمية وتلك طبية واخرى نسائية ورابعة فنية .. وهذا التخصص يفرض على الصحافة الاسلامية متابعته واحتواءه فليس شرطا في الصحافة الاسلامية ان تعالج جوانب العبادة او الاحكام الشرعية فقط ، بل لا بد ان تكون هناك الصحيفة العلمية ولكن بمنظار اسلامي ، والمجلة النسائية بنظرة اسلامية والجريدة

بدء تطبيق الشريعة الاسلامية في الباكستان

● صرح الرئيس الباكستاني محمد ضياء الحق بأنه يجري الان وضع الترتيبات اللازمة لتطبيق الشريعة الاسلامية في باكستان واعرب الرئيس ضياء الحق عن امله بأن تطبيق قوانين الشريعة الاسلامية سيساعد على تقليل معدلات الجريمة ويؤدي الى تحسين حالة النظام واستتباب الامن في باكستان وكان قد اعلن مسبقا عن الغاء العمل بنظام الفوائد في كافة المعاملات الاقتصادية هناك .

ومما يذكر ان الدستور الاسلامي قد عدل منذ فترة وجيزة بحيث يعطي المحاكم العليا في الباكستان الحق في تعديل او الغاء اي قانون لا يتمشى مع احكام القرآن والسنة النبوية الشريفة .

الفنية بواقعية اسلامية ثم بجانب هذه وتلك تكون المجلة الاسلامية المتخصصة في علوم الشريعة .

٤ ــ تبني قضايا المجتمع وتحليلها ، واحتواؤها ثم دراستها وايجاد الحلول المناسبة لها .

٥ ــ الالتزام بسياسة منهجية واضحة وصريحة ، حتى تعرف الصحيفة هويتها لدى القاريء فيتمكن بذلك من تقييمها والحكم عليها ، .

٦ ــ الموضوعية .. فيما تكتب وتنقل ، وعدم الاعتماد على الاثارة الكاذبة او المكسب الوقتي او النقد الذي لا يستهدف من ورائه خير ، فان كسب الناس يحتاج الى جهد ووقت طويل اما خسارتهم فما أسرعها بنشر خبر كاذب او تهجم ظالم .

هذه بعض الاسس التي تلوح امام السالكين الى بناء صرح من صروح الاسلام على طريق التكامل نحو مجتمع إسلامي ..

وتحت عنوان (الدم الاسلامي) .. أرخص الدماء في الأرض كتبت مجلة (الدعوة) القاهرية مقالا للدكتور عبد الحليم عويس :

لو أن عقلا ألكترونيا من تلك العقول التي صنعتها امريكا ، أو وصيفتها على الطرف الآخر من محور القوة روسيا .

لو أن عقلا من عقول هؤلاء أو أولئك توافر على اجراء احصاء دقيق لتلك الملايين من الرؤوس البشرية التي انفصلت عن أجسادها في غير حرب وبلا ثمن .. ولتلك الدماء التي سالت وأهدرت باسم شعارات (التقدمية) و (الثورية) و (الاشتراكية) و (القومية) وغيرها من الشعارات ..

لو أن نلك الاحصاء قد تم فعلا لأثبت ــ بما لا يدع مجالا للشك في رأينا ــ أن (الدم الاسلامي) ــ هو أرخص الدماء في الأرض ، خلال هذا القرن العشرين للميلاد الرابع عشر للهجرة .

(حول الاستشراق والمستشرقين)

كتبت مجلة (الهداية) التي تصدرها وزارة العدل والشؤون الاسلامية بدولة (البحرين) مقالا تحت هذا العنوان للدكتور مصطفى الشكعة جاء فيه :

في اوروبا القرون الوسطى كان الحديث باللغة العربية دلالة التمدن وسط الطبقة العليا من الشباب ، وفي الطب والشعر ، والفلسفة ، والنبات والحيوان والفلك والعمارة أبدع العقل الاسلامي ودرس وبحث ، وسجل ، وعلى مائدة علماء المسلمين عاشت أجيال من المستشرقين ، تتعلم وتدرس ، وتنقل للعالم الاوروبي خلاصة أفكار العلماء المسلمين لتكون

أساس الحضارة الحديثة اليوم ، وبدأ المستشرقون تلاميذ صغارا في جامعة الاسلام العملاقة ، وانتهوا بالدس على الاسلام والمسلمين .

ويبدو واضحا أن الاستشراق الحديث وراء تزييف الحقائق في عقول الباحثين العرب . وقد حاول بعض المستشرقين الحديثيين ـ وبشكل مخجل من التضليل والكذب ـ أن يعزو تخلف العالم الاسلامي الى الاسلام نفسه ، وهم أول من يعلم أنهم يفترون على الاسلام كذبا .. وهم بدون أي ظل من الشك يعلمون أن الأسباب الحقيقية لتقهقر الاسلام ، تكمن في الاستعمار البشع ، الذي جاء على هيئة موجات شرسة متتابعة من أوطانهم ومن خلال أنظمتهم التي تحكم بلدانهم ، فالاسلام لم يكن في يوم من الأيام سبب تخلف أو جهل .. والحقيقة هي التي وردت في أول آية في القرآن تحث الانسان على تحصيل المعرفة من أي مكان .. وأن يحافظ على كرامته تحت كل الظروف .

ولا نعدم أن نجد بين الباحثين المستشرقين مخلصين شرفاء منهم على سبيل المثال رينود ، كان صديقا نبيلا وشريفا لحضارتنا الاسلامية ، وقد تحمل عبء الترجمة الى الفرنسية ، لكتاب الجغرافيا الذي ألفه السلطان المسلم المثقف أبو الفداء ..

ومنهم أيضا البروفسور ماسجنون الذي حاول خلال حياته أن يغني الدراسات الاسلامية خلال أعماله العلمية الضخمة ، وقد كرس الكثير من حياته لدراسة وخدمة النصوص الاسلامية .. وقد ربط نفسه مدة طويلة بالمتصوف المشهور « الحلاج » .

والباحث الثالث السير توماس ارنولد ينبغي أن يحتل مكانا مرموقا في رأس قائمة العظماء .. وهو كزملائه المذكورين سابقا ، خدم الحقائق

تكثيف البرامج الدينية في تلفزيون الكويت

● في سبيل صيانة العقيدة وتدعيم الدعوة الاسلامية ونشرها على أوسع نطاق قررت وزارة الاعلام بالتعاون مع وزارة الاوقاف والشئون الاسلامية تكثيف البرامج الدينية المذاعة بالتلفزيون حيث قررت اضافة خمسة برامج دينية جديدة منها برنامج « رأي الاسلام » و « في نور الاسلام » بالاضافة الى برنامج باللغة الانجليزية يتولى شرح كل ما يتعلق بالاسلام الى الجنسيات غير العربية بالكويت .

وستقوم وزارة الاوقاف والشئون الاسلامية بتوفير المعدين والمتخصصين في هذا المجال ليقوموا بالاعداد والاشراف على هذه البرامج .

ومن المعروف ان التعاون بين وزارة الاوقاف والشئون الاسلامية ووزارة الاعلام قد بدأ بانشاء إذاعة القرآن الكريم منذ شهرين والتي يغطي ارسالها منطقة الخليج وحتى الهند .

العلميـة في حقـل الاسلاميـات .. وكتابه « الدعوة الى الاسلام » من أكثر الكتب أمانة وموضوعية وفي كل موضــوع في كتابــه كان عادلا ومنصفا .. وقد خدم الفن الاسلامي بكتابــه الاخــاذ « الرســم في الاسلام » .

أما الاثنــان اللــذان ما يزالان يواصلان أعمالهما المثمرة العظيمة في حقل الاسلاميات فهما الفرنسيـان بلاشير ، وجاكس بيرك .. وبلاشير قد قدم في الحقلـين الأدب العربــي والدراسات القرآنية ، وكتابــه عن المتنبي ما يزال أحسن دراسة علمية انجزت حتــى هذه اللحظــة بلغــة أجنبية .. وبالنسبة لجاكس بيرك .. فأجد نفسي محرجا عندمــا أطريــه واحمد له قدرته الفريدة في الأعمال العلميــة . وأمانتــه الخالصــة . والطريقة العادلة التي يعـج بهـا موضوعاته ..

تدريس القوانــين الاسلاميـــة في جامعة هارفارد الامريكية

● تبدأ كلية الحقوق بجامعة هارفارد ــ وهي من اكبر الجامعات الامريكية بتدريس برنامج كامل عن القوانين الاسلاميــة كمنهــج اساسي بــين دراستها القانونية المقارنــة تهــدف الدراسة الى تعريف الطلاب بمصادر القوانين العالمية الهامة وتطبيقاتهــا خاصة وان الدين الاسلامي منتشر في بقاع واسعة من العالم ومن المقرر ان تستعين الجامعة بعدد من الاساتذة الزائرين العرب المتخصصين لالقاء المحاضرات حول هذا الموضوع . وقد تبرعت المملكة العربيــة السعوديــة بمبلغ ٣٠٠ الف دولار ، لتمويل هذا البرنامج . صرح بذلك الدكتور ليفيد سميث مساعد عميد كلية الحقــوق بالجامعة .

ومضات

تحــت عنــوان ومضــات قالــت (النــور) المغربيــة الاسلامية :

إن تاريخنا المتمثل في العقيدة التي جاءت تدعو للحق ، والثقافة التي قدست الحق ورفعته شعارا ضد الجهل والخرافة والشعوذة ، والتاريخ الذي كان بروحه الفدائية يحتم الجهاد من أجل الحق ، والرفض لكل أشكال القهر والاستعباد .. هذا التاريخ قادر ولا شك على أن يطرح الحلول لما في حياة المسلمين الاجتماعية والاقتصادية والسياسية من خبث وانحراف وزيغ .

لكن مع هذا وذاك فان ثمة فئتين من الناس ترفض هذا التاريخ وتسد في وجهه السبل والمنافذ !! فئة تدرك قيمته ولكنها لا ترغب فيه ، لأنها تخشى الشمس وتخشى الهواء النقي . وفئة أخرى لا ترغب فيه ولا تدرك قيمته .. لأنها تجهله ..

ولكن هذا لا يمنعها من أن تصفق في سذاجة للذين يعادون هذا التراث « بسذاجة » .

« الى راغبي الاشتراك »

تصلنا رسائل كثيرة من القراء بقصد الاشتراك ورغبة منا في تسهيل الامر عليهم وتفاديا لضياع المجلة في البريد ، رأينا عدم قبول الاشتراكات عندنا ، وعلى الراغبين في الاشتراك الاتصال رأسا بشركة الخليج لتوزيع الصحف ص.ب ٤٢٠٥٧ ــ الشويخ ــ الكويت أو بمتعهدي التوزيع عندهم وهذا بيان بالمتعهدين :

مصر : القاهرة ــ مؤسسة الاهرام ــ شارع الجلاء .

السودان : الخرطوم ــ دار التوزيع ــ ص.ب (٣٥٨)

ليبيا : طرابلس ــ الشركة العامة للتوزيع والنشر .

المغرب : الدار البيضاء ــ الشركة الشريفة للتوزيع .

تونس : الشركة التونسية للتوزيع .

لبنان : بيروت : الشركة العربية للتوزيع : ص.ب : (٤٢٢٨)

الاردن : عمان : وكالة التوزيع الاردنية : ص.ب : (٣٧٥)

السعودية : جدة : مكتبة مكة ــ ص.ب : (٤٧٧)
الخبر : مكتبة النجاح الثقافية ــ ص.ب : (٧٦)
الطائف : مكة المكرمة :
برحة نصيف / مكتبة جدة
المدينة المنورة : مكتبة ومطبعة ضياء .

مسقط : المؤسسة العربية للتوزيع والنشر ــ ص.ب:(١٠١١)

البحرين : دار الهلال .

قطر : دار العروبة .

أبو ظبي : مؤسسة الشاعر لتوزيع الصحف ــ ص.ب:(٣٢٩٩)

دبي : مكتبة دبي .

الكويت : شركة الخليج لتوزيع الصحف ــ ص.ب : (٤٢٠٥٧)

ونوجه النظر الى انه لا يوجد لدينا الآن نسخ من الاعداد السابقة من المجلة .

مواقيت الصلاة حسب التوقيت المحلي لدولة الكويت

أيام الأسبوع	محرم	ديسمبر	المواقيت بالزمن الغروبي (عربي)					المواقيت بالزمن الزوالي (افرنجي)					
			فجر	شروق	ظهر	عصر	عشاء	فجر	شروق	ظهر	عصر	مغرب	عشاء
			د س	د س	د س	د س	د س	د س	د س	د س	د س	د س	د س
جمعة	١	١	١٢ ١٢	٣٦ ١	٤٨ ٦	٤١ ٩	٢٢ ١	١ ٥	٢٥ ٦	٣٧ ١١	٣٠ ٢	٤٩ ٤	١١ ٦
سبت	٢	٢	١٣	٣٧	٤٩	٤١	٢٢	٢	٢٦	٣٧	٣٠	٤٩	١١
احد	٣	٣	١٣	٣٧	٤٩	٤١	٢٢	٢	٢٦	٣٨	٣٠	٤٩	١١
اثنين	٤	٤	١٤	٣٨	٤٩	٤١	٢٢	٣	٢٧	٣٨	٣٠	٤٩	١١
ثلاثاء	٥	٥	١٤	٣٩	٥٠	٤٢	٢٢	٤	٢٨	٣٨	٣١	٤٩	١١
اربعاء	٦	٦	١٥	٤٠	٥٠	٤٢	٢٢	٤	٢٩	٣٩	٣١	٤٩	١١
خميس	٧	٧	١٥	٤٠	٥٠	٤٢	٢٢	٥	٢٩	٣٩	٣١	٥٠	١١
جمعة	٨	٨	١٦	٤١	٥١	٤٢	٢٢	٦	٣٠	٤٠	٣١	٥٠	١٢
سبت	٩	٩	١٦	٤١	٥١	٤٢	٢٢	٦	٣١	٤٠	٣١	٥٠	١٢
احد	١٠	١٠	١٧	٤٢	٥١	٤٢	٢٢	٧	٣٢	٤١	٣١	٥٠	١٢
اثنين	١١	١١	١٧	٤٢	٥١	٤٢	٢٢	٨	٣٢	٤١	٣٢	٥٠	١٢
ثلاثاء	١٢	١٢	١٧	٤٢	٥١	٤٢	٢٣	٨	٣٣	٤٢	٣٢	٥١	١٣
اربعاء	١٣	١٣	١٨	٤٣	٥٢	٤٢	٢٣	٩	٣٤	٤٢	٣٢	٥١	١٣
خميس	١٤	١٤	١٨	٤٣	٥٢	٤٢	٢٣	٩	٣٤	٤٢	٣٣	٥١	١٤
جمعة	١٥	١٥	١٨	٤٣	٥٢	٤٢	٢٣	١٠	٣٥	٤٣	٣٣	٥٢	١٤
سبت	١٦	١٦	١٨	٤٣	٥٢	٤٢	٢٣	١١	٣٥	٤٣	٣٣	٥٢	١٤
احد	١٧	١٧	١٩	٤٤	٥٢	٤٢	٢٣	١١	٣٦	٤٤	٣٤	٥٢	١٥
اثنين	١٨	١٨	١٩	٤٤	٥٢	٤٢	٢٣	١٢	٣٧	٤٤	٣٤	٥٣	١٥
ثلاثاء	١٩	١٩	١٩	٤٤	٥٢	٤٢	٢٣	١٢	٣٧	٤٥	٣٥	٥٣	١٦
اربعاء	٢٠	٢٠	١٩	٤٤	٥٢	٤٢	٢٣	١٣	٣٨	٤٥	٣٥	٥٤	١٦
خميس	٢١	٢١	١٩	٤٤	٥٢	٤٢	٢٣	١٣	٣٨	٤٦	٣٦	٥٤	١٧
جمعة	٢٢	٢٢	١٩	٤٤	٥٢	٤٢	٢٣	١٤	٣٩	٤٦	٣٦	٥٥	١٧
سبت	٢٣	٢٣	١٩	٤٤	٥٢	٤٢	٢٣	١٤	٣٩	٤٧	٣٧	٥٥	١٧
احد	٢٤	٢٤	١٩	٤٤	٥٢	٤٢	٢٣	١٥	٤٠	٤٧	٣٧	٥٦	١٨
اثنين	٢٥	٢٥	١٩	٤٤	٥٢	٤٢	٢٣	١٥	٤٠	٤٨	٣٨	٥٦	١٩
ثلاثاء	٢٦	٢٦	١٩	٤٤	٥٢	٤٢	٢٣	١٦	٤٠	٤٨	٣٨	٥٧	١٩
اربعاء	٢٧	٢٧	١٨	٤٣	٥٢	٤٢	٢٣	١٦	٤١	٤٩	٣٩	٥٧	٢٠
خميس	٢٨	٢٨	١٨	٤٣	٥٢	٤٢	٢٣	١٦	٤١	٤٩	٣٩	٥٨	٢٠
جمعة	٢٩	٢٩	١٨	٤٣	٥٢	٤٢	٢٣	١٧	٤٢	٥٠	٤٠	٥٩	٢١
سبت	٣٠	٣٠	١٧	٤٢	٥١	٤٢	٢٣	١٧	٤٢	٥٠	٤١	٥٩	٢١